الإيمان باليوم الآخر

فقه القدوم على الله

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}

إعداد

د/ علي محمد الصَّلاَّبي

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب : الإيمان باليوم الآخر" فقه القدوم على الله "
المؤلف : د/ علي محمد الصلابي
الطبعة : طبعة أولى / 1432هـ - 2011 م
الناشر : مكتبة جزيرة الورد
رقم الإيداع :

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة / ميدان حليم
خلف بنك فيصل شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا
012/9961635 - 02/27877574
010/0004046 - 010/0104115

الإهداء

إلى كل إنسان يبحث عن حقيقـــة مصـــير البشرية في هذا الوجـــود، أهـــدي هـــذا الكتاب.

قال تعالى:

{فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا}.

[الكهف: ١١٠]

* * *

المقدمــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢} [آل عمران: ١٠٢].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١} [النساء: ١].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أما بعد:

فهذا الكتاب يتحدث عن اليوم الآخر الذي أخبرنا به الخالق العظيم، الرحمن الرحيم، القوي العزيز، في كتابه المجيد.

ومن خلال مسيرتي في عالم التاريخ رأيت كيف قامت الدول وزالت، وتوسعت الحضارات ثم تبخرت كأن لم تغن بالأمس، وكم من ملوك وأمراء وقادة وحكام وعلماء وفقهاء وفلاسفة وعوام من الناس لا يحصيهم إلا الذي خلقهم قد ماتوا، وأصبحوا في الأمس الغابر، ودخلوا في عالم البرزخ العظيم.

هذا الكتاب يتحدث عن مصير البشرية بدون استثناء، ويجيب عن أسئلة حيَّرت الكثير من العقول لبعدها عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد اضطربت فيه التصورات، وانحرفت فيه العقائد عن الله والكون، والإنسان والحياة، والقضاء والقدر، والجنة والنار، والمسلمون يملكون عقيدة سليمة لا يملكها غيرهم، وحباهم الله بكتابه العزيز الذي حفظه من الضياع والتحريف، وسنة نبينا ﷺ وهي شارحة ومبينة لكتاب ربنا عز وجل، فبإمكاننا أن نقدم للعالم شيئاً يحتاجه ولا يملكه، ومفتقر إليه ولا يستغني عنه.

إن بني البشر يسألون عن مصيرهم، وإلى أين هم ذاهبون! ويخشون من الموت وأهواله، ويبحثون عن إجابات شافية: ماذا بعد الموت؟

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾} [المؤمنون: ١١٥، ١١٦] في هذا الكتاب إجابات شافية ووافية لتساؤلات الكثير من بني الإنسان قد جمعتها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واسترشدت بأقوال علماء راسخين وفقهاء ربانيين حفظ الله جهودهم العلمية في أمهات الكتب القديمة والحديثة والمراجع والمصادر الموثوقة.

فهذا الكتاب في مبحثه الأول من الفصل الأول يتحدث عن الروح والموت، وحياة البرزخ ويبين حقيقة الروح في القرآن الكريم، ويجيب على أسئلة متعلقة بها، هل الروح قديمة أم مخلوقة؟ وهل النفس هي الروح؟ وما هي مراتب النفوس؟ وهل تموت الأرواح؟ وهل للروح كيفية تعلم؟

وكيف تقبض الروح في النوم؟ ومتى يغلق باب التوبة؟ وكيفية نزع الروح وخروج روح المؤمن؟

ويشرح الآيات المتعلقة بهذه الأمور كقوله تعالى:{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وقوله تعالى:{كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾} [النحل: ٣١، ٣٢].

وقوله تعالى:{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾}

[الفجر: ٢٧، ٢٨].

وكذلك الحديث عن خروج روح الكافر واحتضاره وشرح الآيات المتعلقة بذلك كقوله تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ } [الأنعام: ٩٣].

وقوله تعالى:{ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾} [الفرقان: ٢٢].

وقوله تعالى:{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن الموت وحقيقته وأهمية تذكره في حياة الإنسان، للابتعاد عن المعاصي، وتليين القلب القاسي وتهوين المصائب، فمن أكثر من ذكر الموت قل فرحه، وقل حسده، واستعد للرحيل.

قال الشاعر:

مشيناها خطًى كتبت علينا :: ومن كتبت عليه خطًى مشاها
وأرزاق لنا متفرقات :: فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض :: فليس يموت في أرض سواها

وقال آخر:

هب الدنيا تساق إليك عفوًا :: أليس مصير ذاك إلى انتقال

ومـــا دنيـــاك إلا مثـــل فيء : أظلـــــك ثم آذن بـــــالزوال

:::

ويجد القارئ الكريم بيان الحكمة من الموت، وأن ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان، فتزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيعته حين يكون منكراً للحياة الآخرة، أو مغرورًا بمسلكه المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن الإيمان الصحيح والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة.

وأشرت إلى أسباب حسن الخاتمة، كإقامة التوحيد لله عز وجل، والاستقامة، والتقوى، والصدق، والتوبة والدعاء، وقصر الأمل والتفكر في حقارة الدنيا، والإكثار من ذكر الموت، وغلبة الرجاء وحسن الظن بالله، والبعد عن أسباب سوء الخاتمة، كما بينت أسباب سوء الخاتمة كالشك والجحود، والتعبد بالبدع وتسويف التوبة وعدم الاستقامة، وتعلق القلب بغير الله، وسوء الظن بالله، والإصرار على الذنوب والمعاصي ونسيان الآخرة، وعدم ذكر الموت والظلم.

كما شرحت الآيات التي تحدثت عن قبض أرواح العباد كقوله تعالى: {وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾} [الأنعام: ٦١، ٦٢].

وفي المبحث الثالث: كان الحديث عن حياة البرزخ والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على عذاب القبر، وما ينتفع به الميت من عمل الأحياء وما يتبع الميت إلى قبره، وأن

القبر أول منازل الآخرة والحكمة من عذاب القبر ونعيمه، وهل عذاب القبر دائم أم منقطع؟ وعن أسباب عذاب القبر والنجاة منه؟ وأين مستقر الأرواح في البرزخ، كأرواح الأنبياء، وأرواح الشهداء، وأرواح المؤمنين الصالحين وأرواح العصاة، وأرواح الكفار.

وفي الفصل الثاني، كان الحديث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى، والنفخ في الصور، وفي المبحث الأول لخصت مجمل أشراط الساعة الصغرى، وفي الثاني كان الحديث عن أشراط الساعة الكبرى في القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، كنزول عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والمهدي، المسيح الدجال، والخسوفات الثلاثة، والنار التي تحشر الناس وفي المبحث الثالث: النفخ في الصور وما هو الصور؟ وما هي عدد النفخات؟ وكان الحديث عن البعث في الفصل الثالث والأدلة على ذلك، وأسماء يوم القيامة والمبحث الثاني: خصص للحشر وأهوال يوم القيامة، وشرح الآيات التي تحدثت عن الحشر كقوله تعالى: { وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾} [الأنعام: ٥١].

وكقوله تعالى:{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾} [الكهف: ٤٧] وكقوله تعالى:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾} [الأنعام: ٣٨].

وتكلمت عن مكان الحشر، وصفة الناس في الحشر، وأحوالهم وخوفهم الشديد، وبينت أهوال يوم القيامة التي ذكرت في القرآن الكريم، كدك الأرض، ونسف الجبال، وقبض الأرض وطي السماء، وتفجير البحار وتسخيرها، وموران السماء وانفطارها، وتكوير الشمس، وخسف القمر، وتناثر النجوم، وسجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين، ونزول الملائكة، ووضحت أحوال الكفار يوم القيامة كذلتهم وهوانهم وحسرتهم وبأسهم، واسوداد وجوههم، وإحباط أعمالهم، وفضيحتهم أمام الخلائق، وتخاصمهم في الموقف، وكتخاصم العابدين والمعبودين والأتباع مع القادة المضلين، والضعفاء مع السادة والملوك، والمرء مع قرينه وأعضائه، ومقتهم لأنفسهم كل ذلك من خلال القرآن العظيم، وذكرت صفة حشرهم، كحشرهم وهم عطاش، وهم عمى وصم وبكم، كما كان لأحوال عصاة الموحدين نصيب من الحديث في هذا الكتاب، كالذين لا يؤدون الزكاة، وأصحاب الغلول، والمتكبرين، غاصبي الأرض، والغادرين، وذو الوجهين، والحاكم الذي يتحجب عن رعيته، كما كان لحال الأتقياء ذكر، فهم لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون إذا فزع الناس يوم الفزع الأكبر، كما أن وجوههم بيض، ويظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله بسبب أعمالهم في الدنيا، والتي من أهمها العدل في حكمهم وأهليهم وما ولّوا، والتيسير على المعسرين، والذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدّون خلتهم، والكاظمين الغيظ، وعتقهم للرقاب، وفي المبحث الثالث، تكلمت عن الشفاعة وذكرت الأدلة القرآنية

والنبوية في ثبوتها، وأقسامها، وشروطها وأنواعها، كاختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة، والشفاعة في أهل الكبائر، والشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، وعن شفاعة غير النبي ﷺ، كالملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين الصالحين، والشهداء وأولاد المؤمنين، والقرآن الكريم، وكان الحديث عن الأسباب الجالبة للشفاعة كالتوحيد وإخلاص العبادة لله، والصيام، والدعاء بما ورد عند الأذان، سكن المدينة والصبر على لأوائها، وكثرة السجود...

وفي المبحث الرابع: كان الحديث عن الحساب، والميزان، والحوض والصراط، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى مشهد الحساب والجزاء، فقال تعالى: { وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ } [الزمر: ٦٩]، وشرحت مجموعة من الآيات المباركة المتعلقة بالحساب، كقوله تعالى:{ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ } [الانشقاق: ٧، ٨].

كقوله تعالى:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ } [الإسراء: ١٣ - ١٥] وغيرها من الآيات الكريمة.

وكان الحديث كذلك عن اقتصاص المظالم بين الخلق وعظم شأن الدماء وأول ما يقضى بين العباد وذكرت الأدلة الشرعية المتعلقة

بالحوض والميزان ورأي العلماء في تفسير قول الله تعالى:{وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾} [الأنبياء: ٤٧] ولخصت أهم الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة، كحسن الخلق وتسبيح الله وتحميده.

ووقفت مع قوله:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾} [مريم: ٧١، ٧٢]، وعلاقة هذه الآية بالمرور على الصراط، ويا له من موقف يشيب لهوله الولدان، ها هي الأمانة على الصراط لتقول لكل خائن يمر عليها: أين الأمانة التي ضيعتها؟ أين أمانة الأموال التي سرقتها؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين؟ أين الأمانات التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت الإنسان؟ بل ها هي الرحم تتعلق على الصراط لتقول لكل من قطعها: أين صلة الرحم التي قطعتها في الدنيا؟ وماذا ستصنع في هذا اليوم أمام تلك الأهوال؟

قال الشاعر:

أبت نفسي تتوب فيما احتيالي ::: إذا برز العباد لذي الجلالِ
وقاموا من قبورهم سكارى ::: بأوزار كأمثال الجبالِ
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا ::: فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن ::: تلقاه العرائس بالغواني
يقول له المهيمن يا وليِّ ::: غفرت لك الذنوب فلا تبالِ

وفي الفصل الرابع كان الحديث عن النار والجنة وأفردت في

المبحث الأول: مقدمات، كخلود الجنة والنار وكونهما مخلوقتين موجودتين الآن، ومكانهما، وأصحاب الأعراف، وفي المبحث الثاني تكلمت عن النار، وأسمائها وخزنتها وصفتها وما أعد الله لأهلها ومطالبهم فيها وصور من عذابها، وفي المبحث الثالث، أشرت إلى موانع إنفاذ الوعيد، كالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين، وإهداء القربات، والشفاعة لأهل الكبائر، والمصائب المكفرة، والعفو الإلهي.

وفي المبحث الرابع: كان الحديث عن الجنة والطريق إليها، وأخلاق أهلها، ومن أول وآخر من يدخلها؟ وما أشهر أسمائها وصفتها وأصحابها؟ ومن هم سادة أهل الجنة؟ وما هو فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا؟ وتم التفصيل في نعيم أهل الجنة، كالحديث عن طعامهم وشرابهم، ولباسهم وحيلهم وخدمهم ونسائهم وعن أفضل ما يعطاه أهل الجنة من النظر إلى وجه الله الكريم ورضوانه العظيم، وختم الكتاب بدعاء أهل الجنة قال تعالى:{ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾} [يونس: ١٠].

أيها القارئ الكريم، أضعُ بين يديك هذا الكتاب، راجياً من الله أن يحيا قلبُك، وتزداد هداية مع كل معرفة جديدة عن ذلك اليوم الذي أخبرنا عنه المولى عز وجل في كتابه بطريقه سهلة ميسرة، دون عناء ولا شقاء، فاعمل لذلك اليوم واستعد للقاء العزيز الرحيم في ذاك اليوم الذي: {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾} [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

أيها القارئ الكريم: إن جعت في هذه الدار أو افتقرت أو حزنت أو مرضت أو بخست حقًّا أو ذقت ظلماً فذكر نفسك بالنعيم المقيم في جنات رب العالمين، إنك إن اعتقدت هذه العقيدة، وعملت لهذا المصير تحولت خسائرك إلى أرباح، وبلاياك إلى عطايا، إن أعقل الناس هم الذين يعملون للآخرة لأنها خير وأبقى، وإن أحمقهم الذين يرون أن هذه الدنيا هي قرارهم ودارهم ومنتهى أمانيهم، فتجدهم أجزع الناس عند المصائب، وأندمهم عند الحوادث، لأنهم لا يرون إلا حياتهم الزهيدة الحقيرة، لا ينظرون إلا إلى هذه الفانية لا يتفكرون في غيرها ولا يعملون لسواها، فلا يريدون أن يعكّر لهم سرورهم ولا يكدّر عليهم فرحهم، ولو أنهم خلعوا حجاب الران عن قلوبهم، وغطاء الجهل عن عيونهم لحدثوا أنفسهم بدار الخلد ونعيمها ودورها وقصورها ولسمعوا وأنصتوا لخطاب الوحي في وصفها، إنها والله الدار التي تستحق الاهتمام والكَدَّ والجهد وهل تأملنا طويلاً في أهل الجنة بأنهم لا يمرضون، ولا يحزنون، ولا يموتون، ولا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، في غرف يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يسير الراكب في شجرة من أشجارها مائة عام لا يقطعها، طول الخيمة فيها ستون ميلاً، أنهارُها مطردة، قصورُها منيفة، قطوفها دانية، عيونها جارية، سُررُها مرفوعة، أكوابها موضوعة، نمارقها مصفوفة، زرابيها مبثوثة، عظم حبورها، فاح عَرْفها، منتهى الأماني فيها، فأين عقولنا التي لا تفكر؟ ما لنا لا نتدبّر؟ إذا كان

المصير إلى هذه الدار، فلتخفَّ المصائب على المصابين، ولتقرّ عيون المنكوبين ولتفرح قلوب المعدمين[1]، وليعمل لرضا رب العالمين العاملون المخلصون، أيها القارئ الكريم: إن مما يثبت السعادة وينميها ويعمقها ألاّ تهتم بتوافه الأمور، فصاحب الهمة العالية همُّه طلب الآخرة، فيتسامى عن بنيات الطريق، فاجعل الهم همًّا واحداً، همّ لقاء الله عز وجل، همَّ الوقوف بين يديه[2] :{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾} [الحاقة: ١٨].

قال الشاعر:

يوم القيامة لو علمت بهوله	:::	لفررت من أهل ومن أوطان
يوم تشققت السماء لهوله	:::	وتَشَيب فيه مفارق الولدان
يوم عبوس قمطريرُ شره	:::	في الخلق منتشرٌ عظيمُ الشَّان
والجنة العُليا ونارُ جهنَّم	:::	داران للخصمين دائمتان
يوم يجيءُ المتقون لربِّهم	:::	وفداً على نُجُب من العقيان
ويجيءُ فيه المجرمون إلى لَظَى	:::	يتلَّمظون تلمُّظ العطشان
ودخول بعض المسلمين جهنَّماً	:::	بكبائر الآثام والطُّغيان
والله يرحمهم بصحَّةِ عقدهم	:::	ويُبدَّلوا من خوفهم بأمان
وشفيعهم عند الخروج محمد	:::	وطهورهم في شاطئ الحيوان
حتى إذا طَهُرُوا هُنالك أُدخلوا	:::	جنات عدن وهي خيرُ جنان
فالله يجمعنا وإيّاهم بها	:::	من غير تعذيب وغير هوان [3]

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأحد في الساعة التاسعة إلا خمس دقائق ليلاً بتاريخ 28/ 11/ 2009م 11 ذي

(1) لا تحزن د. عائض القرني ص 47.
(2) المصدر نفسه ص79.
(3) نونية القحطاني ص19، 20.

الحجة/1430هـ بالدوحة، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله- سبحانه وتعالى- أن يتقبل هذا العمل، ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده.

قال تعالى:{ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾} [فاطر: ٢].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب أمام خالقي العظيم وإلهي الكريم معترفاً بفضله وكرمه وجوده، متبرئاً من حولي وقوتي، ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضل، وربي الكريم هو المعين، وإلهي العظيم هو الموفق، فلو تخلى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي، لتبلد مني العقل، ولغابت الذاكرة، وليبست الأصابع، ولجفت العواطف، ولتحجرت المشاعر، ولعجز القلم عن البيان، اللهم بصرني بما يرضيك، واشرح له صدري وجنبني اللهم ما لا يرضيك، واصرفه عن قلبي وتفكيري، وأسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعل عملي لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، وأن تثيبني على كل حرف كتبته وتجعله في ميزان حسناتي، وأن تثيب إخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد الذي لولاك ما كان له وجود ولا انتشار بين الناس ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير، إلى عفو ربه، ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه.

قال تعالى:{رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ } [النمل: ١٩].

وأختم هذا الكتـاب بقول الله تعـالى:{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

علي محمد محمد الصَّلاَّبِّي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

* * *

الفصل الأول

حقيقة الروح والموت وحياة البرزخ

المبحث الأول

حقيقة الروح

أولاً: كلمة الروح في القرآن تأتي على عدة أوجه [1] :

أحدها: القرآن، كقوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾} [الشورى: ٥٢].

الثاني: الــوحي، كقوله تعالى: {رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾} [غافر: ١٥].

الثالث: جبريـــل، كقوله تعالى: {فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾} [مريم: ١٧].

{نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾} [الشعراء: ١٩٣].

الرابـــع: القوة والثبات والنصرة التي يؤيـــد الله بهـا مـن شـاء مـن عباده المؤمنين: كما قال تعالى: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} [المجادلة: ٢٢].

الخامس: المسيح ابن مريم: قال تعالى: {يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ} [النساء: ١٧١].

السادس: تطلق الروح ويراد بها ما به حياة الإنسان كقوله تعالى: { وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }

---

(1) الروح لابن القيم ص241، مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص369.

[الإسراء: ٨٥]، فهي الجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار [1]، وهذا هو المقصود في كتابنا هذا.

والروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكاً بهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح[2].

1- هل الروح قديمة أم مخلوقة؟

الروح مخلوقة مبتدعة، باتفاق العلماء وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع، أو من أعلمهم، والأدلة من الكتاب والسنة الدالة على خلقها كثيرة مثل قوله تعالى:{ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ} [الرعد: ١٦]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما [3]، ومن ذلك قوله تعالى:{هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١} [الإنسان: ١]، وقوله جلّ وعلا لزكريا:{وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا} [مريم: ٩]. والإنسان اسم

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص 369.
(2) الروح لابن القيم ص226، 272 - 300.
(3) شرح الطحاوية ص242.

لـروح الإنسـان وبدنـه، وخطـاب الله لزكريـا لروحـه وبدنـه [1]، فالإنسان عبارة عن البدن والروح معاً، بل هو الروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح [2].

- وقد جاء الكثير من النصوص عن النبي ﷺ أن الأرواح تقبض، وتوضع في كفن وحنوط تأتي بهما الملائكة، ويصعد بهما وتنعم وتعذب وتمسك بالنوم، وترسل، وكل هذا شأن المخلوق المحدث[3].

- ولو لم تكن الروح مخلوقة مربوبة لما أقرت بالربوبية، وقد قال الله للأرواح حين أخذ الميثاق على العباد وهم في عالم الذر: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، وذلك ما قرره الحق في قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ} [الأعراف: ١٧٢]، وما دام هو ربهم فإنهم مربون مخلوقون [4].

- ولو كانت الروح غير مخلوقة، فإنها لا تدخل النار ولا تعذب، ولا تحجب عن الله، ولا تغيب في البدن، ولا يملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف، ولم تحاسب، ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تخف، ولم ترج، ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ، وأرواح الكفار سود مثل الفحم[5].

---

(1) اليوم الآخر، القيامة الصغرى د. عمر الأشقر ص95.
(2) فتاوي ابن تيمية (4 / 222).
(3) اليوم الآخر، القيامة الصغرى ص95.
(4) اليوم الآخر، القيامة الصغرى الأشقر ص95.
(5) مجموع الفتاوي (4 / 220).

- والرد على من زعم أن الروح غير مخلوقة، وأنها جزء من ذات الله تعالى كما يقال: هذه الخرقة من هذا الثوب؛ فالمراد بقوله:{قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥]؛ أي: أنها تكونت بأمره، أو لأنها بكلمته كانت، والأمر في القرآن يذكر ويراد به المصدر تارة، ويراد به المفعول تارة أخرى وهو المأمور به، كقوله تعالى:{أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ} [النحل: ١] أي: المأمور به، ويمكن أن يقال- أيضاً: إن لفظة (من) في قوله:{من أمر ربي} لابتداء الغاية؛ وليس نصًّا في أن الروح بعض الأمر ومن جنسه، بل هي لابتداء الغاية إذ كونت بالأمر وصدرت عنه، وهذا مثل قوله:{وروح منه}؛ أي: من أمره كان الروح، وكقوله تعالى:{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ} [الجاثية: ١٣]، ونظير هذا- أيضاً- قوله تعالى:{ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ} [النحل: ٥٣]؛ أي: منه صدرت ولم تكن بعض ذاته [1].

وأما قوله تعالى في آدم:{وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي} [الحجر: ٢٩]، وقوله في عيسى:{فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا} [التحريم: ١٢]، فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى موصوف بها فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح.

(1) المصدر نفسه (4 / 226 - 235).

- كقوله تعالى:{نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا } [الشمس: ١٣].

- كقوله:{تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ} [الفرقان: ١].

- وقوله:{وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ} [الحج: ٢٦].

فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميز بها المضاف إلى غيره [1].

2- هل النفس هي الروح؟

إن النفس تطلق على أمور وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالباً ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، وتطلق على الدم؛ ففي الحديث:《**ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه**》[2].

والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفس؛ أي: عين، والنفس: الذات: {فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ} [النور: ٦١]، {وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ} [النساء: ٢٩]، ونحو ذلك، وأما الروح فلا تطلق على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} [الشورى: ٥٢]، وعلى جبريل{نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾} [الشعراء: ١٩٣]، وتطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً. وأما ما يؤيد الله به أولياءه فهي روح أخرى كما قال تعالى:{أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} [المجادلة: ٢٢]، وكذلك القوى التي في البدن فإنها

(1) شرح الطحاوية ص442، القيامة الصغرى ص99.
(2) البيهقي (1 / 253) حديث ضعيف.

تسمى أرواحاً، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشام، وتطلق الروح على أخص من هذا كله، وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن، فللعلم روح، وللإحسان روح، وللمحبة روح، وللتوكل روح، وللصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الروح، فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانيًّا، ومنهم من يفقدها فيصير أرضيًّا بهيميًّا [1].

3- مراتب النفوس:

أخبرنا الحق -سبحانه وتعالى- أن النفوس ثلاثة أنواع: النفس الأمارة بالسوء{إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ} [يوسف: ٥٣]، والنفس اللوامة{وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾} [القيامة: ٢]، والنفس المطمئنة {يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾} [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

والتحقيق أنها نفس واحدة لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوى الإيمان صارت مطمئنة [2].

4- هل تموت الأرواح؟

والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان [3]،

(1) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية عبد الآخر الغنيمي ص235.
(2) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية ص235.
(3) مجموع الفتاوي (4 / 279).

وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، وقد أخبر -سبحانه- أن أهل الجنة{ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ } [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح الجسد (1).

5- هل للروح كيفية تعلم؟

لما كانت الروح مخلوقة من جنس لا نظير له في عالم الموجودات فإننا لا نستطيع أن نعرف صفاتها، فقد عرفنا الله أنها تصعد وتهبط، وتسمع وتبصر وتتكلم، إلى غير ذلك، إلا أن هذه الصفات مخالفة لصفات الأجسام المعروفة، فليس صعودها وهبوطها وسمعها وبصرها وقيامها وقعودها من جنس ما نعرفه ونعلمه، فقد أخبرنا الرسول الكريم ﷺ أن الروح يصعد بها إلى السماوات العلا، ثم تعاد إلى القبر ساعة من الزمن، فقد أخبرنا أنها تنعم أو تعذب في القبر، ولا شك أن هذا النعيم على نحو مخالف لما نعلمه ونعرفه (2).

ثانياً: قبض الروح بالنوم:

من أحكام الروح أنها تقبض عند النوم، وهي ما يسمى بـ " الوفاة الصغرى "، وقد ذكر الله - تعالى - ذلك في كتابه الكريم، قال تعالى: { ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾} [الزمر: ٤٢].

---

(1) شرح الطحاويةص446.
(2) القيامة الصغرى د. عمر الأشقر ص87.

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة فقال بعض القوم: لو عرّست بنا يا رسول الله! قال: «**أخاف أن تناموا عن الصلاة**»، قال بلال: أنا أوقظكم فاضجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس فقال: «**يا بلال، أين ما قلت؟**» قال ما أُلقيت عليّ نومة مثلها قط، قال: «**إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم حين شاء، يا بلال، قم فأذن بالناس بالصلاة**»، فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام فصلى [1].

ثالثاً: فتح باب التوبة حتى الغرغرة:

" الغرغرة " هي لحظة نزع الروح وخروجها، وهناك علاقة بين الروح والتوبة، فما دامت الروح مستقرة في البدن فباب التوبة مفتوح [2]، قال تعالى: { إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾} [النساء: ١٧، ١٨].

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» [3].

ومعنى قوله تعالى: {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ} [النساء: ١٧]؛ أي: ما كان دون

(1) البخاري، ك مواقيت الصلاة رقم 570.
(2) اليوم الآخر عبد المحسن المطيري ص54.
(3) سنن الترمذي رقم 3537 حسن غريب.

الموت فهو قريب، وقال الحسن البصري: "ما لم يغرغر" (1).

ولقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن من تاب إلى الله- عز وجل- وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة، ولهذا قال تعالى:{فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا } [النساء: ١٧]، وأما متى وقع اليأس من الحياة، وعاين ملك الموت، وخرجت الروح في الحلق، وضاق بها الصدر، وبلغت الحلقوم وغرغر (2) فالنفس صاعدة للخروج من البدن، فلا توبة مقبولة حينئذ، ولهذا قال تعالى:{وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ } [النساء: ١٨].

رابعاً: كيفية نزع الروح:

1- قال تعالى:{فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥} [الواقعة: ٨٣ - ٨٥]. فلولا إذا بلغت الحلقوم؛ أي: الروح، والحلقوم هو الحلق، وذلك حين الاحتضار، {وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤} [الواقعة: ٨٤]؛ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، {وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ } [الواقعة: ٨٥]؛ أي: بملائكتنا، {وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ } [الواقعة: ٨٥]؛ أي: ولكن لا ترونهم (3).

2- قال تعالى:{وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢} [الأنعام: ٦١، ٦٢].

---

(1) جامع البيان لابن جرير الطبري (8 / 9) بتصرف.
(2) اليوم الآخر عبد المحسن المطيري ص55.
(3) المصدر نفسه ص55.

3- قــال تعــالى:{كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾} [القيامة: ٢٦ - ٣٠].

{إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ} [القيامة: ٢٦]؛ أي: الـروح، والتراقـي جمـع ترقـوة، وهـي العظـام المكتنفـة لنقرة النحـر، وهو مقدم الحلـق مـن أعلـى الصـدر موضـع الحشـرجة، ويكنـى ببلـوغ الـنفس التراقـي عـن الإشـفاء علـى المـوت، مثلـه قولـه:{فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾} [الواقعة: ٨٣]، وقيـل:{كــلا} معناه؛ أي: أن المساق - حقًا - إلـى الله{إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ} [القيامة: ٢٦]؛ أي: إذا ارتفعت الـروح إلـى التراقـي، والمقصـود تـذكيرهم شـدة الحـال عنـد نزول الموت.

4- قــال تعــالى:{وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾} [النازعـات: ١، ٢]، والمقصـود: الملائكـة، حـين تنـزع أرواح بنـي آدم، فمـنهم مـن تأخـذ روحـه بعسـر فتغـرق فـي نـزعهم، ومـنهم مـن تأخـذ روحـه بسـهولة وكأنما حلته من نشاط [1]، وهو قولـه:{وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾} [النازعات: ٢].

5- قــال تعــالى:{وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾} [ق: ١٩]، سكرة الموت: شدته، وقولـه{سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ} [ق: ١٩] :سكرة الميت التي تدل الإنسـان علـى أنـه ميت [2]، وهذه السكرة والشدة لا يسلم منها أحد، ولو سلم منها أحد لسلم منهـا نبينـا ﷺ. عن عائشـة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فـي المـاء فيمسـح بهمـا وجهـه ويقـول:﴿لا إلــه إلا الله إن للمــوت سكرات﴾، ثم نصب يده فجعل يقول:﴿في الرفيق الأعلى﴾ حتـى قبض

(1) تفسير ابن كثير (4 / 466).
(2) لسان العرب (4 / 373).

ومالت يده [1].

إن الإنسان إذا اقترب أجله فإن الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر حتى تخرج من جسده، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين - حتى للمؤمن - بل له سكرات وغمرات ومشقات، ثم تنتزع الملائكة الروح، وهذا النزع يختلف شدة ويسراً بحسب إيمان الرجل [2].

خامساً: خروج روح المؤمن واحتضاره:

1- قال تعالى:{أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وفي قوله تعالى:{ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ } [يونس: ٦٤] قولان:

الأول: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له [3].

والثاني: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة، ويدل على هذا حديث البراء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«إن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فتخرج من**

(1) البخاري، ك الرقاق رقم 6145.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص58.
(3) سنن ابن ماجة رقم 3898 ، وسنده صحيح.

فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء﴾ [1] كلا المعنيين صحيح ولا تعارض بين هذين التفسيرين [2].

2- قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: ٣٠]، وفي قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ} [فصلت: ٣٠]؛ أي: أخلصوا لله، وقوله:{ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ} [فصلت: ٣٠]؛ أي: على طريقة رسول الله ﷺ باتباعه [3]، وفي قوله تعالى:{تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ } [فصلت: ٣٠] يبشرون عند الموت، وفي القبر، ويوم خروجهم من قبورهم [4]، قال تعالى:{ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾} [الأنبياء: ١٠٣]، وقوله:{أَلَّا تَخَافُواْ} [فصلت: ٣٠]؛ أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، {وَلَا تَحْزَنُواْ} [فصلت: ٣٠] على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه{وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: ٣٠]، فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير [5].

3- قال تعالى:{ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾} [النحل: ٣١، ٣٢]، يخبر الله - تعالى - عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون؛ أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة

(1) مسند أحمد رقم 18063، صحيح الإسناد.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص59.
(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4 / 98).
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص61.
(5) تفسير البغوي (7 / 173) بتصرف.

تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة [1]، وأن تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخَلّط [2].

قال تعالى:{يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} [الفجر: ٢٧ - ٢٨].

وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً فكما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره، وعند قيامه من قبره، فكذلك ههنا [3].

قال تعالى:{فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ} [الواقعة: ٨٨ - ٩١].

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى:{فَأَمَّآ إِن كَانَ} [الواقعة: ٨٨]؛ أي: المحتضر{مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ} [الواقعة: ٨٨] وهم فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، قوله:{فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} [الواقعة: ٨٩]؛ أي: فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت{فَرَوْحٌ} [الواقعة: ٨٩] :راحة، أو الراحة من الدنيا، (والروح): الفرح{فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} [الواقعة: ٨٩] جنة ورخاء، {فَرَوْحٌ} [الواقعة: ٨٩] :فرحمة{وَرَيْحَانٌ} [الواقعة: ٨٩] : رزق.

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص62.
(2) تفسير القرطبي (10 / 67).
(3) تفسير ابن كثير (4 / 510).

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة، والاستراحة والفرح، والسرور والرزق الحسن [1].

{وَجَنَّتُ نَعِيمٍ} [الواقعة: ٨٩]؛ أي: لا يموت أحد من الناس؛ حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار [2].

وقوله تعالى:{وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾} [الواقعة: ٩٠]؛ أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين{فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾} [الواقعة: ٩١]؛ أي: تبشرهم الملائكة بذلك، تقول لأحدهم: سلام لك؛ أي: لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين [3].

السلام في ثلاثة مواضع:

- عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الدنيا.

- عند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير.

- عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة، ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام [4].

سادساً: خروج روح الكافر، واحتضاره:

1 - قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص64.
(2) تفسير ابن كثير (4 / 300).
(3) محاسن التأويل للقاسمي (7 / 22).
(4) تفسير القرطبي (17 /151).

غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

قوله تعالى:{فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ} [الأنعام: ٩٣]؛ أي: كرباته وسكراته، وقوله:{وَلَوْ تَرَىٰٓ} [الأنعام: ٩٣] جوابه محذوف تقديره: لرأيت أمراً عظيماً، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق، والشدة في قبض الأرواح(1)، وقوله تعالى:{بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ} [الأنعام: ٩٣]؛ أي: بالضرب، كقوله:{لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى} [المائدة: ٢٨] الآية، وقوله:{وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ} [الممتحنة: ٢]، كقوله:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ} [الأنفال: ٥٠] ولهذا قال: {وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ} [الأنعام: ٩٣]؛ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم:{أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ} [الأنعام: ٩٣]، وذلك أن الكافر إذا احتُضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب القهار العظيم، فتفرق روحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم:{أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ} [الأنعام: ٩٣]؛ أي: كنتم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله (2)، ثم يبشرون بالعذاب{ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ} [الأنعام: ٩٣].

2 – قال تعالى:{ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا

(1)التسهيل لابن جزي (279/1). .
(2)تفسير القرآن العظيم (156/2) تفسير البغوي (169/3).

مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾} [الفرقان: ٢٢]، أي حرام محرم عليكم دخول الجنة (1).

وفي حديث البراء الطويل قال رسول الله ﷺ: **«وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول»** (2).

3 – قال تعالى:{ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾} [الحجر: ٢]. الآية في إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين، وقيل: إن المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً (3).

4 – قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾} [النحل: ٢٨، ٢٩].

5 – قال تعالى:{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }
[المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وهم لا يكفون عن طلب الرجعة، فيطلبونها في كل وقت وفي كل حين (4) ولهذا قال تعالى:{وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص601.
(2) مسند أحمد رقم 18013 صحيح الإسناد.
(3) تفسير القرآن العظيم (544/2).
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص69.

يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾} [المنافقون: ١٠].

وقال تعالى:{ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾} [إبراهيم: ٤٤].

قال تعالى:{يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ} [الأعراف: ٥٣].

قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾} [السجدة: ١٢].

وقال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾} [الأنعام: ٢٧ - ٢٨].

وقال تعالى:{وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾} [الشورى: ٤٤].

وقال تعالى:{قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾} [غافر: ١١].

وقال تعالى:{ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾} [فاطر: ٣٧]، فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار، يوم النشور، ووقت العرض على

الجبار، وحين يعرضون على النار، وهم في غمرات عذاب الجحيم [(1)].

6 – قال تعالى:{ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾} [محمد: ٢٧]. هذه الآية فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزع [(2)].

7 – قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ } [الأعراف: ٤٠]، وقد فسر هذه الآية النبي ﷺ في حديث البراء السابق وفيه أنه قال:«إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة – يعني عن الاحتضار – نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسَمَّى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له»، ثم قرأ رسول الله: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ } [الأعراف: ٤٠]،﴿فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلي، فتطرح روحه طرحاً﴾، ثم قرأ:{وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص70.
(2) المصدر نفسه ص72.

ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ} [الحج: ٣١]، «فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ها ها؟ لا أدري، يقولان له: لا دريت، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ها ها؟ لا أدري يقولان له: لا دريت، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: ها ها؟ لا أدري يقولان له: لا دريت، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، نَتِنُ الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة» [1].

* * *

(1) مسند أحمد رقم 18063 صحيح الإسناد.

المبحث الثاني

المــــوت

إن الحياة آية من آيات الله، والموت - كذلك - آية أخرى تضاد الحياة، ولكنها لا تقل عنها عجباً، قال تعالى:{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: ٢٨].

والتفكر في هذه الآية تفكر في خلق من خلق الله وعجائبه الدالة على عظيم قدرة الله، وعجيب أمره [1].

إن لتذكر الموت أثراً كبيراً في إصلاح النفوس وتهذيبها؛ ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع في البقاء المديد في هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصي، وقد تقصر في الطاعات، فإذا كان الموت دائماً على بال العبد فإنه يُصَغِّرُ الدنيا في عينه، ويجعله يسعى في إصلاح نفسه، وتقويم المعوج من أمره [2]، قال رسول الله ﷺ : «أكثروا ذكر هادم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها»[3].

قال العلماء: تَذَكُّرُ الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهون المصائب. وقال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بثلاثة أمور:

أحـــدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم، بالوعظ

---

(1) القيامة الصغرى ص74.
(2) المصدر نفسه ص81.
(3) صحيح الجامع الصغير (1 / 388) رقم 1222.

والتذكير، والتخويف والترغيب، وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب.

الثاني: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هادم اللذات، ومُفَرِّق الجماعات، وميتم البنين والبنات.

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته مما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمسح الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث عن العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب [1]. ذُكِرَ عن الحسن البصري أنه دخل على مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمكم الله، فقال: يا أهلاه، عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه[2]، قال أبو الدرداء: "من أكثر ذكر الموت قل فرحه، وقل حسده " [3].

قال الشاعر:

مشيناها خطًى كتبت علينا ::: ومن كتبت عليه خطًى مشاها
وأرزاق لنا متفرقات ::: فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض ::: فليس يموت في أرض سواها

وقال الشاعر:

(1) تذكرة القرطبي ص12.
(2) المصدر نفسه ص12.
(3) كتاب الزهد لابن المبارك، القيامة الصغرى ص213.

وإذا وليت قوما ليلة ::: فاعلم بأنك بعدها مسئول
وإذا حملت إلى القبور جنازة ::: فاعلم بأنك بعدها محمول

وقال آخر:

هب الدنيا تساق إليك عفواً ::: أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء ::: أظلك ثم آذن بالزوال [1]

أولاً: الحكمة من الموت:

إن الموت مرحلة يمر بها الإنسان، ومنزلة يردها، وحقيقة لا يتخطاها، وكأسٌ يتجرعها، ومنهل يستقي منه، فمن حكم الموت:

1 – في الموت تتجلى كمال قدرة الله الخالصة سبحانه وعظيم حكمته في تصريف أطوار الخلق؛ فهو الذي أنشأ هذا الإنسان من عدم، ثم أوجده طوراً بعد طور، وخلقاً بعد خلق، حتى صار بشراً سويًّا يسمع ويبصر ويعقل، ويتكلم ويتحرك، ويسالم ويخاصم، ويتزاوج ويتناسل، يعيش على أرض الله، وينال من رزق الله، ثم بعد ذلك كله يميته الله تعالى، فلا يأكل ولا يشرب، ولا يسمع ولا يبصر، ولا يعقل ولا يتحرك، فيزول بعد بقاء، ويفنى بعد وجود، وكل ذلك بتصريف الله وقدرته، وبالغ حكمته في خلق الأمور المختلفة والأحوال المتضادة [2].

قال تعالى:{فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٨٧)} [الواقعة: ٨٦، ٨٧]، تضمنت الآيتان تقريراً وتوبيخاً واستدلالاً على أصول الإيمان من وجود الخالق سبحانه، وكمال قدرته، ونفوذ مشيئته

(1) القيامة الصغرى ص79، 80.
(2) الثبات على دين الله د. الأمين الصادق (2 / 976).

وربوبيته، وتصرفه في أرواح عباده؛ حيث لا يقدرون على التصرف فيه بشيء، وأن أرواحهم بيده يذهب بها إذا شاء، ويردّها إليهم إذا شاء، ويخلي أبدانهم منها تارة، ويجمع بينها وبينهم تارة [1].

2 – إن الله تعالى خلق الموت والحياة ابتلاءً لعباده واختباراً لهم ليعلم من يطيعه ممّن يعصيه، قال سبحانه:{ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾} [الملك: ٢].

3 – لم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام، بل جعلهم خلائف في الأرض يخلف بعضهم بعضاً، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف [2].

4 – في الموت نعم عظيمة لا تتأتى للناس إلا به، فلولا الموت لما هنأ لهم العيش، ولا طاب في هذه الأرض، ولا وسعتهم الأرزاق، ولضاقت عليهم المساكن والمدن، والأسواق والطرقات.

5 – الموت يخلص المؤمن من نكد هذه الحياة التي حشيت بالغصص، وحُفَّت بالمكاره والآلام الباطنة والظاهرة إلى نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وسعادة لا تنتهي، في ظلال وارفة، وبساتين مونقة، وجنات دائمة مع خيرة الرفقاء وأطيب الأصفياء [3]، عن أبي الدرداء ﷺ كان يقول:" ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني فإن الله

(1) المصدر نفسه (2 / 977) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص149. .
(2) شفاء العليل لابن القيم ص241.
(3) الثبات على دين الله (2 / 978).

يقول:{وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ} [آل عمران: ١٩٨]، ويقول:{وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨} [آل عمران: ١٧٨](1).

6- بالموت تصل النفس إلى اليقين، وتتعرف على حقيقتها من حيث أنها مخلوقة لخالق سبحانه، وأنها مخلوقة لغاية (2).

ثانياً: ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان:

إن ساعة الموت أخطر ساعة في رحلة الإنسان الطويلة إلى ما لا نهاية للأسباب الآتية:

1- لأنها بداية الانتقال من عالم الشهادة المحسوس الذي عرفه الإنسان وألفه إلى عالم كان غيباً في الحياة الأولى، ويصير محسوساً في الحياة الجديدة التي تبدأ بالموت الجسدي؛ ليحدث للإنسان في عالم البرزخ لأول مرة عوالم تختلف كل الاختلاف عن عوالم الدنيا التي عايشها وائتلف أو تنافر معها.

2- في هذه الساعة -ساعة الموت- يرى ملائكة الله، ويسمع منهم الكلمة الفاصلة النازلة إليه من عند الله تعالى، وهي الكلمة التي هي نعيمه الأبدي أو شقاؤه الأبدي، ولو كان يملك العالم كله في هذه الساعة وقُبِلَ منه أن يضحي به، أو كان يملك ملء الأرض والسماء ذهباً وقُبِلَ منه أن يتصدق به في سبيل أن يسمع كلمة الرضا والعفو من الله في هذه الساعة لفعل وكان في منتهى السعادة، وفي هذا يقول

---

(1) تفسير القرآن العظيم (1/ 665).
(2) الثبات على دين الله (2 / 980).

الله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ } [الزمر: ٤٧].

3- كل ما جمعه الإنسان وكد فيه وسهر من أجله وقضى عمره في تخزينه وكنزه، وكل ما زرعه من حدائق غَنَّاء وبساتين فيحاء، وكل ما شيّده من دور، وما زخرفه من قصور، وكل من يحيط به من أهل وخدم وأتباع، كل ذلك ينظر إليه الإنسان حين تأتيه ملائكة الموت بحسرة وفزع، ويأس وجزع، فإنه مفارق للجميع، ومحروم حرماناً مطلقاً من كل ما جمع فأوعى، وكنز فأبقى.

إن شيئاً واحداً هو الذي يبحث عنه هذا الإنسان في لحظة موته ويوقن أن فيه نجاته وسعادته هو (العمل الصالح)، فإن كان قدَّمه فلا يضره ما ترك، وإن كان لم يُقدِّمْ صالحاً فهو القائل: { يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ } [الحاقة: ٢٧ - ٢٩].

4- تزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيعته حين يكون منكراً للحياة الآخرة، أو مغروراً بمسلكه المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن الإيمان الصحيح والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة.

إن مثل هذا النوع لم يكن يتوقع حياة أخرى بعد الموت، أو كان يتوقعها ولكنه لغروره ظن أنه على الحق، وأن غيره على باطل، اعتماداً على أوهام وخيالات، أو اتباعاً للضالين والمغضوب عليهم بدون نظر أو بحث، أو تشبعاً بهواه واستسلاماً لشياطين الإنس والجن، وهو في كل ذلك رافض لكتاب الله وحكمته، فإذا جاءه

الموت كشفت له الحقيقة، ورأى عكس ما قدر، وفوجئ بأن جميع مقاييسه كانت مغلوطة، وجميع حقائقه كانت باطلاً وزيفاً، وفي هؤلاء وأمثالهم يقول تعالى:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)} [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، وقال تعالى:{وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر: ٤٧] (1).

5- إن ساعة الموت فاصلة بين عمر مهما طال في عصرنا فلن يزيد عن مائة وخمسين سنة، وهو يعتبر صفراً إذا قيس بآلاف السنين في القبر، وخمسين ألف سنة في الموقف، ثم إلى ما لا نهاية في نعيم لا يوصف أو في شقاء لا يتصور، ففي هذا العمر القصير جدًّا يحدد المصير بالنسبة للمستقبل اللانهائي، وليس في عمر الدنيا كله يحدد مصير المستقبل، بل في سنين معدودة منه، وقد تكون أياماً، وقد تكون ساعة واحدة أو أقل يتوب الإنسان فيها، ويندم على ذنوبه، ويتضرّع إلى ربه، ويتخلص من مظالمه، فينال رضاء الله عند موته، ويطمئن على مستقبله، يا لها من سعادة في متناول الجميع! ومن مستقبل لا نهائي يحدد الإنسان مصيره في دقائق! وصدق الله القائل:{سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)} [الأعلى: ١٠ - ١٣].

لذلك كله ولغيره كانت ساعة الموت أخطر ساعة في رحلة الإنسان(2).

---

(1) رحلة الخلود، حسن أيوب ص112.

(2) رحلة الخلود ص112.

ثالثاً: أسباب حسن الخاتمة:

هناك أسباب يستدل بها على حسن الخاتمة منها:

1- إقامة التوحيد لله جلّ وعلا:

إن إقامة التوحيد في قلب المسلم يجني ثماره في حياته وعند موته وفي قبره ويوم حشره، ويكون سبباً في دخول جنات ربه ورضوانه، قال ﷺ: ﴿ فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ﴾ (1).

2- الاستقامة:

الاستقامة أعظم كرامة، وسبب عظيم في حُسن الخاتمة، قال تعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ } [الأحقاف: ١٣].

والاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، قال الصديق لما سئل عنها: ألاَّ تشرك بالله شيئاً، فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد، وقال عمر بن الخطاب: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب (2).

3- التقوى:

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾} [آل عمران: ١٠٢]، وحق تقاته، أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا

---

(1) البخاري رقم 325، مسلم 263.
(2) رحلة إلى الدار الآخرة، محمود المصري ص42، سكب العبرات، سيد العفاني (10 / 57).

ينسى، وأن يشكر فلا يكفر [(1)]. وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقاية تقيه منه؛ فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه [(2)]؛ فالتقوى سبب للخروج من كل ضيق، كما قال تعالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ} [الطلاق: ٢، ٣].

ولا شك أن العبد عند السكرات يكون في ضيق وشدة فتكون التقوى سبباً لنجاته، والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن، قال تعالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا} [الطلاق: ٤]، والتقوى سبب للنجاة من المهالك، قال تعالى:{وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢} مريم: ٧١، ٧٢] وهي سبب لدخول الجنة، قال تعالى:{تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣} [مريم: ٦٣].

4- الصدق:

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ} [التوبة: ١١٩]، وقال ﷺ :《**ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً**》 [(3)].

الصدق أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، من لم يكن معه الصدق فهو من المنقطعين الهالكين، ومن كان معه الصدق أوصله

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (4 / 157).
(2) جامع العلوم والحكم (1 / 398).
(3) صحيح الجامع رقم 4071.

إلى حضرة ذي الجلال، وكان سبباً في حُسن خاتمته وطيب المآل [1].

5- التوبة:

قال تعالى:{وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ } [النور: ٣١].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾} [التحريم: ٨].

وقال ﷺ : **﴿ إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر﴾**[2].

وقال ﷺ :**﴿إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها﴾** [3].

وأما عن شروط التوبة فهي ستة:

- الإقلاع عن الذنوب.
- الندم على فعل تلك الذنوب.
- العزم على ألا يعود إليها أبداً.
- الإخلاص في التوبة.

(1) سكب العبرات (1 / 61).
(2) مسند أحمد (9 / 17، 18) إسناده صحيح.
(3) مسلم، ك التوبة (17 / 76).

– التحلل من المظالم، لقوله ﷺ :﴿من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات﴾ [1].

6– الدعاء:

كان من دعاء الصالحين أن يتوفاهم الله حين انقضاء آجالهم وهم متمسكون بالطاعات ملازمون لها، ومجانبون للمعاصي مفارقون لها، مصاحبون للأبرار معدودون في زمرتهم، مجافون للفجار حائدون عن صحبتهم، وفي ذلك يقول عنهم المولى عز وجل:{ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾} [آل عمران: ١٩٣].

لقد كان ذلك مطلب يوسف عليه السلام حين دعا ربه عند انقضاء أجله وذهاب عمره أن يميته على الإسلام ويثبته عليه [2]، قال تعالى: {رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ }

[يوسف: ١٠١].

7– قصر الأمل، والتفكر في حقارة الدنيا:

قال تعالى:{ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا

(1) رحلة إلى الدار الآخرة ص51.
(2) الثبات على دين الله (2 / 1042).

مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾} [الحديد: ٢٠].

وقال ﷺ: ﴿**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً**﴾ (1).

فالمؤمن يعلم يقيناً أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنه سينسى كل شقاء بغمسة واحدة في جنة الرحمن جلّ وعلا، ولذلك فهو لا يتعلق قلبه بأي شيء من حطام الدنيا، بل يمسى ويصبح وهو مشغول بالعمل لهذا الدين، ولا يرى أمام عينيه إلا الجنة والنار، فهو يعلم يقيناً أنه لا راحة إلا في جنة العزيز الغفار (2).

8- الإكثار من ذكر الموت:

ذكر الموت ينغص اللذات، ويحقر الشهوات، ويجعل الآخرة نصب العين، ومشاهدة المحتضرين والنظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم في طلوع الروح وشدة كربهم أعظم عبرة، وتغسيل الموتى يرق به القلب وتذرف العينان، ورؤية القبور وسكونها تعجل بالتوبة فتكون سبباً لحسن الخاتمة (3).

وكان عثمان بن عفان ﷺ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: ﴿**إن القبر أوّل منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجح منه فما بعده أشد منه**﴾ وقال رسول الله ﷺ: ﴿ما

(1) رحلة إلى الدار الآخرة ص52، صحيح الجامع رقم 3414.
(2) رحلة إلى الدار الآخرة ص52.
(3) سكب العبرات (1 / 64).

رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه﴾ (1).

وزيارة القبور تذكر بالموت فيزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة، ويتعظ بها ويعتبر، وقد بيّن القرطبي-رحمه الله- بعبارات مؤثرة كيف تتحقق للزائر العبرة والعظة فقال: "يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمّل بعدهم نساؤهم، وشمل ذلّ اليتم أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم.. وعند هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه وتخشع جوارحه" (2).

9- غلبة الرجاء، وحسن الظن بالله:

قال تعالى:{مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} [العنكبوت: ٥]، ومدح أهله وأثنى عليهم، قال تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١].

والخوف والرجاء كجناحي طائر إذا استويا استوى الطائر وتمّ

(1) سنن الترمذي، ك الزهد رقم 2308.
(2) الثبات على دين الله (1 / 1029).

طيرانه، وإن نقص أحدهما وقع في الطائر النقص، وإن ذهب أحدهما أو كلاهما صار الطائر عرضة للهلاك [(1)].

ولذا جمع الله بينهما في غير موضع، فقال عزّ شأنه:{ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾} [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

وقال سبحانه:{ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾} [الزمر: ٩].

ولا يجتمع الخوف والرجاء في قلب العبد عند سكرات الموت ومفارقة الحياة إلا أعطاه الله ما يرجوه من الرحمة، وآمنه مما يخافه من العقوبة والمغفرة [(2)]، ولكن ينبغي أن يغلّب عند الموت جانب الرجاء على الخوف، وأن الله - تعالى - يرحمه ويعفو عنه، ويتجاوز عن سيئاته، وذلك حسن الظن الذي عناه النبي ﷺ في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري حين قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول:《**لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله عزّ وجلّ**》 [(3)]، وذلك عند انقطاع العمل، وتبدّد الأمل في بقاء، وحياة ولم يتبق له إلا التعلق بعفو الله ورحمته، وعظيم فضله، ورجاء

---

(1) مدارج السالكين (2 / 36).
(2) الثبات على دين الله (1 / 1038).
(3) مدارج السالكين (2 / 45 - 46).

كرمه، ورحمة الله تسبق غضبه، والعفو أحب إليه من الانتقام (1).

10- البعد عن أسباب سوء الخاتمة:

فإن من أسباب حُسن الخاتمة، الخوف من سوء الخاتمة والبعد عن أسبابها، وهي فساد المعتقد، والانغماس في البدع، النفاق ومخالفة الباطن للظاهر، التسويف بالتوبة، طول الأمل وحب الدنيا، تعلق القلب بغير الله، إلف المعاصي والإصرار عليها، الانتحار واليأس من رحمة الله، مصاحبة أهل الفساد، عدم الاستقامة على الطاعة (2).

رابعاً: من علامات حسن الخاتمة:

علامات حسن الخاتمة التي جاءت في أحاديث رسول الله ﷺ كثيرة، منها من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، الموت برشح الجبين، الموت يوم الجمعة، القتل في سبيل الله، الموت غازياً في سبيل الله، الموت بالطاعون، الموت بداء البطن، الموت بالغرق، الموت بالهدم، الموت في سبيل الدفاع عن المال والدين والنفس، موت المرأة في نفاسها؛ بسبب ولدها، الموت مرابطاً في سبيل الله، الموت على عمل صالح؛ وقد قام الدكتور محمد حيدر بجمعها ودراستها في رسالته المقدمة لنيل رسالة الدكتوراه بجامعة أم درمان المسماة أحاديث حياة البرزخ في كتب التسعة جمعاً وتخريجاً ودراسة، من أراد التوسع فليرجع إليها.

خامساً: من أسباب سوء الخاتمة:

---

(1) الثبات على دين الله (1 / 1039).

(2) رحلة إلى الدار الآخرة ص54.

أسباب سوء الخاتمة كثيرة، نذكر منها على الإجمال:

الشك والجحود، والتعبد بالبدع، تسويف التوبة، عدم الاستقامة على الطاعة، طول الأمل، حب الدنيا، صحبة الأشرار، مخالفة الباطن الظاهر، تعلق القلب بغير الله، سوء الظن بالله، الإصرار على الذنوب والمعاصي، نسيان الآخرة وعدم ذكر الموت، الظلم (1).

وقد تحدث العلماء عن علامات سوء الخاتمة وذكروا منها الأمن من مكر الله - عز وجل - كأن بعضهم آتاهم الله ميثاقاً ألا يعذبهم والغفلة عن ذكر الله عز وجل، والنفاق، والرياء، وحب السمعة، وغير ذلك من العلامات (2).

سادساً: قبض أرواح العباد:

قال تعالى: {وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾} [السجدة: ١٠، ١١].

وقال تعالى: {وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾} [الأنعام: ٦١، ٦٢].

وقال العلماء للجمع بين الآيات السابقة: إن الملائكة الذين هم أعوان ملك الموت ينزعون الأرواح، وملك الموت الذي هو رئيسهم يقبضها إذا بلغت الحلقوم، وهناك رأي آخر، وهو أن أعوان ملك

---

(1) رحلة إلى الدار الآخرة ص79 - 96.
(2) سكب العبرات (1 / 114).

الموت يقومون بقبض الأرواح بأمر ملك الموت [(1)].

سابعاً: الموت مكتوب على الخلائق، ولا ينجو منه هارب:

إن الله تعالى خلق عباده، وقدّر لهم آجالاً إليها ينتهون، فلا يتقدمون عنها ولا يتأخرون، كما قال سبحانه:{نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠)} [الواقعة: ٦٠].

وكتب أجل كل منهم في كتاب عنده لا يزاد فيه ولا ينقص منه، كما قال تعالى:{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا} [آل عمران: ١٤٥].

وجعله حتماً لازماً لا بد لكلّ نفس من تجرع غصصه ولو كان الميت رسولاً أو نبيًّا أو وليًّا، حيث قال:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)} [آل عمران: ١٨٥]، وقال:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)} [العنكبوت: ٥٧] إذ لا باقي إلا سبحانه:{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨].

وهو الوارث لجميع خلقه بعد فنائهم وانقضاء آجالهم:{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)} [مريم: ٤٠].

وهو المحيي والمميت، الذي بيده الإحياء والإماتة لا بيد العباد، وليس في ملكهم ومقدرتهم، كما قال عز وجل:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ

(1) رحلة الخلود، حسن أيوب ص113.

وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾} [آل عمران: ١٥٦].

والعبد لا يمكنه أن يدفع غائلة الموت عن نفسه مهما بلغ حرصه عليها، ولذا عاب الله على أهل النفاق تثبيطهم عن الجهاد بزعمهم أن القعود عنه ينجي من الموت [1]، فقال سبحانه في شأنهم:{ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾} [آل عمران: ١٦٨].

فالموت لا ينجِّي منه هرب، ولا يغني عنه جزع، ولا يدفع عنه حذر، ولو تُحصَّن منه بالقصور المنيعة، والمساكن الرفيعة، قال تعالى: {أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ} [النساء: ٧٨]، ولا ينجو منه فار، ولا يسلم منه هارب، وقد أبان الله ذلك لليهود مع كراهيتهم له، وخوفهم منه، في قوله:{قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} [الجمعة: ٨].

وأنذر المنافقين بأن فرارهم منه لا يزيد في أعمارهم، ولا يؤخر في آجالهم، بل بقاؤهم في الدنيا إلى قدر مقدور، وأجل مكتوب [2]، كما قال سبحانه:{قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾} [الأحزاب: ١٦].

ولم يُطَمِّعْ الله بشراً في الخلود في الأرض ولو فعل لكان أولى بذلك رسول الله ﷺ [3]، قال تعالى:{إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ

(1) الثبات على دين الله (1 / 1046).
(2) الثبات على دين الله (1 / 1046).
(3) الثبات على دين الله (1 / 1046).

ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾} [الزمر: ٣٠، ٣١].

ثامناً: الآجال محدودة:

إن الله تعالى جعل لكل أحد من الخلق أجلاً معيناً ووقتاً محدوداً، فإذا جاء أجله وحلّ وقت زواله لا يتقدم عنه برهة من الزمن ولا يتأخر، لا الأمم مجتمعة ولا أفرادها، قال تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾} [الأعراف: ٣٤]، وقال سبحانه: { وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾} [الحجر: ٤، ٥].

هذا عن الأمم. وأما عن الأفراد فقد قال:{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا } [آل عمران: ١٤٥]؛ أي: بأجل محدود مقيّد، إلى وقت معلوم بقضاء من الله مبرم وقدر محكم؛ فالآجال محدودة بأزمنة وأمكنة لا يتخطاها المرء ولا يتعداها ولو سلك كل سبيل [1].

ولو أن العباد استحقوا الهلاك والفناء بسبب ظلمهم ما بادرهم الله بذلك حتى يبلغوا منتهى أعمارهم وغاية آجالهم، وفي ذلك يقول سبحانه:{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾} [النحل: ٦١].

ويقول:{وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾} [فاطر: ٤٥].

(1) المصدر نفسه (1 / 1046).

والمرء لا يدري متى يحل به ذلك الأجل؛ لأن ذلك من علم الغيب الذي طواه الله عن خلقه، قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾} [لقمان: ٣٤].

وقد بَيَّنَ النبي ﷺ أنّ هذه الخمسة هي مفاتيح الغيب التي أخفاها عن عباده [1]، فالإنسان لا يعلم متى ينقضي أجله، وفي أي بقعة يكون مضجعه أفي بر أم في بحر، وفي سهل أم حزن، وقريب ذلك أم بعيد، كما قال سبحانه:{ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾} [الأعراف: ١٨٥]. ولقد دعا الرسول ﷺ إلى المبادرة بالطاعة، وذلك باستنفاد العمر في ملازمة التقوى، وبذل الصحة قبل حلول العلل، ومجاهدة النفس قبل وقوع الآجل [2]، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال:﴿كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل﴾ وفيه:﴿خذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك﴾ .

---

(1) صحيح البخاري، ك التفسير رقم 4697.

(2) الثبات على دين الله (2 / 1054).

[1]، وكان ابن عمر يقول: " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء" [2]، وفي رواية: ﴿وعدّ نفسك في أهل القبور﴾ [3]، والمعنى: استمر سائراً ولا تفتر، فإنك إن قصّرت انقطعت وهلكت.

(1) البخاري، ك الرقاق رقم 6416.
(2) البخاري رقم 6416.
(3) سنن الترمذي، ك الزهد، رقم 2333 وصححه الألباني.

المبحث الثالث

حياة البرزخ

جاءت النصوص بإثبات الحياة في البرزخ، وهي حياة تخالف الحياة المعهودة في الدنيا؛ فالله سبحانه جعل الدور ثلاثاً؛ دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وَرَكَّبَ هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً أبديًّا أصلاً [(1)].

"البرزخ": اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، قال تعالى:{وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ١٠٠].

ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه، اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة [(2)]، قال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

أولاً: الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر:

1- قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

ففي قوله:{ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ} [الأنعام: ٩٣]، الآية تبين حال المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة وتخبره أنه سوف يعذب اليوم،

(1) كتاب الروح لابن القيم ص88، 89، الوعد الآحروي شروطه وموانعه، عيسى السعدي ص89.

(2) تفسير القرطبي (12 / 150)، أحاديث حياة البرزخ ص32.

يعني يوم موته، وهذا يدل على أن العذاب يكون قبل يوم القيامة؛ ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر، ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم:{ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ} [الأنعام: ٩٣] (1).

2- قال تعالى:{ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾} [التوبة: ١٠١]، قوله تعالى:{سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ} [التوبة: ١٠١]: المرة الأولى في الدنيا، من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله:{ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ} [التوبة: ١٠١] (2).

3- قال تعالى:{ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر: ٤٥، ٤٦]، وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله:{أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ } [غافر: ٤٦].

4- قال تعالى:{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾} [السجدة: ٢١]. وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر، فإنه - سبحانه - أخبر أن له فيهم

(1) الروح ص132.
(2) تفسير الطبري (14 / 441).

عذابين: أدنى، وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بها بعد عذاب الدنيا [1]، ولهذا قال:{مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ } [السجدة: ٢١]، يعني به عذاب القبر [2].

5- قال تعالى:{ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾} [الطور: ٤٥ - ٤٧].

عن قتادة أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله:{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ } [الطور: ٤٧] [3].

6- قوله تعالى:{أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ } [التكاثر: ١ - ٢] فيه الحديث عن عذاب القبر [4].

7- قال تعالى:{مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾} [نوح: ٢٥]، قوله:{فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا } [نوح: ٢٥]؛ أي: بعد إغراقهم، وهذا يدل على عذاب القبر [5].

ثانياً: فتنة القبر وسؤال الملكين:

لقد جاءت الأحاديث بفتنة القبر وسؤال الملكين، ومما يستدل به من القرآن على سؤال الملكين قول الله تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [إبراهيم: ٢٧].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص98.
(2) دراسات عقدية في الحياة البرزخية للحازمي ص311.
(3)المصدر نفسه ص312، تفسير الطبري (11 / 499).
(4)أهوال القبور لابن رجب ص79.
(5) تفسير القرطبي (18 / 201).

وعن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله﴾، فذلك قوله تعالى: { يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال نبي الله ﷺ: ﴿إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه يسمع قرع نعالهم، يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة﴾ قال نبي الله ﷺ: ﴿فيراهما جميعاً وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين﴾ (1).

1- اسم الملكين: منكر ونكير:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا قُبر الميت، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبده ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يُنَوَّرُ له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه

(1)البخاري، ك الجنائز رقم 1374.

ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولـون فقلـت مثلـه لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقـول ذلـك، فيقـال لـلأرض: التئمـي عليـه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله مـن مضجعه ذلك﴾ [1].

2- عودة الروح إلى الميت عند السؤال:

ومما يستدل به على عودة الروح إلى جسد الميت عند السؤال حديث البراء بن عازب والذي سنذكره بطوله، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال:﴿استعيذوا بالله من عذاب القبر﴾ - مرتين أو ثلاثا - ثم قال:(إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الـدنيا، وإقبـال مـن الآخـرة نـزل إليـه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منـه مـد البصر، ثـم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسـه، فيقـول: أيتهـا الـنفس الطيبـة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسـيلُ القطـرة من في السقّا، فيأخُذُها، فإذا أخـذها لم يَـدَعوها في يـده طرفـة عـين حتـى يأخذها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَتْ على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون – يعني بها – على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولـون:

---

(1) سنن الترمذي رقم 1071 وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 1391.

فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليّين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقتُ، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة، سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجِدَتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح

الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ها ها؟ لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاها؟ لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاها؟ لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب، فأفرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويُضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربّ لا تقم الساعة» (1).

3- ما ينتفع به الميت من عمل الأحياء:

ينتفع الأموات من سعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج، والأدلة على ذلك منها:

---

(1) مسند أحمد رقم 18534 وإسناده صحيح.

أ – قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠]. فأثنى الله عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

ب – والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة. وكذا الدعاء له بعد الدفن؛ ففي سنن أبي داود من حديث عثمان بن عفان ﷺ، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال:﴿استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل﴾ [1]، وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا:﴿السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية﴾ [2].

– وأما وصول ثواب الصدقة في الصحيحين فعن عائشة ﵂: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي افتُلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجرٌ إن تصدقت عنها؟ قال:﴿نعم﴾ [3].

وأما وصول ثواب الصوم ففي الصحيحين فعن عائشة ﵂ أن

(1) الحاكم (1 / 370)، وصححه، ووافقه الذهبي.
(2) مسلم رقم 249 ، وسنن أبي داود رقم 3237.
(3) البخاري رقم 1388.

رسول الله ﷺ قال: ﴿**من مات وعليه صيام صام عنه وليُّه**﴾ (1).

وأما وصول ثواب الحج ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحجّ فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: ﴿**نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضية؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء**﴾(2).

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يُسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة؛ حيث ضَمِن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما قال النبي ﷺ: ﴿**الآن برّدت عليه جلدته**﴾ (3).

وهذا جار على قواعد الشرع، وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يُمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله له في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته (4)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**﴾ (5).

---

(1) مسلم رقم 1147.
(2) البخاري رقم 1852.
(3) أورده الهيثمي في المجمع (3 / 39) وإسناده حسن.
(4) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية للغنيمي ص 248.
(5) مسلم رقم 1631.

وقد تحدث العلماء في الصدقات الجارية، بابها واسع وكبير، من بناء المساجد والآبار، والمدارس والمعاهد، وطباعة العلوم النافعة، وكفالة الأيتام والأرامل، وطلاب العلم... إلخ.

4- بكاء السماء على الميت:

قال رسول الله ﷺ :《**ما من مؤمن إلا وله بابان: باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه**》 فذلك قوله عزّ وجلّ:{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾} [الدخان: ٢٩] (1).

5- ما يتبع الميت إلى قبره:

قال رسول الله ﷺ《**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**》 (2).

6- القبر أول منازل الآخرة:

قال رسول الله ﷺ :《**إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**》، وقال رسول الله:《**ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه**》 (3).

7- نعيم القبر وعذابه ينال من دفن ومن لم يدفن:

عذاب القبر ونعيمه ينال من دفن ومن لم يدفن، ومن أكلته السباع أو مُزِّق جسده، أو أُحرق وذُرّ رماد جسمه في البر أو البحر، أو من كان في ثلاجات الموتى فترات طويلة، أو من أُغرقَ أو صُلِب، أو

---

(1) سنن الترمذي رقم 3255، ضعيف الإسناد.
(2) البخاري رقم 6514.
(3) سنن الترمذي رقم 2308، صحيح الجامع الصغير رقم 5623.

كلّ من لم يدفن بحال من الأحوال، فإنه يناله عذاب القبر أو نعيمه، وإنه يحيا حياة برزخية حتى يوم القيامة [1].

8- الحكمة من عذاب القبر ونعيمه:

هناك مجموعة من الحكم في عذاب القبر ونعيمه منها:

- إظهار فضل الله تعالى على عباده المؤمنين الصالحين في تنعيمهم في الحياة البرزخية وإذلال وتعذيب المكذبين العاصين والعياذ بالله.

- إظهار قدرة الله تعالى في تعذيب العصاة والكافرين، وتنعيم المؤمنين الصّادقين في القبر دون أن يشعر بذلك سائر البشر.

- أَنَّ المكلفين عندما يعلمون أن هناك عذاباً في القبر أو في الحياة البرزخية، فإن ذلك يكون رادعاً ومانعاً لهم عما يسوء ويشين فعله في الآخرة.

- التحذير من بعض الذنوب والمعاصي، والتي يكون لها عقوبات خاصة تناسبها، كعدم التنزه من البول والنميمة وغير ذلك.

- قد يكون العذاب في القبر أو في الحياة البرزخية مكفراً لبعض الذنوب والمعاصي التي ألم بها العبد في الحياة الدنيا، فيأتي يوم القيامة ولا ذنب له.

- إنه قد يكون العذاب في القبر تخفيفاً لعقوبة ذلك العبد في النار يوم القيامة [2].

---

(1) دراسات عقدية في الحياة البرزخية ص348.
(2) دراسات عقدية في الحياة البرزخية ص358، 359.

9- هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟

يختلف عذاب العصاة من المؤمنين؛ فمنهم من يعفو الله عنهم فلا يعذبهم في قبورهم، ومنهم من تكون معاصيه صغيرة فيعذبون بقدرها، ثم يرفع عنهم العذاب، وقد ينقطع أو يرتفع بدعاء أو صدقة، أو استغفار، أو ثواب حج [1]، أو غيرها من أعمال الخير، ومنهم من تكون معاصيه كبيرة فيستمر به العذاب؛ لقول النبي ﷺ: **﴿بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة﴾** [2].

وأما الكافر والمنافق فيستمر عذابه إلى يوم القيامة ولا يتوقف، والدليل على ذلك قول الله تعالى:{ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر: ٤٦]، وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: **﴿ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة﴾** [3].

وأما قول الله تعالى:{يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ} [يس: ٥٢] فقال العلماء: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنّوم [4].

قال الإمام الطبري في قوله تعالى:{قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ} [يس: ٥٢]: هؤلاء المشركون لما نُفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة

(1) المصدر نفسه ص249.
(2) البخاري رقم 3485.
(3) مجمع الزوائد (2 / 328)، رجاله ثقاة.
(4) دراسات عقدية في الحياة البرزخية ص350.

ردّت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها:{قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} [يس: ٥٢]، وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين [1].

وقال العلامة الشنقيطي عن هذه الآية: " والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث، كما قال غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون أي: هذا البعث بعد الموت " [2].

وقال ﷺ **《ما بين النفختين أربعون》** قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق [3].

وفي هذا الحديث دلالة على أنهم يموتون بين النفختين مقدار أربعين، ولم تُحدد تلك الأربعون، وإن ذهب بعض أهل التفسير إلى أنها أربعون سنة [4].

وقال النبي ﷺ :**《لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم، فأكون أول من يُفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن**

(1) تفسير الطبري (10 / 450 - 451).
(2) أضواء البيان (6 / 489، 490).
(3) مسلم، ك الفتن رقم 2955.
(4) دراسات عقدية ص353.

استثنى الله﴾ [1].

إن الآيات والأحاديث الدّالة على استمرار العذاب، من باب العموم، وقد خَصَّصْتُ بآية (يس)، وبالأحاديث السابقة الذكر في هذا القول [2].

ثالثاً: أسباب عذاب القبر:

ما الأسباب التي تعذب به أصحاب القبور؟ جوابها من وجهين: مجمل، ومفصل:

أما المجمل فإنهم يُعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضبه وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر، ومصدق ومكذب.

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما، يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول؛ فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله.

فالنمام، والكذّاب، والمغتاب، وشاهد الزور، وقاذف المحصن،

---

(1) دراسات عقدية في الحياة البرزخية ص353.
(2) المصدر نفسه ص354.

والـداعي إلـى البدعـة، والقائـل علـى الله ورسـوله مـا لا علـم لـه، والمجازف في كلامه، وآكل الربا، وآكل أموال اليتامى ظلماً، وآكل السحت من الرشوة، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد، وشارب المسكر، وآكل لقمة الشجرة الملعونة (الحشيش)، والزانـي، واللـواطي، والسـارق، والخـائن، والغـادر، والمخـادع، والماكر، وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه، والمحلل والمحلل لـه، والمحتـال علـى إسـقاط فـرائض الله وارتكـاب محارمـه، ومـؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل، والمفتي بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم الله، والملحد في حرم الله، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، ونوّاحي جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور يوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون في استيفاء مالهم إذا أخذوا، وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون، والمـراءون، والهمـازون، واللمـازون، والطـاعنون علـى السـلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرّافين، فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر، والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق اتقاء شره وفحشه والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها، وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه، ولا يحج

مع قدرته على الحج، ولا يؤدي الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة، ولا أكلة ولا خطوة، ولا يبالي بما حصل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين، ولا الأرملة ولا اليتيم، ولا الحيوان البهيم، بل يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي العالمين، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يُعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين، والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب وظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي باطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات، كما تغلي القبور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها [1].

وهذه بعض أسباب عذاب القبر:

1- الشرك بالله والكفر به:

من أعظم أسباب عذاب القبر الإشراك بالله، قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

2- النفاق:

قال تعالى:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟

(1) الروح لابن القيم ص103 - 106.

عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾} [التوبة: ١٠١]، سنعذبهم مرتين: إحداهما في الدنيا، والآخرة: هي عذاب القبر.

3- النميمة وعدم الاستتار من البول:

عن ابن عباس رضي الله عنه، مر النبي ﷺ على قبرين فقال: ﴿**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله**﴾ قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز [1]، كل واحد منهما على قبر، ثم قال: ﴿**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**﴾ [2].

4- الغلول [3] :

عن أبي رافع رضي الله عنه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بالبقيع، فقال: ﴿**أف لك، أف لك**﴾ فظننت أنه يريدني، فقلت: يا رسول الله أحدثت شيئاً؟ قال: ﴿ **وما ذاك**﴾؟ قلت: أففت مني. قال: ﴿**لا ولكن صاحب هذا القبر فلان، بعثته ساعياً على بني فلان فغلّ درعاً، فدُرّع الآن مثلها من النار**﴾ [4].

5- جرّ الإزار من الخيلاء:

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿ **بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء**

(1) الغرز: الإدخال (النهاية) (3 / 359).
(2) البخاري، ك الجنائز، رقم 1378.
(3)الغلول: الخيانة.
(4)مسند أحمد (6 / 392).

خُسف به فهو يُجلجل [1] في الأرض إلى يوم القيامة﴾ [2]، وإنما خص الإزار بالذكر؛ لأنه هو الذي يظهر به الخيلاء غالباً [3].

6- حبس المدين في قبره بدينه:

روى سعد بن الأطول ﷺ أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي نبي الله ﷺ :﴿إن أخاك محبوس بدينه، فاذهب فاقض عنه﴾ فذهبت فقضيت عنه ثم جئت، قلت: يا رسول الله، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بينة، قال:﴿أعطها فإنها محقة﴾ وفي رواية:﴿صادقة﴾ [4].

7- عقوبة الآخذ بكتاب الله ثم رفضه، والنائم عن الصلاة المكتوبة:

فقد جاء في حديث سمرة بن جندب ﷺ الطويل جواب الملكين عن سؤال النبي ﷺعما رأى في ليلته معهما فقالا له:﴿أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر [5]، فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة﴾ [6].

فالجزاء من جنس العمل، فلأن هذا الرجل رفض القرآن وجعله وراء ظهره وتثاقل عنه وكذلك عن الصلاة المكتوبة، فلم يصلها مع عباد الله في جماعة المسلمين، بل ثقل رأسه على الفراش، فجزاؤه

(1)يجلجل: الحركة مع الصوت.
(2)البخاري رقم 3485.
(3)فتح الباري (10 / 272).
(4)أحكام الجنائز للألباني ص15، إسناده صحيح.
(5) يثلغ رأسه: أي: يشدخه ويشقه.
(6) البخاري رقم 7047.

أن يثلغ ويرضخ هذا الرأس الذي هذا فعله وشأنه، وهكذا يُعَذَّبُ إلى قيام الساعة، فقد جاء في بعض الروايات:﴿فيفعل به إلى يوم القيامة﴾ [1].

8- عقوبة الكذاب:

وفي حديث سمرة -أيضاً- ما أجاب الملكان عن عقوبة ذلك الرجل الذي يشرشر ويمزق ويقطع شدقه وعينه ومنخره إلى الخلف، إنه الكذب الذي يفشو كذبه وينتشر على الملأ؛ حيث قالا للنبي ﷺ : ﴿وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق﴾ [2]. فانظر إلى عقوبة هذا الداء العضال، والمرض الاجتماعي الذي يجب على المسلم تحاشيه؛ فإنه من صفات المنافقين عياذاً بالله من كل سوء [3].

9- عقوبة الزناة والزواني:

في حديث سمرة أيضاً المتقدم جاء فيه:﴿فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصوات، قال: فطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء وعراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، إذا أتاهم ذلك اللهبُ ضوضوا﴾ أي صاحوا: وفي آخر الحديث:﴿وأما الرجال والنساء والعُراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزُّناة والزواني﴾[4].

---

(1) الكبائر والصغائر حامد محمد المصلح ص137.
(2) البخاري رقم 7047.
(3) الكبائر والصغائر ص137.
(4) البخاري رقم 7047.

ومناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا، لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلي [1].

10- عقوبة آكل الربا:

وفي الحديث السابق أيضاً: ﴿فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر [2]؛ أي: يفتح له فاه فيُلقمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر فاه فألقمه حجراً﴾... الحديث، وفي حديث آخر: ﴿وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا﴾ [3].

11- الإفطار في رمضان من غير عذر:

عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتياني جبلاً وعراً فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيقه فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً، قال: قلت: من هؤلاء؟ قالا: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم﴾ [4].

---

(1) فتح الباري (12 / 465).
(2) فيفغر: أي: يفتح.
(3) البخاري رقم 7047.
(4) رواه ابن خريمة، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ص995.

12- من حرمت رضيعها من ثديها:

إذا عمدت الأم إلى حرمان ابنها من هذا اللبن الذي خَلَقَه الله تعالى في ثديها، وأعطته بدلاً منه لبناً صناعيًّا لا يقوم مقامه ولا يماثله - وهل يصنع الناس كما يصنع بهم؟ فإن النتيجة أن الوليد سينشأ ضعيفاً وتعاقب الأم على ذلك في قبرها بعد موتها؛ ففي حديث أبي أمامة:﴿ثم انطلق بي فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات قلت: ما بال هؤلاء؟ قال: هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن﴾ [1].

13- حبس الحيوان وتعذيبه:

ففي حديث جابر في صلاة الكسوف قال النبي ﷺ :﴿ وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش [2] الأرض حتى ماتت جوعاً﴾ [3].

14- الذين يقولون ما لا يفعلون:

قال تعالى:{أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾} [الصف: ٢، ٣].

وقال ﷺ :﴿رأيت ليلة أسري بي رجالاً تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر

---

(1) صحيح ابن خزيمة رقم 70، حياة القبر حسن زكريا ص59.
(2) خشاش الأرض: الحشرات والهوام.
(3) مسلم، ك الكسوف رقم 904.

وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب، أفلا تعقلون﴾ [1].

15 – النياحة على الميت:

قال ﷺ :﴿الميت يُعذَّب في قبره بما نيح [2]عليه﴾، وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :﴿ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واجبلاه واسنداه أو نحو هذا إلا وكلّ به ملكان يلهزانه أهكذا كنت﴾ [3]، وهذا محمول على أنه أوصاهم بذلك، أو علم أنهم سينوحون عليه ثم لم ينههم، قال ابن المبارك: (إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئاً من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء، والعذاب عندهم بمعنى العقاب).

16 – السرقة:

وأما عذاب السارق في البرزخ ففيه حديث رسول الله ﷺ عن جابر، حيث قال رسول الله:﴿وحتى رأيت فيها صاحب المحجن [4]، يجر قعبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن له قال: إنما تعلق محجني، وإن غفل عنه ذهب به﴾ [5].

17 – الإعراض عن ذكر الله:

قال تعالى:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾} [طه: ١٢٤].

وفُسِّرتْ المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة

(1) السلسلة الصحيحة للألباني رقم 291.
(2) البخاري (3 / 161).
(3) صحيح سنن الترمذي (1 / 294).
(4) عصا معقوفة.
(5) مسلم، ك رقم 904.

الضنك[1]، فالمعيشة - الضنك - لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه، وفي البرزخ في يوم معاده [2]، والآية تتناول ما هو أعم منه [3].

رابعاً: الأسباب المنجية من عذاب القبر:

من الأسباب المنجية لعذاب القبر تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة، ويعزم على ألا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته، وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وفّقه لذلك، ولا قوة إلا بالله [4].

أما الجواب المُفصّل فنذكر مما ينجي من عذاب القبر:

1- توحيد الله تعالى:

لقد كان توحيد الله - سبحانه - دوماً في مقدمة الأعمال الصالحة؛ لأنه أساسها وأصلها الذي تنبني عليه، وإذا فقد أو خرم انهار

---

(1) حياة القبر عذاب أم نعيم، حسن زكريا ص55.
(2) الداء والدواء لابن القيم ص137، 163، 164.
(3) الرحلة إلى الدار الآخرة ص196.
(4) الرحلة إلى الدار الآخرة ص 199.

صرحها، وتهاوى بنيانها، وهو أعظم عامل للثبات في جميع المواطن، وفي هذا الموطن جاء الدليل من الكتاب والسنة على أهمية التوحيد في ثبات المؤمن في القبر [1]، قال الله تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [إبراهيم: ٢٧].

والقول الثابت هو كلمة التوحيد، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فلا يثبت في القبر إلا الموحد الذي عرف الله حق المعرفة، وآمن به إيماناً صادقاً، ولم يعرف لعبادة سواه، بل وحّده في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته [2].

2- الاستقامة على طاعة الله عزّ وجلّ:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: ٣٠]؛ فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه؛ فمن عاش على الطاعة مخلصاً لله ومتبعاً له ومتبعاً لهدى رسول الله ﷺ فإنه يموت على الطاعة، وينور الله له قلبه بتلك الطاعة، بل ويصبح قبره روضة من رياض الجنة، جزاءً لكل لحظة عاشها في طاعة الله جلّ وعلا [3].

---

(1) الثبات على الدين (2 / 1137).
(2) المصدر نفسه (2 / 1138، 1139).
(3) الرحلة إلى الدار الآخرة ص201.

3- الصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات:

قال النبي ﷺ :﴿إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصّلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصّلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس وقد مثّلت له الشمس وقد أدنيت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم؟ ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرنا نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم؟ ما تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ قال: فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حيت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدأ منه، فتجعل نسمته [1] في النسم الطيب، وهو طير يعلق [2] في شجرة الجنة؛ قال: فذلك قوله تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ } [إبراهيم:

(1) نسمته: النسمة هي النفس والروح.
(2) تعلق: أي: تأكل.

٢٧]﴾[1].

لقد بينت الأحاديث أن لهذه الطاعات أثراً عظيماً في القبر، فهي تحيط بالمؤمن من جميع جوانبه وتحميه وتدافع عنه [2].

4- الشهادة في سبيل الله تعالى:

قال تعالى:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾} [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

وقد جاء بيان ذلك في حديث ابن مسعود ﷺعندما سأله مسروق عن معنى الآية الأولى فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال:﴿**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطّلع عليهم ربهم اطّلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلمّا رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**﴾ [3].

فالشهداء أرواحهم حية عند الله حياة برزخية، مودوعة في أجواف طير خضر، تتنعم بنعم الله، وترتزق برزق الله، تسرح من الجنة حيث شاءت، تأكل من ثمارها، وتلتذ بنعيمها، وهي مغتبطة فرحة بما نالت من أجر وحظيت من كرامة، بل تتمنىّ أن تعود إلى الدنيا؛

(1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، رقم 3113.
(2) الثبات على دين الله (2 / 1141).
(3) مسلم، ك الإمارة رقم 1887.

لتقتل في سبيل الله مرة أخرى لما رأت من فضل الشهادة وعظيم ثوابها [1].

ولقد بيَّن النبي ﷺ أن من قتل في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه أمن من فتنة القبر وسلم منها، فلما سئل رسول الله وقيل له: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال:﴿كفى ببارقة [2] السيوف على رأسه فتنة﴾ [3]، وقال رسول الله ﷺ : ﴿من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره﴾ [4]، وقال رسول الله ﷺ :﴿للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوّج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه﴾ [5].

5- الرباط في سبيل الله:

فعن فضالة بن عبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:﴿كل الميت يختم على عمله إلا المرابط، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويُؤَمَّنُ من فتان القبر﴾ [6]، وفي رواية قال:﴿يُنمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر﴾ [7]، وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(1) الثبات على دين الله (2 / 1143).
(2) بارقة السيوف: أي: لمعانها.
(3) سنن النسائي رقم 2053 صححه الألباني.
(4) مستدرك الحاكم (2 / 130)، صحيح الإسناد.
(5) سنن الترمذي رقم 1663، صحيح الإسناد.
(6) سنن أبي داود رقم 2500، صحيح الإسناد.
(7) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم 4624.

يقول: ﴿رباط يوم في سبيل الله أفضل﴾، وربما قال: ﴿خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وُقِي فتنة القبر، ونُمِّي له عمله إلى يوم القيامة﴾ (1).

فالمرابط في سبيل الله يأمن من فتنة القبر ومن فتاني القبر، فيسلم منهما بثبات وصبر، فيضاعف له الأجر، ولا ينقطع مدة الحياة وأبد الدهر، إلى يوم القيامة والحشر (2).

6- التعوذ بالله من عذاب القبر:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: ﴿**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**﴾ (3).

وعن عروة بن الزبير عن عائشة ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: ﴿**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**﴾ (4). وقال رسول الله ﷺ: ﴿**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال**﴾ (5).

---

(1) مسلم رقم 1913.
(2) الثبات على دين الله (2 / 1144).
(3) البخاري رقم 6367.
(4) البخاري رقم 832.
(5) مسلم رقم 588.

7- الدعـــاء:

ولا ينبغي أبداً أن يغفل المسلم عن الدعاء؛ فالدعاء من أعظم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، سمع النبي ﷺ رجلاً يقول في التشهد: اللهم إنـي أسـألك بـأن لـك الحمـد، لا إلـه إلا أنـت، وحـدك لا شـريك لـك، المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إنـي أسـألك الجنـة، وأعـوذ بـك مـن النـار، فقـال ﷺ لأصـحابه: تدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسه بيده، لقد دعـا الله باسـمه العظـيم، وفـي روايـة (الأعظـم) الـذي إذا دعُـي بـه أجاب، وإذا سئل به أعطى [1]، فعلينا أن نسأل الله - تعالى - بأسمائه الحسنى وصفاته العلـى وباسمه الأعظم أن ينجينا من عذاب القبر، ونحن موقنون بالإجابة [2]، كما أن الدعاء للميت من أسباب التثبيت، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال:﴿**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسـأل**﴾ [3].

8- تجنب أسباب عذاب القبر:

ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنب العبد كل الأسباب التي تؤدي إلى عذاب القبر، مثل النميمة، وعدم الاستتار والتنزه من البول، والكذب، وهجر القرآن وعدم العمل به، وأكل الربا، والوقوع في الزنا... إلخ، فكل هذه الأشياء من أسباب عذاب القبر فعلينا أن

(1) رحلة إلى الدار الآخرة ص205، أخرجه الحاكم وصححه.
(2) المصدر نفسه ص205.
(3) سنن أبي داود رقم 3221، وصححه الألباني.

نتجنبها لننجو جميعاً من عذاب القبر، وكذلك علينا أن نتجنب الأسباب التي تؤدي إلى سوء الخاتمة، من الشك والجحود، وفساد المعتقد، والنفاق، وحب المعاصي والإصرار عليها، وتعلق القلب بغير الله، والانتحار، والعدول عن الاستقامة، وحب الدنيا وطول الأمل [(1)]، وغير ذلك من الأسباب.

ونسأل الله -عزّ وجلّ- بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينجينا جميعاً من عذاب القبر وعذاب النار، وأن يجمعنا في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

خامساً: مستقر الأرواح في البرزخ:

تتفاوت أرواح العباد في البرزخ في منازلها، ومن خلال دراسة النصوص الواردة في ذلك يمكن التقسيم التالي:

1- أرواح الأنبياء:

وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين، في الرفيق الأعلى، وقد سمعت السيدة عائشة الرسول ﷺ في آخر لحظات حياته يقول:﴿اللهم الرفيق الأعلى﴾ [(2)].

2- أرواح الشهداء:

قال تعالى:{وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩} [آل عمران: ١٦٩]. وأرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك

(1) رحلة إلى الدار الآخرة ص303.
(2) صحيح البخاري، ك الرقاق، فتح الباري (11 / 357).

القناديل[1].

3- أرواح المؤمنين الصالحين:

تكون طيوراً تعلق شجر الجنة، قال رسول الله ﷺ: ﴿**إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة**﴾[2].

والفرق بين أرواح المؤمنين وأرواح الشهداء أن الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح متنقلة في رياض الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، أما أرواح المؤمنين فإنها في أجواف طير يعلق في ثمر الجنة، ولا ينتقل في أرجائها [3].

4- أرواح العصاة:

سبق وأن ذكرت بعض النصوص التي تبيِّنُ ما يلاقيه العصاة من العذاب؛ فمن ذلك أن الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق يعذب بكلوب من حديد يدخل في شدقه حتى يبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة يشدخ رأسه بصخرة، والزناة والزواني يعذبون في ثقب مثل التنور، ضيق أعلاه وأسفله واسع، توقد النار تحته، والمرابي يسبح في بحر من الدم، وعلى الشط من يلقمه الحجارة [4]، وقد ذكرنا الأحاديث التي تتحدث عن عذاب الذي لم يكن يستنزه من بوله، والذي يمشي بالنميمة بين الناس، والذي غلّ من الغنيمة، ونحو ذلك.

---

(1) مسلم رقم 1887.
(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم 995.
(3) اليوم الآخر، القيامة الصغرى، عمر الأشقر ص103.
(4) البخاري رقم 7047.

5- أرواح الكفار:

في حديث رسول الله ﷺ بعدما وصف حال المؤمن إلى أن يبلغ مستقره في الجنة ذكر حال الكافر، وما يلاقيه عند النزع، وبعد أن تقبض روحه، تخرج منه، كأنتن ريح، حتى يأتوا به باب الأرض، فيقولوا: ما أنتن هذه الريح! حتى يأتوا به أرواح الكفار [1].

* * *

(1) سنن النسائي، ك الجنائز (4 / 8)، اليوم الآخر القيامة، الصغرى للأشقر ص104.

الفصل الثاني

علامات الساعة الصغرى والكبرى والنفخ في الصور

المبحث الأول

علامات الساعة الصغرى

أولا: إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية:

أخبر النبي ﷺ بما يكون إلى قيام الساعة، وذلك مما أطلعه الله عليه من الغيوب المستقبلية، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا، حتى بلغت التواتر المعنوي [1]، فمنها:

1- ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته، فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فرآه فعرفه [2].

2- روى أبو زيد عمر بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا [3].

فهذه أدلة صحيحة على أن النبي ﷺ قد أخبر أمته بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة فيما يخصهم، ولا شك أن أشراط الساعة كثيرة جدًّا، ورويت بألفاظ مختلفة؛ لكثرة من نقلها من الصحابة رضي الله عنهم [4].

---

(1) الشفا بتعريف أحوال المصطفى (1 / 650)، القاضي عياض.
(2) صحيح البخاري، ك القدر مع فتح الباري (11 / 494).
(3) شرح النووي على صحيح مسلم (18 / 16).
(4) أشراط الساعة يوسف الوابل ص55.

ثانياً: علم الساعة:

غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ فإن علم الساعة مما استأثر الله به، فلم يطلع عليه ملك مقرباً ولا نبيًّا مرسلاً، قال تعالى:{ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ } [الأعراف: ١٨٧]؛ فالله - تعالى - يأمر نبيه محمداً ﷺ أن يخبر الناس أن علم الساعة عند الله وحده، فهو الذي يعلم جليّة أمرها، لا يعلم ذلك أحد من أهل السماوات والأرض[1].

وقال تعالى:{يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾} [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى:{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾} [النازعات: ٤٢ - ٤٤].

فمنتهى علم الساعة إلى الله وحده، ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن وقت الساعة - كما في حديث جبريل الطويل - قال النبي ﷺ :«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» [2]، فجبريل لا يعلم متى تقوم الساعة، وكذلك محمد ﷺ [3].

ثالثاً: قرب قيام الساعة:

---

(1) أشراط الساعة للوابل ص58.
(2) البخاري مع فتح الباري (1 / 114).
(3) أشراط الساعة ص58.

تدل الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة على قرب الساعة ودنوِّها، فإن ظهور أكثر أشراط الساعة دليل على قربها وعلى أننا في آخر أيام الدنيا [1]، قال تعالى:{ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١} [الأنبياء: ١].

– وقال تعالى:{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا } [الأحزاب: ٦٣].

– وقال تعالى:{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧} [المعارج: ٦، ٧].

– وقال تعالى:{ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١} [القمر: ١].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدّالة على قرب نهاية هذا العالم الدنيوي، والانتقال إلى دار أخرى، ينال فيها كل عاملٍ عمله، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر [2]، وقال ﷺ :《**بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه فيمدهما**》 [3].

رابعاً: مجمل أشراط الساعة الصغرى:

تحدث العلماء عن أشراط الساعة، وإليك أهمها مما ثبت بالسنة النبوية :

1- بعثة النبي ﷺ. 2- موت النبي ﷺ.

3- فتح بيت المقدس. 4- طاعون (عمواس) [4].

(1) المصدر نفسه ص67.
(2) أشراط الساعة ص67.
(3) صحيح البخاري مع فتح الباري (11 / 347).
(4) عمواس: بلدة في فلسطين على ستة أميال من الرملة، وكان هذا الطاعون في عهد عمر بن الخطاب.

5- استفاضة المال، والاستغناء عن الصدقة.

6- ظهور الفتن، كظهورها من المشرق، ومقتل عثمان ﷺ، وموقعة الجمل، وموقعة (صفين) [1]، ظهور الخوارج، وموقعة (الحرة) [2]، اتباع سنن الأمم الماضية.

7- ظهور مدعيٍّ النبوة. 8- ظهور نار الحجاز.

9- انتشار الأمن. 10- قتال الترك.

11- قتال العجم. 12- ضياع الأمانة.

13- قبض العلم، وظهور الجهل.

14- كثرة الشرط، وأعوان الظلمة.

15- انتشار الزنا. 16- انتشار الربا.

17- ظهور المعازف واستحلالها.

18- كثرة شرب الخمر واستحلالها.

19- زخرفة المساجد، والتباهي بها.

20- التطاول في البنيان. 21- ولادة الأمة لربتها.

22- كثرة القتل. 23- تقارب الزمان.

24- تقارب الأسواق. 25- ظهور الشرك في هذه الأمة.

---

(1) انظر: حقيقة الخلاف بين الصحابة للصلابي، فيه تفصيل.

(2) معركة بين أهل المدينة وجيش يزيد بن أبي سفيان عام 63هـ.

26- ظهور الفحش، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار.

27- تشبب المشيخة. 28- كثرة الشح.

29- كثرة التجارة. 30- كثرة الزلازل.

31- ظهور الخسف والمسخ والقذف.

32- ذهاب الصالحين. 33- ارتفاع الأسافل.

34- التحية للمعرفة؛ أي: لا يطلق السلام إلا على من يعرفه.

35- التماس العلم عند الأصاغر.

36- ظهور الكاسيات العاريات.

37- صدق رؤيا المؤمن. 38- كثرة الكتابة وانتشارها.

39- التهاون بالسنن التي رغب فيها الإسلام.

40- انتفاخ الأهلة [1].

41- كثرة الكذب، وعدم التثبت في نقل الأخبار.

42- كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق.

43- كثرة النساء وقلة الرجال.

44- كثرة موت الفجأة.

---

(1) تفسير انتفاخ الأهلة بأن ذلك عبارة عن كبر الهلال حين طلوعه عما هو معتاد في أول الشهر، فيرى وهو ابن ليلة كأنه ابن ليلتين.

45- وقوع التناكر بين الناس [1].

46- عود أرض العرب مروجاً وأنهاراً.

47- كثرة المطر، وقلة النبات.

48- حسر الفرات عن جبل من ذهب.

49- كلام السباع والجمادات للإنسان.

50- تمني الموت من شدة البلاء.

51- كثرة الروم، وقتالهم للمسلمين.

52- فتح القسطنطينية.

53- قتال اليهود.

54- نفي المدينة لشرارها، ثم خرابها في آخر الزمان.

55- بعث الريح الطيبة؛ لقبض أرواح المؤمنين.

56- استحلال البيت الحرام، وهدم الكعبة.

هذه أهم أشراط الساعة الصغرى التي جاءت في أحاديث النبي ﷺ، ومن أراد التوسع ومعرفة الأحاديث فليراجع كتاب أشراط الساعة [2] ففيه التفاصيل.

* * *

(1) وقوع التناكر عند كثرة الفتن والمحن وكثرة القتال بين الناس، وحينما تستولي المادة على الناس، ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه فتكثر الأنانية وتسيطر الأهواء والشهوات فيحدث التناكر بين الناس.

(2) أشراط الساعة يوسف الوابل ص80 - 235.

المبحث الثاني

أشراط الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة

أولاً: نزول عيسى عليه السلام

نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى:

1- قال الله تعالى:{وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾} [الزخرف: ٥٧ - ٦١]، فهذه الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام، وجاء في آخرها قوله تعالى:{وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٦١]، أي نزول عيسى -عليه السلام- قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة (1).

2- وقال تعالى:{وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾} [النساء: ١٥٧ - ١٥٩].

فهذه الآيات كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء كما في قوله تعالى:{ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } [آل عمران: ٥٥]، فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى- عليه السلام- آخر الزمان، وذلك عند

(1) أشراط الساعة ص342.

نزوله [1] وقبل موته، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة.

وعيسى - عليه السلام - حيٌّ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية» [2]، ويثبت في الصحيح عنه أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدجّال، ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أُحيي فإنه يقوم من قبره.

وأما قوله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} [آل عمران: ٥٥]، فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم، ويعرج بها إلى السماء، فعُلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله: {وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} [آل عمران: ٥٥]، ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر المؤمنين، أو غيره من الأنبياء، وقد قال تعالى في الآية الأخرى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٧، ١٥٨]؛ فقوله هنا: {بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٨] يبين أنه رُفع بدنه وروحه؛ كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه بل مات.

(1) المصدر نفسه ص344.
(2) تفسير المنار (3 / 317) لمحمد رشيد رضا.

وفـــي قولـــه تعـــالى:{وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} [النساء: ١٥٩] قال: قبل موت عيسى ابن مريم [1].

3- والأدلة من السنة على نزول عيسى عليه السلام كثيرة ومتواترة منها:

- قال رسول الله ﷺ :《والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها》 [2].

- وقال رسول الله ﷺ :《كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم》 [3] ؟

- وقال ﷺ :《لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول له أميرهم: صلِّ لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة》 [4].

وقد جاءت الأحاديث في نزول عيسى- عليه السلام- في الصحاح والسنن والمسانيد وغيره من دواوين السنة، وهي تدل دلالة صريحة على نزول عيسى عليه السلام، ولا حجة لمن ردّها [5].

---

(1) تفسير الطبري (6 / 8).
(2) البخاري مع فتح الباري (6 / 490 - 491).
(3) البخاري مع فتح الباري (6 / 491).
(4) مسم على شرح النووي (2 / 193 - 194).
(5) أشراط الساعة ص349.

ثانياً: يأجوج ومأجوج:

خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وقد دلّ على ظهورهم الكتاب والسنة:

1- قال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين:{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا} [الكهف: ٨٩، ٩٩].

2- وقال تعالى:{ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾} [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

فهذه الآيات تدل على أن الله- تعالى- سَخَّرَ ذا القرنين الملك الصالح لبناء السدّ العظيم، ليحجز بين يأجوج ومأجوج -القوم المفسدين- وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة، اندكّ هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وهم جَمْعٌ كبير لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض

فساداً، وهذه علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة [1].

والأحاديث الصحيحة الدّالة على ظهور يأجوج ومأجوج كثيرة منها:

- عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش، أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: **«لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»** وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها - قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **«نعم، إذا كثُر الخبث»** [2].

ثالثاً: الدخان:

قال تعالى: { فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ } [الدخان: ١٠، ١١]. ومن علامات الساعة وأشراطها العظمى ظهور دخان قبل قيام الساعة يملأ الأرض كلها، فتصبح كبيت أوقد فيه، فيأخذ بالمؤمنين كالزكمة، ويدخل في منافذ الكفار والمنافقين حتى يخرج من كل مسمع منهم [3]، وعن حذيفة بن أسيد الغفاري أنه قال: اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: **«ما تذكرون؟»** قلنا: نذكر الساعة، قال: **«إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تطرد**

---

(1) أشراط الساعة ص371.

(2) البخاري مع الفتح (13 / 106).

(3) أشراط الساعة الكبرى ماجد البنكاني ص185.

الناس إلى محشرهم﴾ [1].

رابعاً: طلوع الشمس من مغربها:

من أعظم أشراط الساعة الكبرى، وبه يغلق باب التوبة، وقد ذكره الله تعالى في قوله تعالى:{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾} [الأنعام: ١٥٨].

وقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية هو طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين [2].

قال الطبري - بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية:

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال﴿ذلك حين تطلع الشمس من مغربها﴾ [3].

ومن الأحاديث الدالة على طلوع الشمس من مغربها كثيرة منها:

1- قال رسول الله ﷺ :﴿لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ [4].

خامساً: خروج الدابة:

(1) مسلم رقم 2901، أشراط الساعة للبنكاني ص185.
(2) أشراط الساعة ص391.
(3) تفسير الطبري (8 / 103).
(4) صحيح البخاري مع الفتح (13 / 81، 82).

قـال تعـالـى: {وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل: ٨٢].

فهذه الآيـة الكريمـة جـاء فيهـا ذكـر خـروج الدابـة، وأن ذلـك يكـون عنـد فسـاد النـاس، وتـركهم أوامـر الله، وتبـديلهم الـدين الحـق، يُخـرج لهـم دابـة مـن الأرض، فـتكلم النـاس علـى ذلـك [1]، قـال العلمـاء فـي معنـــى قولـــه تعـــالى: {وَقَعَ ٱلْقَوْلُ} [النمـل: ٨٢]؛ أي: وجـــب الوعيـــد علـيهم؛ لتمـاديهم فـي العصـيان والفسـوق والطغيـان، وإعراضـهم عـن آيـات الله، وتـركهم تـدبرها، والنـزول علـى حكمهـا، وانتهـائهم فـي المعاصـي إلـى مـا لا يـنجح معـه فيـه موعظـة، ولا يصـرفهم عـن غيهم تذكرة، يقول عز من قائل - فإذا صاروا كذلك: {أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ} [النمـل: ٨٢]، أي: دابـــة تعقـــل وتنطـــق، والـــدواب فـي العـادة لا كـلام لهـا ولا عقـل؛ لـيعلم النـاس أن ذلـك آيـة مـن عنـد الله [2].

روى مسلم في صحيحه عن أبـي هريـرة عـن النبـي ﷺ قـال: ﴿**بـادروا بالأعمال ستًّا: الدجال، والدخان، ودابـة الأرض، وطلـوع الشـمس مـن مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم**﴾ [3].

سادساً: المهدي:

جـاءت الأحاديـث الصـحيحة الدالـة علـى ظهـور المهـدي، وهـذه الأحاديث منها ما جاء فيه النص على المهدي، ومنها ما جاء فيه ذكر

---

(1) أشراط الساعة ص404.
(2) التذكرة ص 697 نقلاً عن أشراط الساعة ص404.
(3) مسلم رقم 2947.

صفته فقط، ومن هذه الأحاديث:

– قال رسول الله ﷺ :﴿يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً﴾ يعني: حججاً [1].

– وقال رسول الله ﷺ :(أبشركم بالمهدي، يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضي عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يُقَسِّمُ المال صحاحاً). فقال له رجلاً: ما صحاحاً؟ قال:(بالسوية بين الناس) [2].

– وعن علي رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة) [3]؛ أي: يتوب عليه ويوفقه ويلهمه ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك.

سابعاً: المسيح الدجال:

مسيح الضلالة، يفتن الناس بما يعطاه من الآيات، كإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنبات، وغيرهما من الخوارق، وسُمّي الدجال مسيحاً؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة؛ ولأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً، والقول الأول هو الراجح، لما جاء في الحديث النبوي:(إن الدجال ممسوح العين) [4]، ومعنى الدجال: المموّه الكذاب المُمَخرِق،

---

(1) مستدرك الحاكم (4 / 557 - 558) وسنده صحيح رجاله ثقات.
(2) مسند أحمد (3 / 37) مع منتخب الكنز، رجاله ثقات.
(3) مسند أحمد (2 / 58) رقم 645، إسناده صحيح.
(4) صحيح مسلم، ك الفتن، أشراط الساعة (18 / 61) على شرح النووي.

وهو من أبنية المبالغة، وهو على وزن فعال؛ أي يكثر منه الكذب والتلبيس، وجمعه دجالون، وجمعه الإمام مالك على دجاجلة، وهو جمع تكسير [1]، ولفظة "الدجال" أصبحت علماً على المسيح الأعور الكذاب، فإذا قيل: " الدّجّال " فلا يتبادر إلى الذهن غيره.

وسُمِّيَ الدجال دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل: لأنه يغطي الأمر بكثرة جموعه [2].

والدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون، فلا يفتنون به، بل يكونون على علم بصفاته، فلا يغتر به إلا الجاهل الذي سبقت عليه الشقوة، نسأل الله العافية.

ومن هذه الصفات أنه رجل شاب، أحمر، قصير، أفجع، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة [3]، ولا جحراء [4]، كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة [5]، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له، وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة :

---

(1) لسان العرب (11 / 236).
(2) لسان العرب (11 / 236، 237).
(3) ناتئة: مأخوذة من النتوء وهو الارتفاع والانتفاخ.
(4) جحراء: ليست غائرة منجحرة في نقرتها.
(5) ظفرة: لحمة تنبت عند المآقي، وقد تمتد إلى السواد فتخشاه.

1- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن المسيح الدجال رجل، قصير، أفجع، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء) [1].

2- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر) [2].

3- وقال صلى الله عليه وسلم :(وإن بين عينيه مكتوب كافر) [3].

وحُرّم على الدجال دخول مكة والمدينة حين يخرج في آخر الزمان، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، وأما سوى ذلك من البلدان فإن الدجال سيدخلها واحدة بعد الأخرى، وأكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاط من الناس غالبهم الأعراب والنساء [4].

وفتنة الدجال عظيمة، وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحيّر الألباب [5].

4- الوقاية من الدجال:

أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال؛ فقد ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع صلى الله عليه وسلم خيراً إلا دلَّ أمته عليه،

---

(1) سنن أبي داود مع عون المعبود (11 / 443) حديث صحيح.
(2) صحيح مسلم على شرح النووي (18 / 60، 61) جفال: كثير.
(3) صحيح البخاري مع الفتح (13 / 91).
(4) أشراط الساعة ص309 - 311.
(5) أشراط الساعة ص313.

ولا شرًّا إلا حذّرها منه، ومن جملة ما حذّر منه فتنة المسيح الدجال؛ لأنها أعظم فتنة تواجهها الأمة إلى قيام الساعة، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدجال، وخُصَّ محمد صلى الله عليه وسلم بزيادة التحذير والإنذار، وقد بَيَّنَ الله له كثيراً من صفات الدجال، ليحذر أمته، فإنه خارج من هذه الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، ومن الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته، لتنجو من هذه الفتنة العظيمة الآتي:

أ – التمسك بالإسلام، والتسلح بسلاح الإيمان، ومعرفة أسماء الله الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله تعالى منزه عن ذلك، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت.

ب – التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلاة:(اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدَّجَّال) [1]، وروى مسلم عن أبي هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدَّجَّال) [2].

ج – حفظ آيات من سورة الكهف: فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم

(1) صحيح مسلم مع شرح النووي، (5 / 87).
(2) صحيح مسلم مع شرح النووي (5 / 87).

بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها، ومن الأحاديث الواردة قوله صلى الله عليه وسلم : **(من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف)** [1]، وقال صلى الله عليه وسلم :**(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدَّجَّال)** [2]؛ أي: من فتنته، وهذا من خصوصيات سورة الكهف، فقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها، وخاصة يوم الجمعة [3].

روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**(إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)** [4].

س – الفرار من الدجال والابتعاد منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**(من سمع بالدّجّال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات)** [5].

وأما هلاك الدجال فعلى يدي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة [6].

ثامناً: الخسوفات الثلاثة:

(1) صحيح مسلم مع شرح النووي (18 / 65).
(2) المصدر نفسه (6 / 92، 93).
(3) أشراط الساعة ص328.
(4) مستدرك الحاكم (2 / 368) صحيح الإسناد.
(5) صحيح الجامع الصغير للألباني رقم 6177.
(6) أشراط الساعة ص333.

وهي من أشراط الساعة جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى، فعن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات...**) فذكر منها: وثلاثة خسوف:(**خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**) [1]، وهذه الخسوف تكون عظيمة وعامة، لأماكن كثيرة من الأرض في مشارقها ومغاربها وفي جزيرة العرب وقد وجد عبر التاريخ الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وُجد، كأن يكون أعظم منه مكاناً وقدراً [2].

تاسعاً: النار التي تحشر الناس:

ومنها خروج النار العظيمة، وهي من أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، وجاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعرة عدن، فقد جاء في حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة الكبرى قوله صلى الله عليه وسلم :(**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**) [3]، وفي رواية له عن حذيفة أيضاً:(**ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**) [4]. وكون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب؛ وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، وعندما تنتشر يكون حشرها لأهل

(1) صحيح مسلم، مع شرح النووي (18 / 27، 28).
(2) فتح الباري لابن حجر (13 / 84)
(3) أشراط الساعة ص419.
(4) مسلم مع شرح النووي (18 / 27 - 29).

المشرق [1].

* * *

(1) أشراط الساعة ص419.

المبحث الثالث

النفــخ في الصــور

أولا: ما هو الصور؟

قال تعالى:{ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٨٧)} [النمل: ٨٧].

وقد سمّاه الله تعالى- أيضاً- الناقور، كما قال تعالى:{فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ} [المدثر: ٨].

والناقور هو الصور [1]؛ فالصور والناقور اسمان لمسمى واحد، وعرّف النبي صلى الله عليه وسلم الصور فقال كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما الصور؟ قال:(**الصور قرن ينفخ فيه**) [2].

وقد سمّى الله تعالى الصوت الذي يخرجه إسرافيل من الصور بأسماء هي:

1- **النفخة**:{فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣)} [الحاقة: ١٣].

2- **الصيحة**:{مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩)} [يس: ٤٩].

3- **الراجفة**:{يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧)} [النازعات: ٦، ٧].

4- **الزجرة**:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣)} [النازعات: ١٣].

فإسرافيل ينفخ نفخة وزجرة، وهي النفخة بغضب - تحدث صيحة

---

(1) فتح الباري (11 / 376).
(2) سن أبي داود رقم 4742.

عظيمة ترجف لها الأرض والقلوب [1].

ثانياً: عدد النفخات:

اختلف العلماء في عدد النفخات، القول الأول: أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وذلك أن الله نص على هذه الثلاثة في كتابه، فقال:{ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾} [النمل: ٨٧]، وهذه نفخة الفزع.

وقال تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾} [الزمر: ٦٨]، وهذه نفخة الصعق ونفخة البعث، وقالوا: إن الفزع مغاير للصعق، واستدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات ثلاث [2] القول الثاني: أنهما نفختان: نفخة الصعق ونفخة البعث، وقالوا: هذا هو ظاهر النصوص:كقوله تعالى:{مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾} [يس: ٤٩ - ٥٢].

- ففي قوله تعالى:{مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ} [يس: ٤٩] هذه هي النفخة الأولى، وقوله:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾} [يس: ٥١] هذه هي النفخة الثانية، وكقوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ

(1) سن أبي داود رقم 4742.
(2) حديث الصور أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص325، وهو حديث ضعيف.

ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ} [النازعات: ٦، ٧]. هما النفختان الأولى والثانية[1].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(بين النفختين أربعون)، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً، قال: أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق [2].

ويمكن الجمع بين الفزع والصعق، وجعلهما نفخة واحدة، ولكنها تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، مع وجود مسافة زمنية تفصل بين بدايتها؛ أي: أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ فينفخ نفخة إفزاع يطولها ويمدها لا يفتر، وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع، فيما الناس في العذاب يشاهدون أحداث الزلزلة إلى أن يأمر الله بنفخة الصعق الأشد قوة وهولاً، فيموت لشدتها كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله[3].

ومن هذا الباب يمكن الاستدلال على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، ثم قال: وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس) [4].

---

(1) تفسير ابن كثير (4 / 466)، فتح الباري (11 / 374).

(2) البخاري رقم 4536، مسلم رقم 2955.

(3) رحلة قبل الرحيل، بشير عبد الله ص39.

(4) مسلم رقم 7307.

و(أصغى) في الحديث: يعني: أمال.(والليت) صفحة العنق، فهذا التسمع والإصغاء يدلنا على أن بداية النفخة ليست كنهايتها في القوة والشدة، حتى إن الصوت لم يشمل كل الناس عند بدايته [1]، كما نجد في نص الحديث:(**وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**)، فلو كانت بدايتها بالصعقة المميتة لمات الناس على إثرها، ولما بقي فسحة لهذا التسمع والإصغاء، وكأن الصوت يبدأ رويداً، ثم يمضي في التدرج الصاعد، إلى أن يملأ الكون دويًّا وإرعادا، مصحوباً بالزلزلة العظيمة، وذلك التدرج في النفخ والمد والتطويل أدعى لتصعيد حدة الخوف، وإيقاع الرهبة في نفوس شرار الخلق الذين يعذبهم الله في الدنيا بأحداث الساعة ما شاء له أن يعذبهم، إلى أن يأمر بنفخة الصعق فيصعقون [2].

1- انتظار إسرافيل الأمر بالنفخ في الصور:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إن طَرْف صاحب الصور منذ وكلَّ به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دُرّيان**) [3].

2- كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن؟

قال صلى الله عليه وسلم :(**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ**)، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال:(**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على**

---

(1) رحلة قبل الرحيل ص39.
(2) رحلة قبل الرحيل ص40.
(3) السلسلة الصحيحة للألباني رقم 1078.

الله ربنا)[1].

3- اليوم الذي يكون فيه النفخة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ، إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)[2].

4- من الذين استثناهم الله من الفزع والصعق؟

قال تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾} [الزمر: ٦٨].

ذهب طائفة من العلماء أن الذين استثناهم الله في قوله{إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ} [الزمر: ٦٨] هم الملائكة ومنهم من قال: إنهم الأنبياء أو الشهداء أو الحور العين... إلخ. والصحيح أنه لم يرد نص صريح في كتاب الله أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلميحدد لنا من الذين استثناهم الله في تلك الآية، وبذلك لا يمكننا أن نجزم بذلك، وصار مثل العلم بوقت الساعة، وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به [3].

ثالثاً: الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى:

1- قوله تعالى:{ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن

(1) السلسلة الصحيحة رقم 1079.
(2) صحيح الجامع رقم 4000.
(3) مجموع الفتاوى (4 / 261)، رحلة إلى الدار الآخرة ص341.

شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾} [النمل: ٨٧].

2- قولـه تعـالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ} [الزمر: ٦٨].

3- قولــه تعــالى:{ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾} [ص: ١٥].

4- قوله تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾} [النازعات: ١٣].

5- قوله تعالى:{يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾} [النازعات: ٦].

رابعاً: الآيات التي يقصد بها النفخة الثانية:

1- قوله تعالى:{ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾} [الصافات: ١٩].

هي عبارة عن النفخة في الصور الثانية [1].

2- وقولـه تعـالى:{وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾} [الكهف: ٩٩].

3- وقوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾} [يس: ٥١].

4- وقولـــه تعـــالى:{ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾} [يس: ٥٣].

5- وقوله تعالى:{يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾} [النبأ: ١٨].

6- وقولــه تعــالى:{ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾} [طه: ١٠٢].

---

(1) فتح الباري (11 / 376)، اليوم الآخر للمطيري ص218.

7- وقولـــــه تعـــــالى:{ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾} [المؤمنون: ١٠١].

قال الشنقيطي: أنها الثانية (1).

8- وقوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾} [ق: ٢٠].

قال الشوكاني: وهذه هي النفخة الآخرة للبعث (2).

9- وقولــــه تعــــالى:{ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾} [ق: ٤٢].

10- وقوله تعالى:{فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾} [الحاقة: ١٣].

لقوله بعدها:{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾} [الحاقة: ١٥].

خامساً: الآيات التي تحتمل الأمرين:

1- قولــــه تعـــالى:{ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾} [سبأ: ٥١ - ٥٤].

2- وقوله تعالى:{وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ} [الأنعام: ٧٣].

---

(1) أضواء البيان (5 / 822).
(2) فتح القدير للشوكاني (5 / 76).

3- وقوله تعالى:{يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ } [القمر: ٦].

قال القرطبي: (الداعي هو إسرافيل عليه السلام [1]، وعليه فتكون الدعوة هي النفخ في الصور، والله تعالى أعلم وأحكم) [2].

* * *

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17 / 85).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص220.

الفصل الثالث

البعث والحشر وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس

المبحث الأول

البعــث

هو: إعادة المخلوقات بعد فنائها للحساب والجزاء، من خير أو شر [1]، قال تعالى:{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم: ٣١].

ولقد نهج القرآن الكريم في الاستدلال على البعث وتحقق وقوعه منهجاً قويًّا يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان، بما تشاهد وتحس ويقع منه تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول السليمة، ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة، وتلك الطريقة تميز بها القرآن الكريم [2].

أولاً: الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم كما أخبر الله تعالى عن ذلك ومنهم:

1 – قوم موسى:

قال تعالى:{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ٥٥، ٥٦].

2 – المضروب بعضو من أعضاء البقرة:

كما قال تعالى:{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٧٢، ٧٣].

3 – الذين أخبر الله عنهم:

---

(1) اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب د. محمد محمد الزبيدي ص216.
(2) دراسات في التفسير الموضوعي د. إبراهيم الألمعي ص302.

الذين خرجوا من ديارهم فأماتهم ثم أحياهم

بقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ } [البقرة: ٢٤٣].

4 – ما حصل لعزير:

كما قال تعالى: { أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾} [البقرة: ٢٥٩].

5 – سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى:

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾} [البقرة: ٢٦٠].

6 – ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام:

من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله، قال تعالى: {وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ } [آل عمران: ٤٩].

7 – ما أخبر الله من قصة أصحاب الكهف:

كما قال تعالى:{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾} [الكهف: ٩، ١٠].

إن هذه الأدلة المتقدمة أدلة حسية مادية، وقعت كلها؛ لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسوله عن وقوع البعث والحشر، فوجب القطع بذلك (1).

ثانياً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى:

ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي: قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾} [الحج: ٥ - ٧].

وهذه الآيات تعطي تفصيلاً للمراحل التي يمر بها خلق الإنسان، فقد

(1) دراسات في التفسير الموضوعي ص305.

قابل الله هذه المراحل بعدة دلالات على قدرته سبحانه على البعث، فالله سبحانه يبين للناس إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال، إلى حين الموت والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها [1]؟

إن هذه الآيات لها دلالة عقلية على البعث، إنها نقلة ضخمة بعيدة الأغوار والآماد، تشهد بالقدرة التي لا يعجزها البعث، وأن إنشاء الإنسان من التراب، وتطور الجنين في مراحل حياته، وانبعاث الحياة من الأرض بعد الهمود، كل ذلك متعلق بأن الله هو الحق، فهو من السنن المضطردة التي تنشأ من أن خالقها هو الحق الذي لا تختل سننه ولا تتخلف، وأن اتجاه الحياة في هذه الأطوار، ليدل على الإرادة التي تدفعها وتنسق خطاها وترتب مراحلها، فهناك ارتباط وثيق بين أن الله هو الحق، وبين هذا الاضطراد والثبات، والاتجاه الذي لا يحيد، وأن إحياء الموتى هو إعادة للحياة، والذي أنشأ الحياة الأولى هو الذي ينشئها للمرة الآخرة:{وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ} ليلاقوا ما يستحقونه من جزاء، فهذا البعث تقتضيه حكمة الخلق والتدبير، وإن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين، ثم يمر بها الطفل بعد أن يرى النور؛ لتشير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال؛ إذ أن الإنسان لا

(1) إعلام الموقعين لابن القيم ص436.

يبلغ كماله في حياة الأرض، فهو يقف ثم يتراجع{لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا}، فلا بد من دار أخرى يتم فيها تمام الإنسان، فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجة، فهي تدل على البعث؛ من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة، وهي تدل على البعث لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة، وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة ونواميس الحياة والبعث، ونواميس الحساب والجزاء، تشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر، الذي ليس في وجوده جدال [(1)].

ثالثاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان، مثل السماوات والأرض:

فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان، ومن الآيات الدالة ما يلي:

1 – قال تعالى:{وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلًا لَّا رَيۡبَ فِيهِ} [الإسراء: ٩٨، ٩٩].

2 – قال تعالى:{أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾} [الأحقاف: ٣٣].

3 – وقال تعالى:{أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾} [يس: ٨١].

رابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة:

ومن الآيات ما يلي:

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (4 / 2409 - 2411) باختصار وتصرف، الدلالة العقلية في القرآن د. عبد الكريم عبيدات ص437.

1- قال تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾} [الأعراف: ٥٧].

2- قال تعالى: { وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾} [فاطر: ٩].

3- قال تعالى: {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾} [فصلت: ٣٩].

4- قال تعالى: { وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾} [الرعد: ٤].

وقوله تعالى: {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ } [الرعد: ٥].

5- قال تعالى: {وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ} [الحج: ٥ - ٧].

فجعل الله - سبحانه - إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات، وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور، ودلّ بالنظير على نظيره، وجعل ذلك آية ودليلاً على خمسة مطالب:

أ – وجود الصانع، وأنه الحق المبين، وذلك يستلزم إثبات صفات كماله وقدرته، وحياته وعلمه، وحكمته ورحمته وأفعاله.

ب – أنه يحيي الموتى.

ج – عموم قدرته على كل شيء.

د – إتيان الساعة، وأنها لا ريب فيها.

ه – أنه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النبات من الأرض [1].

6- قال تعالى:{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)} [ق: ٩ - ١١].

{وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا} يراد به: الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعدما كانت لا نبات بها، فأصبحت تهتز خضراً، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى، وهذا المُشَاهَدُ - من عظيم قدرته - بالحسّ أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث [2].

خامساً: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر:

الشجر إذا قُطِّعَ وأصبح حطباً يكون ميتاً، وليس فيه أثر للحياة، فإذا أوقدت به النار دبت فيه الحركة واضطرب، وهذه آثار الحياة، فمن قدر على هذا فهو قادر على إحياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى هذا

(1) إعلام الموقعين (1 / 144 - 145)، الدلالة العقلية ص444.
(2) تفسير ابن كثير (4 / 222)، تفسير الطبري (21 / 55).

الدليل في موضعين من كتابه سبحانه:

1- قال تعالى: {أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾} [الواقعة: ٧١، ٧٢].

2- وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾} [يس: ٧٧ - ٨٣].

فرد بهذه الآيات على من أنكر البعث بثلاثة أدلة عقلية:

أ - الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، قال تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾} [يس: ٧٩].

ب - الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر، مع أنه أكثر بالضدية لأن الشجر إنما يكون أخضر إذا كان مليئاً بالماء، فمن قدر على إخراج النار من هذا الشجر الميت المليء بالماء قادر على إحياء الأموات من قبورهم، قال تعالى: {ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾} [يس: ٨٠].

ج - الاستدلال بخلق السماوات والأرض: على خلق الإنسان، قال تعالى: {أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾}

[يس: ٨١، ٨٢].

سادساً: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء:

فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً، ولن يتركهم سدى.

1- قوله تعالى:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾}

[المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

2- قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾} [القيامة: ٣٦]. فهل يظن عاقل أن يترك الإنسان في هذه الدنيا لا يؤمر ولا يُنهى، ويترك في قبره سدى دون أن يبعث؟ إن ذلك لا يليق بحكمة الله؛ فكل شيء يصدر عنه - سبحانه - له حكمة تقتضيه [1].

إننا نشاهد في حياتنا ظالمين ظلوا ظالمين حتى لحظة الموت، ولم يأخذ على أيديهم أحد، ومظلومين ظلوا مظلومين إلى آخر حياتهم، لم ينصفهم أحد، أفإن كانت الحياة هي نهاية المطاف، يكون هذا عدلاً وحكمة؟ وأين هي الحكمة في خلق حياة تجري أحداثها على غير مقتضى العدل، ثم تنتهي دون حساب؟

لذا يأتي التأكيد في القرآن على أن البعث ضرورة يقتضيها عدل الله وحكمته في مواضع عديدة من القرآن منها [2] :

3- قوله تعالى:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا

(1) فتح القدير للشوكاني (5 / 342).

(2) الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة ص448.

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾} [الجاثية: ٢١].

4- قولــه تعــالى: {أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾} [ص: ٢٨].

5- قوله تعالى: {أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾} [القلم: ٣٥، ٣٦].

6- قولـه تعـالى: {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾} [ص: ٢٧].

سابعاً: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة:

أعظم الأدلة على وقوع المعاد إخبار الحق- تبارك وتعالى- بذلك، فمن آمن بالله، وصدّق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل، فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار، وقد نوّع -تبارك وتعالى- أساليب الإخبار؛ ليكون أوقع في النفوس، وآكد في القلوب.

ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخباراً مؤكداً (بأن) أو (بإن) واللام كقوله تعالى: {إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} [طه: ١٥].

وقوله تعالى: {وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥].

وفـي مواضـع أخـرى يقسـم الله تعـالى علـى وقوعـه ومجيئـه كقولـه تعالى: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ} [النساء: ٨٧]. ويقسـم علـى تحقـق ذلـك بمـا شـاء مـن مخلوقاتـه، كقولـه تعالى: {وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾

وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾} [الطور: ١ - ٨].

وفي بعض المواضع يأمر رسوله بالقسم على وقوع البعث وتحققه وذلك في معرض الردّ على المكذبين به المنكرين له كقوله تعالى:{زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ} [التغابن: ٧].

وفي مواضع أخرى يذم المكذبين بالمعاد، كقوله تعالى:{خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ} [يونس: ٤٥].

وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد قال تعالى:{وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾} [آل عمران: ٧ - ٩].

وأحياناً يخبر أنه وعد صادق، وخبر لازم، وأجل لا شك فيه، قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾} [هود: ١٠٣، ١٠٤].

وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه، قال تعالى:{أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ
مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾} [النحل: ١ - ٣]

.(1)

وفي مواضع أخرى يمدح نفسه-تبارك وتعالى- بإعادة الخلق بعد موتهم، ويذم الآلهة التي يعبدها المشركون بعدم قدرتها على الخلق، كقوله تعالى:{أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾} [النمل: ٦٤].

وبين في مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يعجز العباد ويذلهم سهل يسير عليه، قال تعالى:{ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ } [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى:{أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ} [القيامة: ٣، ٤] (2).

ثامناً: قياس البعث على النوم:

فالنوم أخو الموت، بل هو موتة صغرى، فالله تعالى يتوفى الأنفس بالموت وبالنوم، فالقادر على إرجاع نفس النائم له بعد قبضها قادر على إرجاع نفس الميت له بعد قبضها، قال تعالى:{ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الزمر: ٤٢].

وعن حذيفة رضى الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول:(**اللهم باسمك أموت وأحيا**)، وإذا استيقظ قال:(**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه**

---

(1) رحلة إلى الدار الآخرة ص346، 347، 348.
(2) رحلة إلى الدار الآخرة ص348.

النشـور) [1]، وعن جابر بن عبد الله قيل: يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قال:(لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها) [2].

تاسعاً: الفطرة تدل على البعث:

فالله تعالى فطر الأنبياء على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت، وهذا من أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر؛ لأن الله تعالى إذا أراد أن يقنع بني الإنسان بأمر ما فإنه يغرس فكرة الاقتناع به في فطرهم، ولذا فإن الإنسان يشتاق إلى حياة خالدة، ولو في عالم غير هذا العالم، وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف، ولذلك جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت، وجعلت مصير كل إنسان مرتهناً بما قدمت يداه في الدنيا، وهذا مما يكسب زيادة إيمان بربه وبما جاءت به الرسل، فيقدم الأعمال الصالحة؛ استعداداً بها ليوم الميعاد [3].

عاشراً: أسماء يوم القيامة:

وقد جاء الحديث عن يوم القيامة في القرآن الكريم مفصلاً، وسمي بأسماء كثيرة، وهذا يدل على تعظيم الشيء، كما هي العادة عند العرب؛ فقد كانوا إذا عظموا شيئاً أكثروا له من الأسماء، ومن الأسماء، ومن الأسماء التي ذكرت في القرآن ليوم القيامة: اليوم الآخر، ويوم الآزفة، ويوم البعث، ويوم التغابن، ويوم التلاقي، ويوم

(1) البخاري، ك الدعوات رقم 5955.
(2) السلسلة الصحيحة للألباني (3 / 74) رقم 1087.
(3) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر علي ص549.

التناد، ويوم الجمع، والحاقة، ويوم الحساب. ويوم الحسرة، واليوم الحق، ويوم الخروج، ويوم الدين، والساعة، الصاخة، والطامة الكبرى، والغاشية، والفزع الأكبر، ويوم الفصل، والقارعة، والمعاد، واليوم الموعود، والواقعة، والوعد الحق، ويوم الوعيد، والوقت المعلوم [1].

وأما عن صفات يوم القيامة فقد وصف بأنه عظيم، ويوم عقيم، ويوم عسير، ويوم ثقيل، ويوم كبير، ويوم محيط [2].

* * *

(1) اليوم الآخر في القرآن، العظيم ص185 - 191.
(2) المصدر نفسه ص192 - 193.

المبحث الثاني

الحشر وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس

أولا: الحشـــر

جمع الخلائق يوم القيام لحسابهم والقضاء بينهم.

* قـــال تعـــالى:{ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾} [الأنعام: ٥١].

* وقـــال تعـــالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾} [يونس: ٤٥].

* وقال تعالى:{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾} [الكهف: ٤٧].

* وقـــــال تعـــــالى:{يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾} [ق: ٤٤].

* وقال تعالى:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾} [الأنعام: ٣٨].

* وقال تعالى:{وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾} [التكوير: ٥].

1- مكان الحشر (أرض المحشر):

دل الكتاب والسنة أن أرض المحشر هي أرض الشام.

قـال تعـالى:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾} [الحشر: ٢].

وعن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يقول:(إنكم تحشرون إلى بيت المقدس، ثم تجتمعون يوم القيامة) [(1)].

2- صفة الناس في الحشر:

أ - يحشر الناس حفاة عراة غرلاً:

حفاة غير متنعلين، عراة غير لابسين، غرلاً غير مختونين فكما أن الإنسان يولد حاف عار أغرل فكذلك يبعث.

وعن ابن العباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً - ثم قرأ:{ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾} [الأنبياء: ١٠٤]، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي، أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح:{ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾} [المائدة: ١١٧، ١١٨]) [(2)].

وعن عائشة رضى الله عنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة، غرلاً)، فقالت عائشة: فكيف بالعورات؟ قال:(لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) [(3)].

(1) مجمع الزوائد (10 / 620) إسناده حسن.
(2) مسلم، ك الجنة رقم 2860.
(3) النسائي، ك الجنائز، رقم 2083، بسند صحيح.

ب – الوجوه:

قال تعالى: {وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾} [طه: ١١١]؛ أي: ذلت وخضعت [1].

ج – الأبصار:

قال تعالى: {خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾} [القمر: ٧].

وقال تعالى: {فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾} [القيامة: ٧]؛ أي: اضطربت وجالت العين من الخوف [2].

وقال تعالى: {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾} [النازعات: ٨]؛ أي: مضطربة سريعة الخفقان [3].

س – **أحوال الناس عموماً**: يعرضون صفا أمام الله تعالى: {وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا} [الكهف: ٤٨].

* لا يتكلمون {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾} [طه: ١٠٨].

وقال تعالى: {هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾} [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

* وأحياناً يتكلمون قال تعالى: {يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾} [القيامة: ١٠] يدل على أنهم يتكلمون، فكيف يتكلمون ولا يتكلمون؟

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص590.
(2) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب ص119.
(3) المصدر نفسه ص857.

وهذا بحسب اختلاف الأوضاع، فيوم القيامة طويل، وفي موقف يتكلمون، وفي موقف يصمتون.

والله يقول:{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾} [النبأ: ٣٨]، فإثبات الكلام من الخلق يوم القيامة تبع لإذن الله لهم، ونفيه في الحالة التي لم يؤذن فيها [1].

* ذهول الناس وخوفهم وهلعهم، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾} [الحج: ١، ٢].

فإن كانت الأم المرضعة وهي أحرص ما يكون على ولدها تذهل عنه، فغيرها من باب أولى، وإن كان الطفل الصغير الذي لم يذنب بعدُ يخاف حتى يشيب عارضاه، فما بالك بغيره من الناس [2]؟

* تُنسى الأنساب؛ فكل إنسان مشغول بنفسه؛ لأنه يأتي وحيداً، قال تعالى:{ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١].

قال تعالى:{ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾} [مريم: ٩٣ - ٩٥].

وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن

---

(1) تفسير السعدي ص446.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص235.

وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾} [لقمان: ٣٣].

* يجثون على الركب:{وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾} [الجاثية: ٢٨].

* يعرضون على الله لا يخفى منهم شيء: قال تعالى:{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾} [الحاقة: ١٨].

وغير ذلك من أحوال الناس (1).

ثانياً: أهوال يوم القيامة:

يحدثنا القرآن عن أهوال ذلك اليوم التي يشهدها الناس، وتشدُّ أبصارهم، وتملك عليهم نفوسهم، وتزلزل قلوبهم، ومن أعظم تلك الأهوال ذلك الدمار الكوني الشامل الرهيب الذي يصيب الأرض وجبالها، والسماء ونجومها، وشمسها وقمرها (2)، ومن أهوال ذلك اليوم:

1 – دك الأرض ونسف الجبال:

قال تعالى:{فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾} [الحاقة: ١٣ - ١٥].

وقال تعالى:{كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾} [الفجر: ٢١]، وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم.

---

(1) المصدر نفسه ص235.
(2) اليوم الآخر القيامة الكبرى عمر الأشقر ص100.

كما قال تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾} [المزمل: ١٤]؛ أي: تصبح ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل هو الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً، إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه. وأخبر في موضع آخر أن الجبال تصبح كالعهن، والعهن هو الصوف كما قال تعالى:{وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾} [المعارج: ٩]، وفي نص آخر مثلها بالصوف المنفوش:{وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ} [القارعة: ٥]، ثم إن الحق -تبارك وتعالى- يزيل هذه الجبال عن مواضعها، ويسوي الأرض حتى لا يكون فيها موضع مرتفع ولا منخفض، وعَبَّر القرآن عن إزالة الجبال بتسييرها مرة، وبنسفها أخرى قال تعالى:{وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾} [التكوير: ٣]، {وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾} [النبأ: ٢٠].

وقال في نسفه لها:{وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾} [المرسلات: ١٠]. ثم بين الحق حال الأرض بعد تسيير الجبال ونسفها، قال تعالى: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف: ٤٧]؛ أي: ظاهرة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض(1)، كما قال تعالى:{وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا } [طه: ١٠٥ - ١٠٧].

2 – قبض الأرض، وطي السماء:

قال تعالى:{وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

(1) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، الأشقر ص103.

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾} [الزمر: ٦٧].

وقال تعالى:{يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾} [الأنبياء: ١٠٤].

قال صلى الله عليه وسلم :(يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟) [(1)] ومعنى الكلام، يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب؛ أي: على الكتاب بمعنى المكتوب [(2)]، وقوله:{كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ} [الأنبياء: ١٠٤]، يعني: هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم، هو القادر على إعادتهم [(3)].

3 – تفجير البحار، وتسجيرها:

قال تعالى:{وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾} [الانفطار: ٣]، **فُجِّرتْ**: فجَّر الله بعضها في بعض، وقيل: ذهب ماؤها، وقيل: اختلط عذبها بمالحها.

وقال تعالى:{وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾} [الطور: ٦]، وقال تعالى:{وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾} [التكوير: ٦]: أوقدت، فصارت ناراً تضطرم، وقيل:يبست [(4)].

والمعنى المتحصل من أقوالهم- رحمهم الله- أنها يُفَجَّرُ بعضها في

(1) البخاري رقم 6947، مسلم رقم 2787.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص242.
(3) تفسير ابن كثير (3 / 199) بتصرف.
(4) معارج القبول (2 / 212).

بعض فتمتلئ، ثم تسجر فتصبح ناراً، ثم يذهب ماؤها [1].

4- موران السماء، وانفطارها:

قال تعالى:{فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ} [الرحمن: ٣٧]؛ فهي في أشد ما تكون من الوهن، وقال تعالى:{وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ} [الحاقة: ١٦]، وذلك أنها تضطرب اضطراباً مهولاً، وقال تعالى: {يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩} [الطور: ٩]، تتحرك تحريكاً، هو تشققها، تدور دوراً، وقيل استدارتها وتحركها لأمر الله، وموج بعضها في بعض، ثم إنها تتشقق وتنفطر وتنفرج، قال تعالى:{إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢} [الانشقاق: ١، ٢]. وقال تعالى:{فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا} [المزمل: ١٧، ١٨].

وقال تعالى:{إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١} [الانفطار: ١].

وقال تعالى:{وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩} [المرسلات: ٩].

وقال تعالى:{فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧} [الرحمن: ٣٧] يعني: الدهان، فشَبَّه السماء في تلونها بالدهن في اختلاف ألوانه، وهو كقوله تعالى:{يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨} [المعارج: ٨]، وهو دردي الزيت [2].

5- تكوير الشمس، وخسف القمر، وتناثر النجوم:

قال تعالى:{إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ} [التكوير: ١، ٢]. قال ابن جرير: (والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير

(1) المصدر نفسه (2 / 212).
(2) تفسير ابن كثير (4 / 240).

جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى:{كُوِّرَتْ} جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها) [1].

وقال تعالى:{وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾} [القيامة: ٨، ٩]. خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه [2].

وقوله تعالى:{وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾} [القيامة: ٩] فسّره النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(الشمس والقمر مكوران يوم القيامة، يعني مجموعان مظلمان) [3].

والنجوم والكواكب ينفرط عقدها فتنتثر، ويذهب ضوؤها فتطمس، قال تعالى:{وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾} [التكوير: ٢]. يعني: انتثرت[4]، وانفرط عقدها، وتساقطت على أهل الأرض، وهو كقوله تعالى:{وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾} [الانفطار: ٢]، وقال تعالى:{فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾} [المرسلات: ٨] يعني: ذهب ضوؤها [5].

6- تبديل الأرض:

تبدل هذه الأرض وتتغير صفاتها، ويكون عليها الحشر الأول، ثم

(1) معارج القبول (2 / 213).
(2) المفردات للراغب ص282.
(3) البخاري، رقم 3028.
(4) المفرد للراغب ص704.
(5) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص243.

تذهب هذه الأرض تماماً يوم يحشر الناس لمكان الحساب أمام الجسر، قال تعالى:{ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾} [إبراهيم: ٤٨]. وجاء في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء** [1] **كقرصة النقي** [2]**، ليس فيه معلم لأحد**) [3]، ثم بعد ذلك تنتقل الخلائق إلى أرض الحساب. وعن عائشة رضى الله عنة قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل:{ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ } [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال:(**على الصراط**) [4]، وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليكم يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**)، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أينفعك شيء إن حدثتك؟**) قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال:(**سل**) فقال اليهودي: أين يكون الناس{ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ } [إبراهيم: ٤٨]؟ فقال

---

(1) العفر: بياض يضرب إلى الحمرة.
(2) النقي: الدقيق النقي من الغش والنخال.
(3) البخاري رقم 6156.
(4) مسلم رقم 2791.

رسول الله صلى الله عليه وسلم :(هم في الظلمة دون الجسر) [1].

وبهذا يتضح أن تبديل الصفات في الحشر الأول إلى أرض المحشر عندما تنسف الجبال والمرتفعات وتسوى الأرض، فلا يبقى في تلك الأرض معلم لأحد، وأما ذهاب الأرض بالكلية ففي الحشر الثاني إلى أرض الحساب قبل جسر جهنم، والله تعالى أعلم [2].

7- سجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين، ونزول الملائكة:

بعد بعث الناس من قبورهم وحشرهم لأرض المحشر، وحصول أهوال يوم القيامة، وتبديل هذه الأرض، وحشر الناس لأرض الحساب عند الجسر تنزل الملائكة صفوفاً، قال تعالى:{ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾} [الفرقان: ٢٥].

وقال تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾} [النبأ: ٣٨، ٣٩].

والمقصود بالروح جبريل عليه السلام.

وقال تعالى:{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾} [النحل: ٣٣].

ومن هذه الملائكة هنالك ثمانية أملاك تحمل عرش الرحمن سبحانه

---

(1) مسلم ك الحيض رقم 315.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص245.

وتعالى:{وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧} [الحاقة: ١٧].

ويأتي رب العزة للفصل بين العباد{وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا} [الفجر: ٢٢]؛ أي: والحال أن الملائكة صفوفاً (1).

وقال سبحانه:{هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠} [البقرة: ٢١٠].

وقال تعالى:{وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠} [الأنعام: ٣٠].

وعندئذ تشرق الأرض بنور ربها، ويؤتى بصحف الأعمال وبالشهود، ويبدأ الحساب (2)، قال تعالى:{ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠} [الزمر: ٦٩، ٧٠].

ثالثاً: أحوال الكفار يوم القيامة:

تختلف أحوال الناس في ذلك اليوم اختلافاً بيناً، وسنتحدث بإذن الله تعالى عن الكفار وغيرهم، فالذي يتأمل في نصوص الكتاب والسنة التي تحدثنا عن مشاهد القيامة يرى الأهوال العظام والمصائب الكبار التي تنزل بالكفرة المجرمين في ذلك اليوم العظيم، فمن تلك الأحوال:

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص245.
(2) المصدر نفسه ص246.

1- ذلتهم وهوانهم، وحسرتهم ويأسهم:

فمن هذه الآيات:

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)} [يونس: ٢٧].

قوله تعالى: {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)} [الزمر: ٥٥ - ٥٩].

وقال تعالى: {وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤)} [المعارج: ١٠ - ١٤].

2- اسوداد وجوههم وتغيرها [1] :

قال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦)} [آل عمران: ١٠٦].

وقال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)} [الزمر: ٦٠].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص251.

3- إحباط أعمال الكفار [1] :

قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾} [النور: ٣٩].

وقال تعالى:{ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾} [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالى:{ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ } [إبراهيم: ١٨].

4- فضيحتهم أمام الخلائق:

قال تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾} [هود: ١٨].

5- تخاصم الكفرة في الموقف:

قال تعالى:{ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٦٧].

أ - تخاصم العابدين والمعبودين:

في ذلك اليوم الرهيب يجمع الله المشركين ثم يأمرهم أن ينادوا شركاءهم فينكروا أن يكون لهم شركاء [2].

قال تعالى:{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن

(1) المصدر نفسه ص253.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص253 - 258.

شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾} [فصلت: ٤٧، ٤٨].

قال تعالى:{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا } [الفرقان: ١٧ - ١٩].

ب – تخاصم الأتباع مع القادة المضلين:

قال تعالى:{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ} [الصافات: ٢٧ - ٣٣].

ج – تخاصم الضعفاء مع السادة والملوك:

قال تعالى:{ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾} [إبراهيم: ٢١]

د – تخاصم الكافر وقرينه:

قال تعالى:{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾} [ق: ٢٧، ٢٨].

{قَالَ قَرِينُهُ} هو الشيطان الذي وكل به{رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ} أي يقول عن

الإنسان الذي قد وافى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه فيقول:{رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ}؛ أي: بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق[1]، فإذا سمع الكافر هذا من قرينه تَحَسَّرَ وتندم، قال تعالى:{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾} [الزخرف: ٣٦ - ٣٨] [2].

هـ - تخاصم المرء مع أعضائه:

ويبلغ الأمر أشده، والمخاصمة ذروتها عندما يخاصم المرء أعضاءه:

قال تعالى:{ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾} [فصلت: ١٩ - ٢٢].

6- مقتهم لأنفسهم:

والمقت أشد البغض، فتصل كراهيتهم لأنفسهم في ذلك اليوم لأقصاها، قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾} [غافر: ١٠].

---

(1) تفسير القرطبي (17 / 22).
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص267.

7- صفة حشر الكفار إلى النار:

أ - حشرهم وهم عطشى:

- قال تعالى:{وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾} [مريم: ٨٦] يعني: عطشى تكاد تنقطع رقابهم من العطش، وفي قوله{وَنَسُوقُ} إشعار بإهانتهم، كأنهم نَعَمٌ عطشى تساق إلى الماء [1].

ب - حشرهم عمياً صماً بكماً:

قال تعالى:{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا } [الإسراء: ٩٧].

قال تعالى:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا } [طه: ١٢٤، ١٢٥].

ج - يحشرون إلى جهنم على وجوههم:

قال تعالى:{ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾} [الفرقان: ٣٤].

س - حشرهم مع شياطينهم وهم جاثون على الركب:

قال تعالى:{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾} [مريم: ٦٨].

قال القرطبي أي: "ولنحشرن الشياطين مع قرنائهم"، قيل: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة، كما قال تعالى:{ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾} [الصافات: ٢٢]، والواو في{والشياطين} يجوز أن تكون

(1) تفسير القاسمي (5 / 91)، اليوم الآخر في القرآن العظيم ص469.

للعطف، وبمعنى "مع"، وهي بمعنى "مع" أوقع، والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، يقرنون كل كافر مع شيطان في سلسلة [1].

وهذا الجثي مصاحب لهم في كل حال؛ ففي الموقف يوم يحشر الناس إلى أرض الحساب تجثو كل الأمم، قال تعالى:{وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾} [الجاثية: ٢٧، ٢٨].

وفي النار كذلك، قال تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾} [مريم: ٧١، ٧٢].

رابعاً: أحوال عصاة الموحدين:

وهم المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فأتوا بشعائر الإسلام وأركانه، ولكنهم وقعوا ببعض المعاصي، وقد ذكر الله تعالى عذاب أولئك العصاة، وجاء ذكر بعضهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا المطلب فيه مسائل:

1- الذين لا يؤدون الزكاة:

الزكاة من فروض الإسلام الكبرى، وهي حق المال، فمن لم يؤد زكاته عُذّبَ بها في ذلك اليوم العظيم، وقد أخبرت النصوص أن عذابهم على وجهين:

أ – يُمَثَّلُ لصاحب المال ماله ثعباناً أقرع له زبيبتان، فيطوق عنقه، ويأخذ بلهزمتي صاحبه، قال تعالى:{وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ

---

(1) تفسير القرطبي (11 / 88).

ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾} [آل عمران: ١٨٠].

وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم كما فسرها بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال:(من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك) ثم تلا:{وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ }(1).

ب - إن كان الممتنع عن تأدية زكاته ذهباً أو فضة فإنها تصفح صفائح، ثم تكوى بها جباههم وظهورهم وجنوبهم، فيحيط به الألم من كل مكان.

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾} [التوبة: ٣٤ - ٣٥]. وقد فسَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم

(1) البخاري، ك الزكاة، باب إثم باب مانع الزكاة رقم 1338.

كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى النار)[1].

2- ذنوب لا يكلم الله أصحابها ولا يزكيهم:

وقد رتب الله تعالى على كثير من الذنوب هذا العقاب، فمنها:

أ – قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾} [البقرة: ١٧٤، ١٧٥]؛ فمن كتم - من علماء هذه الأمة - شيئاً من العلم إرضاء لحاكم، أو تحقيقاً لمصلحة شخصية، أو طلباً لعرض دنيوي، كان مشابهاً لأحبار ورهبان اليهود والنصارى في كتمهم صفات الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان جزاؤهم هذا الجزاء، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) [2].

ب – قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾} [آل عمران: ٧٧]، وهي ليست خاصة باليهود، كما توهم بعضهم، ويدل على ذلك أحاديث كثيرة [3]؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة

(1) مسلم، ك الزكاة، باب إثم مانع الزكاة رقم 987.
(2) سنن الترمذي رقم 2649، وقال الترمذي: حسن.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص470.

ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يُعْطِهِ منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فَصَدَّقَه رجل)، ثم قرأ هذه الآية:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا } (1).

3- الغلــول:

هو الأخذ من الغنيمة على وجه الخفية دون علم أحد، وهو ذنب يخفي تحته شيء من الطمع والأشرة، وقد تَوَعَّدَ الله- تبارك وتعالى- الغال بالفضيحة يوم القيامة على روس الأشهاد (2).

قال تعالى:{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾} [آل عمران: ١٦١]؛ أي: يأتي به حاملاً على ظهره ورقبته، معذباً بحمله وثقله، ومرعوباً بصوته، وموبخاً بإظهار خيانته على روس الأشهاد. وقد فَسَّرَ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الإتيان للغلول يوم القيامة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فَعَظَّمه وَعَظَّمَ أمره، قال:(لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً وقد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك شيئاً وقد أبلغتك، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق

(1) البخاري، ك التفسير رقم 4277.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص276.

فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك) [1].

4- المتكبرون:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة، وفي صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان) [2].

والذر صغار النمل، وصغار النمل لا يعبأ به الناس، فيطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون، وكما يبغض الله المتكبرين يبغض أسماءهم التي كانوا يطلقونها على أنفسهم؛ استكباراً واستعلاءً تصبح هذه الأسماء التي كانوا يفرحون عند سماعها أنكر الأسماء وأخبثها، وأغيظها على الله [3].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى ملك الأملاك) وزاد مسلم في رواية:(لا مالك إلا الله عز وجل) [4].

قال القاضي عياض:أخنع: (معناه أشدُّ الأسماء صغاراً).

وقال ابن بطال: (وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشدُّ ذلاً) [5].

5- الأثرياء المنعمون:

الذين يركنون إلى الدنيا، ويطمئنون إليها، ويكثرون من التمتع

(1) البخاري، ك الجهاد والسير رقم 2908.
(2) مشكاة المصابيح (2 / 635) إسناده حسن.
(3) اليوم الآخر القيامة الكبرى، د. عمر الأشقر ص144.
(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 914.
(5) فتح الباري (10 / 589).

بنعيمها، يفيق عليهم يوم القيامة وإن أصحاب المال الكثير والمتاع الدنيوي الواسع يكونون أقل الناس أجراً يوم القيامة ما لم يكونوا بذلوا أموالهم في سبل الخيرات [1]، قال صلى الله عليه وسلم :(**إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً فنفح فيه بيمينه وشماله، وبين يديه ومن ورائه، وعمل فيه خيراً**) [2].

6 – فضيحة الغادر:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان ابن فلان**) [3]. وقال صلى الله عليه وسلم :(**لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة**) [4]، وأمير العامة هو الحاكم أو الخليفة، وكانت غدرته كذلك؛ لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير؛ ولأن الحاكم أو الوالي يملك القوة والسلطان، فلا حاجة به إلى الغدر [5].

والغادر: الذي يواعد على أمر لا يفي به، **واللواء**: الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحق، أو صاحب دعوة الجيش، ويكون الناس تبعاً له، فالغادر ترفع له راية تسجل عليها غدرته، فيفضح بذلك يوم القيامة، وتُجْعَلُ هذه الراية عند مؤخرته [6].

(1) اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص149.
(2) صحيح الجامع الصغير (2 / 165) رقم 1950.
(3) صحيح مسلم رقم 1735.
(4) المصدر نفسه رقم 1738.
(5) اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص151.
(6) المصدر نفسه ص151.

7 – غاصب الأرض:

قال النبي صلى الله عليه وسلم :(من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين) [1].

8 – ذو الوجهين:

شر الناس يوم القيامة المتلون، الذي لا يثبت على حال واحدة وموقف واحد، يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه [2]، قال صلى الله عليه وسلم : (تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه) [3].

9 – الحاكم الذي يحتجب عن رعيته:

قال صلى الله عليه وسلم :(من وَلِّيَ من أمور المسلمين شيئاً، فاحتجب دون خلتهم، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته، وفاقته وفقره) [4].

10 – الذي يسأل وله ما يغنيه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من سأل وله ما يغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً في وجهه) [5].

11 – من كذب في حلمه:

قال صلى الله عليه وسلم :(من تَحَلَّمَ بحلم لم يره كُلِّفَ أن يعقد بين

---

(1) فتح الباري لصحيح البخاري (5 / 3).
(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص154.
(3) مشكاة المصابيح (2 / 578) رقمه 4820.
(4) صحيح الجامع الصغير (5 / 368) رقم 6471.
(5) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 499.

شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صب في أذنه الآنك يوم القيامة) [1].

خامساً: حال الأتقياء:

1 - لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون إذا فزع الناس يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى:{ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾} [الزمر: ٦١].

وقال الله تعالى لهم تطميناً لقلوبهم:{ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ } [الزخرف: ٦٨، ٦٩].

وقال تبارك وتعالى:{أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

أما البشرى في الحياة الدنيا فتطلق على أمرين: على تبشير الملائكة للمحتضر بالجنة - وتقدم دليل هذا - وتطلق على الرؤيا الصالحة [2]؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم :(لم يبق من النبوة إلا المبشرات)، قالوا: وما المبشرات؟ قال:(الرؤيا الصالحة) [3].

وأما البشرى في الآخرة فهي تَلَقّي الملائكة لهم بتثبيت قلوبهم، وتأمينهم من الفزع الأكبر، قال تعالى:{ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ

---

(1) فتح الباري (12 / 427).
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص279.
(3) البخاري، ك المبشرات رقم 6589.

ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ} [الأنبياء: ١٠٣]، قال تعالى: {مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ} [النمل: ٨٩].

2- بياض وجوههم:

قال تعالى: {وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [آل عمران: ١٠٧] ، قال تعالى: {وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾} [عبس: ٣٨، ٣٩].

{مسفرة}قيل: مشرقة، وقيل: مضيئة، وقيل: مستنيرة، وكلها متقاربة في المعنى، والاشتقاق اللغوي يدل على ذلك [1].

3- الذين يظلهم الله في ظله:

قال صلى الله عليه وسلم :(**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**) [2].

والإظلال في ظل العرش ليس مقصوراً على السبعة المذكورين في الحديث؛ فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الله يظل غيرهم. وقد جمع ابن حجر العسقلاني الخصال التي يظل الله أصحابها في

(1) لسان العرب ابن منظور (4 / 369) معجم مقاييس اللغة (3 / 182).
(2) البخاري مع فتح الباري (2 / 143)، مسلم رقم 103.

كتاب سماه: (معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال) [1].

ومن هذه الخصال إنظار المعسر أو الوضع عنه، قال صلى الله عليه وسلم :(من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظلـه) [2]، وقـال صلى الله عليه وسلم :(من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العـرش يـوم القيامة) [3].

4- الذين يسعون في حاجة إخوانهم، ويسدون خلتهم:

من أعظم ما يفرج كربات العبد في يوم القيامة سعي العبد فـي الدنيا فـي فلـك كربـات المكروبين، ومسـاعدة المحتـاجين، والتيسـير علـى المعسرين [4]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(مـن نَفَّـسَ عـن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربـة مـن كـرب يـوم القيامـة، ومن يَسَّرَ عن معسر يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) [5].

5- الذين ييسرون على المعسرين:

قال النبي صلى الله عليه وسلم :(كان رجل يداين الناس، فكـان يقـول لفتاه: إذا أتيت معسراً تجاوز عنه؛ لعل الله أن يتجاوز عنا، قـال: فلقـي الله فتجاوز عنه)[6].

---

(1) فتح الباري (2 / 144).
(2) صحيح مسلم رقم 3006.
(3) صحيح الجامع (4 / 364) رقم 1452.
(4) اليوم الآخر القيامة الكبرى ص161.
(5) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (1 / 71) رقم 204.
(6) مشكاة المصابيح (2 / 108) رقم 2899.

6- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا:

العادلون يوم القيامة في مقام رفيع، يجلسون على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، قال رسول الله:(إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) [1].

7- الشهداء والمرابطون:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه) [2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(رباط يوم خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر) [3].

8- الكاظمون الغيظ:

قال تعالى:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤} [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

---

(1) صحيح مسلم (3 / 1458)، رقم الحديث 1827.
(2) مشكاة المصابيح (2 / 358) رقم الحديث 3834.
(3) صحيح الجامع الصغير (3 / 171) رقم الحديث 3473.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على روس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره في أي الحور العين شاء) [1].

9 – عَتَقَة الرقاب المسلمة:

قال تعالى:{فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾} [البلد: ١١ - ١٣].

فمن الأعمال الكريمة التي يتمكن صاحبها من اقتحام العقبات الكأداء في يوم القيامة، عتق الرقاب [2].

10 – فضل المؤذنين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة) [3]، وطول العنق جمال، ثم هو مناسب لما قاموا به من عمل حيث كانوا يبلغون الناس بأصواتهم كلمات الأذان التي تعلن التوحيد وتدعو للصلاة [4].

11– الذين يشيبون في الإسلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة) [5].

12– فضل الوضوء:

(1) مشكاة المصابيح (2 / 631) رقم 5088.
(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص166.
(3) صحيح مسلم (4 / 290) رقم الحديث 387.
(4) اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص169.
(5) صحيح الجامع الصغير (5 / 304) رقم 6183.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(**إن أمتي يُدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء**) [1].

(**غرًّا**)جمع أغر؛ أي: ذو غرّة، وأصل الغرّة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها النور الكائن في وجوه أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله:(**محجلين**) من التحجيل، وهو بياض يكون في ثلاثة قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الحِجْل بكسر الحاء، وهو الخلخل، والمراد به هنا أيضاً - النور [2]، وهذه الغرة وذلك التحجيل تكون للمؤمن حلية في يوم القيامة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**) [3]، وبهذه الحلية يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بين الخلائق، لا فرق بين أصحابه وغيرهم [4].

* * *

---

(1) فتح الباري على صحيح البخاري (1 / 235).
(2) فتح الباري (1 / 236).
(3) مشكاة المصابيح (1 / 96) رقم الحديث 291.
(4) اليوم الآخر، يوم القيامة ص172.

المبحث الثالث

الشفاعــة

(الشفاعة): التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة [1].

أولاً: الأدلة القرآنية والنبوية في ثبوت الشفاعة:

1- قال تعالى:{مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ} [البقرة: ٢٥٥].

2- قال تعالى:{مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ} [يونس: ٣].

3- قال تعالى:{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ} [الأنبياء: ٢٨].

4- قال تعالى:{يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾} [طه: ١٠٩].

5- قال تعالى:{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ} [النجم: ٢٦].

6- قال تعالى:{وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾} [الزخرف: ٨٦].

وفي قوله تعالى:{وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ}؛ أي: الأصنام والأوثان{ٱلشَّفَٰعَةَ}؛ أي: لا يقدرون على الشفاعة لهم:{إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} هذا استثناء منقطع؛ أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له، فهذه الآيات تدل على الشفاعة المثبتة بشروطها [2].

وأما الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها وهم كفار فمنها:

1- قال تعالى:{لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ} [الأنعام: ٥١].

2- قال تعالى:{مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر: ١٨].

---

(1) الشفاعة عند المثبتين والنافين د. عفاف بنت حمد عبد العزيز الونيس ص354.
(2) المصدر نفسه.

والمراد بالظالمين هنا الكافرون، ويشهد لذلك مفتتح الآية؛ إذ هي في ذكر الكافرين [1].

3- قال تعالى:{قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا} [الزمر: ٤٤].

وقد ورد ذكر الشفاعة كثيراً في الأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة الصحاح منها: [2].

1- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**(لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب له، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)** [3].

2- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، وذكر منها: وأعطيت الشفاعة)** [4].

3- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول شافع، وأول مشفَّع)** [5].

ثانياً: أقسام الشفاعة في الآخرة:

تنقسم الشفاعة في الآخرة إلى:

1- الشفاعة الصحيحة:

هي ما جمعت شروط الشفاعة الثلاثة:

- رضا الله عن الشافع.

---

(1) الشفاعة عند المثبتين والنافين ص355.
(2) المصدر نفسه ص257.
(3) مسلم رقم 200.
(4) مسلم رقم 521.
(5) مسلم، ك الفضائل (4 / 1782).

- رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس، من رضى الله عنهم، من لم يرض عنهم.

- إذنه في الشفاعة.

ودليل ذلك قوله تعالى:{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ } [النجم: ٢٦].

2- الشفاعة الباطلة:

هي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم، حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله كما قال تعالى:{ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ } [يونس: ١٨] ولكن هذه الشفاعة بالله لا تنفع كما قال تعالى:{فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ} [المدثر: ٤٨].

ومن الآيات الدالة على بطلان شفاعة المشركين قوله تعالى:{ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ } [الزمر: ٤٣].

وقوله تعالى:{قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾} [الزمر: ٤٤].

ثالثاً: شروط الشفاعة:

ثلاثة، وهي ظاهرة في كتاب الله -عز وجل- لمن تَأَمَّلها وهي كالتالي:

1- رضا الله عن الشافع:

قال تعالى:{يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾} [طه: ١٠٩].

2- رضا الله عن المشفوع له:

قال تعالى:{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)} [الأنبياء: ٢٨].

3- إذن الله بالشفاعة:

قال تعالى:{ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [البقرة: ٢٥٥]. هذا وقد جمع الله - تعالى- هذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى:{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ } [النجم: ٢٦]. فقوله:{إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ} هذا شرط الإذن، وقوله:{وَيَرْضَىٰ}، فلم يذكر فيه متعلق الفعل (يرضى)، فهل يرضى عن الشافع أم عن المشفوع؟ والقاعدة تقول: حذف المتعلق يفيد العموم[1]؛ فالآية - إذن- تدل على المعنيين، فتشمل الرضى عن الشافع وعن المشفوع، وهو المطلوب [2].

وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القضية في حديث أنس في الصحيحين فقال:(فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقول لي: ارفع رأسك، وسل تُعْطَ، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدًّا، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود) [3].

(1) قواعد التفسير لخالد السبت (2 / 597).
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص292.
(3) البخاري رقم 7002.

رابعاً: أنواع الشفاعة:

إن للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة شفاعات متعددة منها:

1- الشفاعة العظمى:

وهذه الشفاعة من أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه:{عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا} [الإسراء: ٧٩]، وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، عليهم الصلاة والسلام، حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون:(يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عَلَيَّ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تُعَطْ، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبصرى) [(1)].

يعني أن من لا حساب عليه من أمة محمد يدخل الجنة مباشرة ولا يمر بما يمر به الناس من أعمال، ثم بعد هذه الشفاعة يبدأ الحساب، وهذه الشفاعة خاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم [(2)].

---

(1) مسلم رقم 194.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص299.

2- اختصاصه صلى الله عليه وسلم باستفتاح باب الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً) [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(آتي باب الجنة يوم القيامة فأستشفع، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمِرتُ ألا أفتح لأحد قبلك)[2].

وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال:(نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة) [3].

3- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم، وقد جاء في ذلك بعض الأحاديث، ودليل هذا النوع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى رضى الله عنه في استشهاد أبي عامر رضى الله عنه وفيه: يا بن أخي، انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، قال: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيراً، ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم دخلت عليه وهو في بيت على سرير مرمل، وعليه فراش، وقد أثَّرَ رمال السرير بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال: قل

(1) مسلم رقم 196.
(2) مسلم رقم 333.
(3) مسلم (2 / 585).

له: يستغفر لي، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال:(اللهم اغفر لعبدك أبي عامر)، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال:(اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس). فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :(اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً) [1].

وعن أم سلمة رضى الله عنة قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال:(إن الروح إذا قبض تبعه البصر) فضج ناس من أهله فقال:(لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤَمِّنُونَ على ما تقولون، اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، وأخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونوّر له فيه) [2].

4- الشفاعة في بعض الكفار من أهل النار، حتى يخفف عنهم:

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب، ويستدل لهذا النوع بحديث في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال:(نعم، هو في ضحضاح [3] من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) [4].

(1) البخاري (8 / 41)، مسلم (4 / 1943).
(2) مسلم (2 / 634).
(3) ضحضاح: ما رَقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار: النهاية (3 / 75).
(4) البخاري رقم 38883.

وهذه شفاعة تخفيف لا شفاعة إخراج من النار وإنه أهون أهل النار عذاباً كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه**) [1].

5- الشفاعة في أهل الكبائر:

شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً، وهذه الشفاعة تتكرر منه صلى الله عليه وسلم أربع مرات [2]، ومن أحاديث هذا النوع حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**) [3].

6- الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب:

ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :(**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**)، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال:(**هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**)، فقال عكاشة بن محصن رضي الله عنه: ادع الله أن يجعلني منهم. قال:(**أنت منهم**)، قال: فقام رجل فقال: يا نبي الله، ادع الله أن

---

(1) مسلم رقم 362.
(2) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية للغنيمي ص292.
(3) سنن الترمذي رقم 2435 حسن صحيح وغريب.

يجعلني منهم، قال:(سبقك بها عكاشة) [1].

7- شفاعة الرسول في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم:

فيشفع فيهم؛ ليدخلوا الجنة، وفي آخرين قد أُمِرَ بهم إلى النار ألا يدخلوها [2].

خامساً: الشفعاء غير النبي صلى الله عليه وسلم :

1- الملائكة:

قال تعالى:{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾} [النجم: ٢٦]، وفيه دلالة أنه إذا أذن الله تعالى له فإنه يشفع [3].

وقال تعالى:{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٢٨].

2- الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والمؤمنون الصالحون:

وهذا النوع قد ثبت بالحديث الطويل لأبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ثم يقول الله: شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين) [4].

3- الشهداء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يشفع الشهيد في سبعين من أهل

---

(1) مسلم (1 / 197، 198).
(2) اليوم الآخر القيامة الكبرى ص189، فتح الباري (11 / 436).
(3) الشفاعة عند المثبتين والنافين ص412.
(4) مسند الإمام أحمد رقم 11488، وسنده صحيح وله شواهد كثيرة في الصحيحين.

بيته) [1].

4- أولاد المؤمنين:

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الجنة بفضل رحمته) [2].

وقال صلى الله عليه وسلم :(لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار)، فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله، أو اثنان، قال:(أو اثنان) [3].

5- القرآن الكريم:

عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان [4]، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة)[5]؛ أي: السحرة.

وقال صلى الله عليه وسلم :(إن سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع

---

(1) صحيح سنن ابن ماجة (2 / 129).
(2) البخاري، ك الجنائز (3 / 95، 96).
(3) الموطأ (1 / 235)، جامع الأصول لابن الأثير (9 / 593) حديث صحيح.
(4) الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه.
(5) مسلم (1 / 553).

لصاحبها حتى يغفر له: تبارك الذي بيده الملك) [1].

سادساً: الأسباب الجالبة للشفاعة:

تعددت الأحاديث الواردة في ذكر أسباب الشفاعة: منها:

1- التوحيد وإخلاص العبادة لله:

جاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال:(أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله من قلبه أو نفسه) [2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت؛ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة-إن شاء الله-من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) [3].

2- الصيام:

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فَشَفِّعْنِي فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فَشَفِّعْنِي فيه فَيُشَفَّعَانْ) [4].

(1) (صحيح ابن ماجه (2 / 216).
(2) البخاري، ك العلم (1 / 33).
(3) مسلم رقم 200.
(4) الحاكم في مستدركه (1 / 544) حديث صحيح.

3- الدعاء بما ورد عند الأذان:

قال صلى الله عليه وسلم :(من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة) [1].

4- سَكَنُ المدينة والصبر على لأوائها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا يصبر أحد على لأوائها [2] فيموت بها إلا كانت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً) [3].

5- الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من صلى عَلَيَّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة) [4].

6- صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم:

قال صلى الله عليه وسلم :(ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شَفَعُوا فيه) [5].

وقال صلى الله عليه وسلم :(ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شَفَّعَهُم الله فيه) [6].

(1) صحيح البخاري (1 / 152).
(2) لأوائها: أي: الصبر على شدائدها وضيق العيش فيها.
(3) مسلم (2 / 1002).
(4) صحيح الجامع للألباني رقم 6233.
(5) مسلم، ك الجنائز (2 / 654).
(6) مسلم، ك الجنائز (2 / 655).

7- كثرة السجود:

عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي:(سل) فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال:(أو غير ذلك؟) قلت: هو ذاك، قال:(فأعني على نفسك بكثرة السجود)[1].

* * *

(1) مسلم، ك الصلاة (1 / 353).

المبحث الرابع

الحساب والميزان والحوض والصراط

ذكر الله -سبحانه وتعالى- مشهد الحساب والجزاء فقال تعالى: {وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾} [الزمر: ٦٩].

والمراد بالحساب هو أن يقف العباد بين يدي الله تبارك وتعالى، وأن يعرّفوا بما عملوا، وأن تحضر أقوالهم، ما صدر منهم في الحياة الدنيا من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية، وما يستحقونه من ثواب وعذاب، ثم ما كان يَتَسلَّمونه من كتب بأيمانهم إن كانوا مؤمنين صالحين، أو بشمالهم إن كانوا طالحين [1].

أولاً: إيتاء العباد كتبهم:

قال تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾} [الانشقاق: ٧ - ٨]، فذكر إيتاءهم الكتب أولاً، ثم عَقَّبَ بحرف الفاء الذي يقتضي الترتيب والتعقيب، فذكر الحساب [2]، ويخرج لكل إنسان كتاب مفتوح فيقرأه وإن كان أميًّا؛ لإقامة الحجة عليه.

قال تعالى:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾} [الإسراء: ١٣ - ١٥].

وهذا الكتاب يأخذه المؤمن بيمينه من أمامه، وأما الكافر فيأخذه بشماله من خلف ظهره.

(1) الحياة في القرآن الكريم، أحزمي جزولي (2 / 599).
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص307.

قال تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾
مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾} [الحاقة: ١٩ - ٣٢].

وقال تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾} [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وقال تعالى:{ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾} [الإسراء: ٧١].

وقال تعالى:{ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾} [الكهف: ٤٩].

وقال تعالى:{ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ} [القمر: ٥٢ - ٥٣].

والذين يكتبون هم الملائكة الذين وكّلهم الله مع كل إنسان يسجلون عليه كل شيء، قال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾} [الانفطار: ١٠ - ١٢].

- قال تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ

أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾} [يس: ١٢].

ثانياً: سؤال كل الناس عن أعمالهم:

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أن الكفار يُسْأَلون، كقوله تعالى:{ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾} [الحجر: ٩٢].

وقوله تعالى:{ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾} [الصافات: ٢٤، ٢٥].

وقال تعالى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾} [العنكبوت: ١٢، ١٣].

وقال تعالى:{ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾} [النمل: ٨٣ - ٨٥].

وقال تعالى:{ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾} [المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٥].

وأما الآيات التي تدل على أن الكفار لا يُسْأَلون كقوله تعالى:{وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ } [القصص: ٧٨]. وقوله:{ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾} [الرحمن: ٣٩]، وقوله تعالى:{هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾}[المرسلات: ٣٥، ٣٦]. ونحو ذلك من النصوص.

قـــال العلمـــاء: إنهـــم يُسْـــألون يـــوم القيامـــة فـــي مـــوطن دون موطن، فالقيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك [1].

وقالوا: إن الكفار لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ، لم عملتم كذا وكذا؟ [2] وإنهم لا يسألون سؤال استفهام، لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم وإنما يسألون سؤال تقرير، فيقال لهم: لم فعلتم كذا؟ [3].

وقـال القرطبـي: (إن معنـى قولـه تعـالى:{وَلاَ يُسْـأَلُ عَـن ذُنُـوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} سؤال التعرف؛ لتمييز المؤمنين من الكافرين؛ أي: إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحداً يوم القيامة أن يقال: ما دينك؟ وما كنت تصنع في الدنيا؟ حتى يتبين لهم بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمناً أو كان كافراً، لكن المؤمنون يكونون ناضري الوجوه، مشرحي الصدور، ويكون المشركون سود الوجوه، زرقاً مكروبين، فهم إذا كُلّفوا سوق المجرمين إلى النار، وتميزهم في الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم) [4].

ومن حكمة الله تعالى في محاسبتهم وزن أعمالهم مع أن أعمالهم حابطة مردودة أمور منها:

1- إقامة الحجة عليهم، وإظهار عدل الله فيهم:

---

(1) تذكرة القرطبي ص286. ، اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص201 للأشقر.
(2) التذكرة ص286 للقرطبي.
(3) لوامع الأنوار البهية (2 / 174).
(4) تذكرة القرطبي ص287، اليوم الآخر يوم القيامة ص202.

قال تعالى: {وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ (٤٧)} [الأنبياء: ٤٧].

2- أن الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم:

قال تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)} [الأنعام: ٣٠].

قال تعالى: {وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢)} [الشعراء: ٩١، ٩٢].

3- أن الكفار مكلفون بأصول الشريعة كما هم مكلفون بفروعها:

لأن الله تعالى قال: {وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ} [فصلت: ٦، ٧]. فتوعدهم على منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم: {مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥)} [المدثر: ٤٢ - ٤٥]، فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان بالبعث، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأنهم مسؤولون عنها، مجزيون بها [1].

4- أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم:

ويحلون في النار بمقدار هذه الذنوب؛ فالنار دركات بعضها تحت بعض [2].

قال تعالى: {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ} [النساء: ١٤٥].

---

(1) تذكرة القرطبي ص309، اليوم الآخر القيامة ص199.
(2) اليوم الآخر القيامة ص199.

ثالثاً: الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة:

العبد يسأل يوم القيامة عن كل شيء فعله كما قال تعالى:{وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٣].

- وقال تعالى:{ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الحجر: ٩٢ - ٩٣]. ولكن هناك بعض الأعمال نص الله تعالى على أن يُسْأَلَ عنها؛ ليزداد الخوف منها، وهي كالتالي:

1- الكفر والشرك:

قال تعالى:{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾} [النحل: ٥٦].

2- كذبهم في حق الملائكة:

قال تعالى:{ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾} [الزخرف: ١٩].

3- النعيم الذي أنعم عليه في الدنيا:

قال تعالى:{ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾} [التكاثر: ٨].

4- العهود والمواثيق:

قال تعالى:{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } [الإسراء: ٣٤].

5- العلم والسمع والبصر والفؤاد:

قال تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾} [الإسراء: ٣٦].

6- إضلال المضلين للناس:

قال تعالى:{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)} [العنكبوت: ١٣].

7- الدين ونصرته، والقرآن والعمل به:

قال تعالى:{ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)} [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

8- يسأل العبد عن صلاته:

قال صلى الله عليه وسلم :(إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة قال الرب: انظر هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك) (1).

9- سيسأل كل عبد عن أشياء:

قال صلى الله عليه وسلم :(لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم) (2).

رابعاً: القواعد التي يحاسب العباد على أساسها:

من هذه القواعد التي ذكرت في القرآن الكريم:

1- عدل الله التام:

(1) صحيح الجامع رقم 2020.
(2) صحيح الجامع رقم 7299.

قال تعالى: { وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ } [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: { فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ } [يس: ٥٤].

وقال تعالى: { يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ } [لقمان: ١٦].

وقال تعالى: { وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: ٧٧].

وقال تعالى: { وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ } [النساء: ١٢٤].

وقال تعالى: { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } [النساء: ٤٠].

2- لا يتحمل أحد ذنب أحد:

قال تعالى: { وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ } [الأنعام: ١٦٤].

وقال تعالى: { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ } [النجم: ٣٦ - ٤١].

3- اطلاع العباد على ما قَدَّموه من أعمال:

قال تعالى: { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ } [آل عمران: ٣٠].

وقال تعالى:{ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾} [الكهف: ٤٩].

4- مضاعفة الحسنات دون السيئات:

قال تعالى:{إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [التغابن: ١٧]، وقال تعالى:{مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾} [الأنعام: ١٦٠]. وأما السيئة فلا تجزى إلا مثلها، قال تعالى:{وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا} [الأنعام: ١٦٠].

قال تعالى:{مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾} [البقرة: ٢٦١]. هذا مَثَلٌ ضربه الله، لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف [1].

ومن فضل الله -تبارك وتعالى- أن المؤمن الذي يَهُمُّ بفعل الحسنة ولكنه لا يفعلها تكتب له حسنة تامة، والذي يهم بفعل السيئة ثم تدركه مخافة الله فيتركها تكتب له حسنة كاملة [2]، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال:(إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها

(1) تفسير ابن كثير (1 / 561).
(2) اليوم الآخر يوم القيامة ص211.

فعملها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة) [(1)].

5- تبديل السيئات حسنات:

قال تعالى:{إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾} [الفرقان: ٧٠].

وهذا من رحمة الله وفضله على المؤمنين أن يبدل سيئاتهم حسنات.

خامساً: إقامة الشهود على الناس:

الله - سبحانه وتعالى- لا يحتاج إلى من يخبره، عن عباده أو يشهد عليهم بما فعلوه، إلا أنه - سبحانه - من كمال عدله وإعذاراً للعالمين أقام عليهم الشهود، ونوّع تلك الشهود وكثرها، حتى تنقطع الحجج؛ وتخرس الأفواه، وتقر الجموع بعدل الله المطلق [(2)]، وهؤلاء الشهود كثر كما قال تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾} [هود: ١٨].

وقال تعالى:{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾} [غافر: ٥١]، وقال تعالى:{ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾} [الزمر: ٦٩].

---

(1) فتح الباري (11 / 323)، البخاري كتاب الرقاق.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص335.

ومما ذُكِرَ في القرآن الكريم من إقامة الشهود على الناس الآتي:

1- شهادة الملائكة:

قال تعالى:{وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾} [ق: ٢١]؛ أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله [1].

قال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ} [الانفطار: ١٠ - ١٢].

"فهؤلاء" الملائكة الكرام الكاتبون هم الذين يشهدون، ويدل عليه الحديث التالي عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال:(**هل تدرون مم أضحك؟**) قلنا: الله ورسوله أعلم، من مخاطبة العبد ربه، يقول:(**يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ يقول: بلى، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعداً لكنّ وسحقاً، فعنكن كنت أناضل**) [2].

2- شهادة الرسل عليهم:

يشهد كل رسول على أمته، وأنه قد بَلّغهم وبَيَّنَ لهم، وأزال عنهم الشبه لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل.

- قال تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾} [يونس: ٤٧]. المعنى: إذا جاء الرسول

(1) المصدر نفسه ص337.
(2) مسلم، ك الزهد والرقائق رقم 2969.

يوم القيامة قُضِيَ بينهم، وسَمَّاه الله - تعالى - شهيداً كما في قوله تعالى:{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾} [النحل: ٨٤].

وقال تعالى:{ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾} [القصص: ٧٥].

3- شهادة أمة محمد على الخلق:

بعد أن تشهد الرسل على أقوامهم لا تجد هذه الأمم مهرباً إلا بتكذيب رسلها، فيقومون وينكرون ما جاءت به الرسل، ويكذبونهم - كما كانوا يكذبونهم في الدنيا - ويقولون: ما جاءنا من نبي، فتقوم أمة محمد - الأمة الوسط - فتشهد للرسل.

قال تعالى:{وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾} [الحج: ٧٨].

وقال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: ١٤٣]، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بَلَّغْتَ؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بَلَّغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فنشهد أنه قد بَلَّغ)، وهو قوله جلّ ذكره{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ} والوسط: العدل [1].

4- شهادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى:{وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ} [الحج: ٧٨].

- وقال تعالى:{ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾} [النحل: ٨٩].

5- شهادة جوارح الإنسان من الألسن والأيدي على نفسه:

قال تعالى:{يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾} [النور: ٢٤].

وقال تعالى:{ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾} [يس: ٦٥].

وقال تعالى:{ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ
وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾} [فصلت: ١٩ - ٢٢].

6- شهادة الأرض:

قال تعالى:{يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾} [الزلزلة: ٤ - ٥].

(1) البخاري، ك أحاديث رقم 3161.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾} [الزلزلة: ٤] قال:(أتدرون ما أخبارها؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:(فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها)(1).

7- أعظم وأجلّ شهادة:

قال تعالى:{لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾} [الأحزاب: ٥٥].

وقال تعالى:{ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾} [يونس: ٦١].

فبعد أن يشهد الأحياء والجمادات، وتنتهي هذه الشهادات، تأتي شهادتهم الله العزيز الحميد جلّ جلاله وتقدست أسماؤه (2).

8- شهودهم على أنفسهم:

إذا رأى العبد الحق، وتبيَّنَ له أن الله لا تخفى عليه خافية، ورأى كل ما عمله مكتوباً في صحيفته، وقامت عليه الشهود، ورأى أنه لا

---

(1) سنن الترمذي، ك تفسير القرآن رقم 3353، حسن صحيح غريب.
(2) اليوم الآخر في القرآن الكريم ص340.

برهان له ولا حجة، أقر واعترف بما جنى واقترف [1].

قال تعالى:{يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾} [الأنعام: ١٣٠].

سادساً: اقتصاص المظالم بين الخلق:

في ذلك اليوم يُقتص للناس بعضهم من بعض؛ فالحساب شامل لظلم العبد نفسه، وظلمه لغيره من الناس، وما أعظم خيبة الذي وقع في ظلم الناس! لأن القصاص يومئذ لا يكون بالمال ولا السجن ولا غير ذلك، بل يكون بالحسنات والسيئات [2]، قال تعالى:{وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾} [طه: ١١١].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه قدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) [3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أتدرون من المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال:(إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص343.
(2) المصدر نفسه ص343.
(3) البخاري، ك المظالم رقم 2317.

خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) [1].

ومن كمال عدل الله - تعالى - في ذلك اليوم أنه يقتص للبهائم بعضها من بعض [2]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق: الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل القصاص بين الدواب، حتى تقتص الشاة الجماء من القرناء بنطحها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني تراباً، فتكون تراباً، فيراها الكافر فيقول:{يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا} [النبأ: ٤٠] [3].

1- عِظَم شأن الدماء:

من أعظم الأمور عند الله أن يسفك العباد بعضهم دم بعض في غير الطريق الذي شرعه الله- تبارك [4] وتعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: يا رب، هذا قتلني، فيقول: لم قتلته؟ فيقول: قتلته؛ لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: أي رب، إن هذا قتلني، فيقول الله: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه) [5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماء، فيقول: يا رب، سل

(1) مسلم، ك المظالم رقم 2317.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص344.
(3) أخرجه الحاكم بإسناد صحيح، اليوم الآخر المطيري ص344.
(4) اليوم الآخر القيامة الكبرى للأشقر ص240.
(5) صحيح الجامع الصغير (6 / 324) رقم 7885.

هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش) [1].

2- أول ما يقضى بين العباد في الدماء:

ولعظم أمر الدماء فإنها تكون أول شيء يُقضَى فيه بين العباد؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**) [2].

سابعاً: الحوض:

قال تعالى:{إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾} [الكوثر: ١ - ٣].

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى [3] إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال:(**أنزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم {إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ}** ثم قال:(**أتدرون ما الكوثر؟**) فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال:(**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، عليه حوض تَرِد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فُيختلج [4] العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك**) [5]؛ فقوله:(**عليه حوض**) يدل على أن الحوض يتفرع من النهر،

---

(1) صحيح الجامع الصغير (6 / 324) رقم 7887.
(2) جامع الأصول لابن الأثير (10 / 436) رقم 7968.
(3) أغفى: أي: نام نومة خفيفة، أو نعس.
(4)الاختلاج: الحركة والاضطراب.
(5) مسلم رقم 53 شرح النووي (4 / 112).

ويدل الحديث - أيضاً - أن الحوض موجود في عرصات يوم القيامة قبل دخول الجنة؛ لقوله: فيختلج العبد منهم، وهذا لا يكون في الجنة؛ لأنهم في الجنة لا يمنعون من شيء يشتهونه [1]. وقد جاءت الأحاديث النبوية في بيان حوض النبي صلى الله عليه وسلم الذي أكرمه الله- عز وجل- به وهو في عرصات القيامة، وهو غير الكوثر، بل الكوثر يكون مدداً له، والذي يتخلص في صفته أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، وماؤه أشد بياضاً من اللبن والورق، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وكيزانه عدد نجوم السماء، ترد عليه أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فرطهم، عليه من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً [2]. ولقد بَيَّنَ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة الذين يردون على حوضه والذين يُذادون عنه فيمنعون من الشرب منه؛ فمن تلك الأحاديث:

1- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن حوضي لأبعد من أَيْلَة [3] من عدن [4]، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه)، قالوا: يا رسول الله، وتعرفنا؟ قال:(نعم، تردون عليّ غرًّا محجلين من

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص360.
(2) اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب د. محمد الزبيدي ص286.
(3) أيلة: مدينة على بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام.
(4) العدن: باليمن.

آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم) [1].

2- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار، والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أرى يخلص منهم إلا همل النعم) [2].

3- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إني فرطكم على الحوض، من مر عليّ شرب، ومن يشرب لم يظمأ أبداً، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي) [3].

وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله صلى الله عليه وسلم :(هل تدري ما أحدثوا بعدك؟)، المراد به على أقوال:

أ – إن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيمة التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بَدَّلُوا بعدك؛ أي: لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

ب – إن المراد من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد، بعده فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم إن لم يكن عليهم سيمة الوضوء؛ لما كان يعرفه صلى الله عليه وسلم في حياته من

---

(1) مسلم على شرح النووي (3 / 136).
(2) أي: فلا يرد الحوض إلا القليل؛ لأن الهمل من الإبل قليل بالنسبة لغيره.
(3) مسلم، ك الفضائل (4 / 1793).

إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

ج – إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم -سبحانه وتعالى- فيدخلهم الجنة بغير عذاب [(1)]، ونقل هذه الأقوال -أو قريباً منها- القرطبي وابن حجر رحمهما الله تعالى[(2)].

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا؛ ففي بعضها يقول النبي صلى الله عليه وسلم :(فأقول أصحابي) أو:(أصيحابي) بالتصغير - وفي بعضها يقول:(سيؤخذ أناس من دوني) فأقول:(يا ربي، مني ومن أمتي)، وفي بعضها يقول:(ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني) [(3)]، وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة؛ فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب [(4)].

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بَيَّنَ أن سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله :(إنهم ارتدوا على أدبارهم) أو

---

(1) شرح صحيح مسلم (3 / 136، 137).
(2) المفهم للقرطبي (1 / 504)، فتح الباري (11 / 385).
(3) الروايات في البخاري، ك الرقاق، فتح الباري (11 / 463).
(4) الانتصار للصحب والآل ص354 للرحيلي.

الإحداث في الدين كما في قوله:(**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**) [1]، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين، سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من الأعراب، أو من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث، وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، وكل هؤلاء يُخَافُ عليهم أن يكونوا ممن عُنُوا بهذا الخبر، والله أعلم[2].

الذود عن الحوض إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد تصدى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المرتدين، وقاتلوهم قتالاً عظيماً، وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقُتِل منهم من قُتِلَ، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة ﷺ، وكذلك أهل البدع كان الصحابة - رضوان الله عليهم - أشد الناس إنكاراً عليهم، لهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها [3]، وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم،

(1) مسلم، ك الفضائل، إثبات الحوض (4 / 1792 - 1082).
(2) شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 137)
(3) السنة لعبد الله بن أحمد (2 / 420) علي بن أبي طالب للصلابي ص684.

وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب من رماهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته، وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته، ولا يشكل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : (**ليردن عليّ ناس من أصحاب الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني**)[1]، فهؤلاء هم من مات النبي صلى الله عليه وسلم وهم على دينه ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء في علم النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه؛ لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته، ولذا يقال له:(**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**) [2]، فالظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وأين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين، وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلبين على أدبارهم؟! وهؤلاء المرتدون لا يدخلون في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عَرَّفَه العلماء المحققون: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على

---

(1) البخاري رقم 6582.
(2) مسلم، ك الفضائل (5 / 1796).

الإسلام [1].

فاللهم ارزقنا شربة هنيئة مريئة من حوض النبي صلى الله عليه وسلم لا نظمأ بعدها أبداً.

ثامناً: الميزان:

قال تعالى:{وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾} [الأنبياء: ٤٧].

قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها [2].

وقد ذُكِرَ لفظ الوزن والميزان في القرآن الكريم في ثلاث وعشرين آية، منها خمس عشرة آية خاصة بالحث على إقامة العدل في ميزان الدنيا، والحذر من التطفيف في الكيل والميزان.. المستوجب لعذاب الله، ومنها ثماني آيات خاصة بالوزن في الآخرة [3].

وقد دَلَّتَ السنة المطهرة على أن الميزان ميزان حقيقي، لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم :(يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وُزِنَ فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب، لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما

(1) الإصابة في تمييز الصحابة (1 / 7).
(2) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص359.
(3) الغيبيات في ضوء السنة د. محمد همام ص345، الحياة في القرآن الكريم (2 / 606)

عبدناك حق عبادتك)[1].

1- دقة الميزان:

قال تعالى: {وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾} [الأنبياء: ٤٧].

يخبر - تعالى- في هذه الآية عن القضاء العادل يوم القيامة بأنه يوازن بين أعمال العباد موازنة دقيقة، فيحاسب كلا على أعماله، ووصف الله تعالى الموازين بالقسط؛ لأن الميزان قد يكون مستقيماً، وقد يكون بخلافه، فبيَّن أن تلك الموازين تجري على حد العدل والقسط، وأكّد ذلك بقوله: {فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا}.

وقد صَوَّر القرآن الكريم دقة الموازنة بصورة حسية من مألوف الناس، قال تعالى: {وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾} [الأعراف: ٨، ٩].

كما صَوَّر الحديث النبوي ذلك الميزان الدقيق العادل بصورة حسية قال صلى الله عليه وسلم: (توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفّة، فيوضع ما أحصى عليه، فتمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أُدبر به، إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة؛ حتى يميل به الميزان) [2].

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة (2 / 656) رقم 941.
(2) مسند أحمد (2 / 221 - 222)، إسناده صحيح رقم 7066.

2- المؤمنون هم المفلحون:

ذكر الله - سبحانه - في القرآن الكريم أن من ثقلت موازينه -بأن رجحت من موازين أعماله بالإيمان وكثرة الحسنات، فأولئك هم الفائزون بالجنة، الناجون من العذاب، فالمؤمنون على تفاوت درجاتهم في الأعمال هم المفلحون، وإن عُذّبوا على بعض ذنوبهم بمقدارها (1).

وفي ذلك يقول الله في آيات كثيرة، منها:

قال تعالى:{ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٤].

قال تعالى:{ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} [القارعة: ٦، ٧].

3 – الأعمال التي تثقل في الميزان:

إن كل أعمال البر والطاعة تثقل في الميزان، وتجعل كفة الحسنات راجحة على كفة السيئات، ولكن هناك أشياء تجعل كفة الحسنات ثقيلة جدًّا، منها (2) :

أ – حسن الخلق:

قال صلى الله عليه وسلم :(**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم**

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 608).
(2) رحلة إلى الدار الآخرة ص482.

القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء) [1].

ب – تسبيح الله وتحميده:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)[2].

جـ – الحمد لله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو: فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها) [3].

وفي قوله:(وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السماوات والأرض) سبب عِظَم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار إليه [4].

س – احتباس الخيل في سبيل الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من احتبس فرساً في سبيل الله؛ إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، كان شبعه وريّه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة) [5].

(1) صحيح الجامع رقم 5726.
(2) البخاري رقم 6682، فتح الباري (11 / 575)
(3)صحيح مسلم بشرح النووي (3 / 100) كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.
(4) شرح الأربعين حديثًا النووية لابن دقيق العيد ص61 - 62.
(5) البخاري رقم 2853، فتح الباري (6 / 67).

تاسعاً: الصراط:

قال تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾} [مريم: ٧١، ٧٢].

والمراد بَالوُرود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون (1).

وعن جابر عن أم مبشر، عن حفصة قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم :(**إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدراً والحديبية**)، قالت: قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا}، قال:(**ألم تسمعيه يقول**:{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾} [مريم: ٧٢]) (2) ؟.

وقال تعالى:{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾} [الحديد: ١٢ - ١٥].

لقد كرّم الله تعالى المؤمنين يومئذ تكريماً عظيماً؛ إذ يَمُرُّوْنَ على الصراط بسرعات مختلفة وأنوار متفاوتة، أما المنافقون فلا نور لهم

(1) شرح مسلم للنووي (16 / 58).

(2) سنن ابن ماجه، ك الزهد رقم 4281 وسنده صحيح.

(1).

وقـــال تعـــالى:{يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} [التحريم: ٨].

وفي قوله تعالى:{يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} على قدر أعمالهم يَمُرُّونْ على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة (2).

1- عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه في حديثه الطويل في سياق الشفاعة:

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه:(ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم) (3)، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال:(دحض (4) مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد بها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين كالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 617).
(2) تفسير ابن كثير (4 / 270).
(3) البخاري (2 / 292).
(4) دحض: زلق.

معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فَتُحَرَّمُ صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بَقِيَ فيها أحد ممن أمرتنا به) [1].

2- الأمانة والرحم على جنبتي الصراط:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(وتُرسل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق)، قال: قلت: بأبي وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال:(ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير وأشدّ الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب، سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار) [2].

ويا له من موقف يشيب لهوله الولدان!

ها هي الأمانة على الصراط؛ لتقول لكل خائن يمر عليها: أين الأمانة التي ضيعتها؟ أين أمانة الطاعة؟ أين أمانة الزوجة والأولاد؟ أين أمانة الأموال التي سرقتها؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين؟ أين الأمانات التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت أيها الإنسان؟ بل ها هي الرحم تتعلق على الصراط؛ لتقول لكل من قطعها: أين صلة الرحم التي قطعتها في

---

(1) مسلم (1 / 167 - 171).
(2) مسلم (1 / 187)، ك الإيمان رقم 195.

الدنيا؟ وماذا ستصنع اليوم أمام تلك الأهوال [1] ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك)، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(اقرءوا إن شئتم:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾} [محمد: ٢٢، ٢٣]) [2].

وقال صلى الله عليه وسلم :(ما من ذنب أجدر أن يُعَجِّل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب، وإنَّ أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا) [3].

3- تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخولهم الجنة:

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ثم يهذبون وينقون، وذلك بأن يقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الحياة الدنيا، حتى إذا دخلوا الجنة كانوا أطهاراً أبراراً، ليس لأحد عند الآخر مظلمة، ولا يطلب بعضهم بعضاً بشيء من غل وبغض، قال تعالى:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ} [الأعراف: ٤٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يخلص المؤمنون من النار،

(1) رحلة إلى الدار الآخرة ص498.
(2) بخاري رقم 4830.
(3) صحيح الجامع للألباني رقم 5705.

فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا وَنقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا) [1].

والناس بعد تجاوز قناطر الصراط على نوعين: نوع تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فهؤلاء أهل الأعراف، وهو سور بين النار والجنة[2]، قال تعالى:{ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾} [الأعراف: ٤٦]، ونوع رجحت حسناتهم سيئاتهم، هم أهل الجنة.

إن الصراط جسر ممدود على متن جهنم، أحدُّ من السيف، أدَقُّ من الشعر، يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون [3].

4- عظة المرور على الصراط:

تفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتَغَيّظُها، وقد كُلّفْتَ أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك؟ فأحسست بحدته، واضطررت إلى أن ترفع قدمك الثاني، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون،

---

(1) البخاري، ك الرقاق رقم 6535.

(2) الحياة في القرآن الكريم (2 / 619).

(3) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (2 / 192).

وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه، ومجاز ما أضيقه! [1].

قال الشاعر:

أبت نفسي تتوب فما احتيالي ::: إذا برز العباد لذي الجلالِ
وقاموا من قبورهم سكارى ::: بأوزار كأمثال الجبالِ
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا ::: فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن ::: تلقاه العرائس بالغوال
يقول له المهيمن يا وليي ::: غفرت لك الذنوب فلا تبالِ [2]

* * *

(1) التذكرة للقرطبي ص332.
(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى ص283.

الفصل الرابع

الجنة والنار

المبحث الأول

مقدمــات

أولا: خلود الجنة والنار

الجنة والنار خالدتان أبداً: والأدلة على ذلك كثيرة، وهي تدل على خلود أهل الجنة والنار، وهذا يستلزم خلود الجنة والنار، ولازم الحق حق.

أما الجنة فقد دل على خلودها الكتاب والسنة:

قال تعالى:{وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾} [هود: ١٠٨]؛ يعني: أي غير مقطوع.

وقال تعالى:{ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾} [الحجر: ٤٨].

فقد نفى الله تعالى عنهم الخروج منها والموت فيها تأكيداً لمعنى أبدية الخلود.

وقال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾} [النساء: ٥٧].

وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾} [النساء: ١٢٢] (1).

وأما في السنة، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم :(ينادي مناد - يعني أهل الجنة - إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا لا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا ولا

---

(1) اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري ص294.

تبأسوا أبداً)، فذلك قوله عز وجل:{وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} [الأعراف: ٤٣] (1).

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت)، ثم قرأ:{وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾} [مريم: ٣٩] وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا{وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}(2).

وأما خلود النار فمثاله من الكتاب:

قوله تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾} [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

وقوله تعالى:{إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾} [الأنبياء: ٩٨ - ٩٩].

وقوله تعالى:{بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾} [البقرة: ٨١].

ومثاله من السنة حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى

(1) مسلم، ك الجنة وصفة رقم 2837، اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص394.
(2) البخاري، ك التفسير رقم 4453، مسلم 2849.

فيها خالداً مخلداً، ومن تحسى سمّاً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدًا) (1).

هل المراد بالخلود طول المكث؟

قد يقول القائل: إن المراد بالخلود هو طول المكث لا أبديته، والناس تسمي أبناءها خالداً؛ تفاؤلاً بطول بقائه، وهم يوقنون أنه ميت لا محالة، وتقول العرب: فلان خلّد الله ملكه، يعني: أطال الله ملكه، ولكن إلى أمد لا إلى الأبد، والرجل الذي أسن ولم يشب تقول عنه العرب: مخلد (2).

والجواب: الأصل في معنى الخلود هو دوام البقاء وأبديته، قال صاحب لسان العرب: (الخلد دوام البقاء في دار لا يخرج منها) (3)، وإنما يطلق الخلود على طول البقاء لا أبديته بقرينه، كما هو الحال في النار بالأبد لدفع هذا الوهم، وهي بالتتبع ثلاثة مواضع في كتاب الله:

قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾} [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾} [الأحزاب: ٦٤، ٦٥].

---

(1) البخاري، ك الطب رقم 5445، مسلم رقم 109.
(2) لسان العرب (3 / 163).
(3) المصدر نفسه (3 / 164).

وقال تعالى: {إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا} [الجن: ٢٣].

وزاد هذا المعنى وضوحاً الآيات التي تنفي خروجهم من النار، وتبين أن عذابهم مقيم وثابت، وأن العذاب لا يفتر عنهم وأنهم لا يموتون فيها [1].

قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾} [المائدة: ٣٧].

وقال تعالى: {ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾} [الجاثية: ٣٥].

وقال تعالى: {إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾} [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

وقال تعالى: {وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾} [الأعلى: ١١ - ١٣].

وقال تعالى: { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٦، ١٠٧]. ففي تفسير هذه الآية أوجه:

الأول: أن قوله تعالى: {إلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ} معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من المُوحِّدين، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من

(1) اليوم الآخر في القرآن والسنة المطهرة ص400.

المُوَحِّدين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك وأبي سنان وغيرهم.

الثاني: أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم.

الثالث: أن قوله:{إلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ} فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مُصَرِّحَة بأنهم خالدون فيها أبداً، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات؛ فالظاهر مقدم على المجمل كما يقرر في الأصول [1].

هل تفنى النار؟ وهل يموت أهلها؟ وهل يُخَفَّفُ العذاب عن أهلها؟

أما فناء النار فقد بَيَّنَ سبحانه عدمه بقوله:{كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } [الإسراء: ٩٧]. ومعلوم أن: " كُلَّمَا " تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها.

وأما موتهم: فقد نَصَّ- تعالى- على عدمه بقوله:{لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ } [فاطر: ٣٦] وقوله:{لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ} [طه: ٧٤]، وقوله:{وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} [إبراهيم: ١٧].

وقد بَيَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، أن الموت يؤتى به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح، وإذا ذُبِحَ الموت حصل اليقين بأنه لا موت، كما قال صلى الله عليه وسلم :(**يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت**) [2].

(1) اليوم الآخر في القرآن، العظيم ص402.
(2) البخاري رقم 4453.

وأما إخراجهم منها: فنص تعالى على عدمه بقوله:{وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ١٦٧]، وبقوله تعالى:{ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا} [الحج: ٢٢]، وبقوله:{وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [المائدة: ٣٧].

وأما تخفيف العذاب عنهم: فنص تعالى على عدمه بقوله:{وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر: ٣٦].

وقوله:{فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} [النبأ: ٣٠].

وقوله:{لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾} [الزخرف: ٧٥].

وقوله:{إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان: ٦٥].

وقوله:{فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} [الفرقان: ٧٧].

وقوله:{فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} [النحل: ٨٥].

وقوله:{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [التوبة: ٦٨].

وهذا الخلود في حق الكفار، لا في حق الموحدين من المسلمين من أصحاب الكبائر، ولا غرابة في خلود الكفار الأبدي؛ لأن خبثهم الطبيعي دائم لا يزول، فكان جزاؤهم دائماً لا يزول، والدليل على أن خبثهم لا يزول قوله تعالى:{ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ} [الأنفال: ٢٣]؛ فقوله:{خَيْرًا} نكرة في سياق الشرط، فهي تعم، فلو كان فيهم خيراً ما لعلمه الله.

وعذاب الكفار للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص، كما أشار له تعالى بقوله:{وَلَا يُزَكِّيهِمْ} [آل عمران: ٧٧]، وبقوله:{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [آل

عمران: ١٧٨]، والعلم عند الله تعالى [1].

ثانياً: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن:

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن؛ لقوله تعالى:{أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]، وقوله في النار{أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ} [البقرة: ٢٤]، والإعداد: لقوله في الجنة التهيئة، وقد اتفق أهل السنة على هذا.

ومن الأدلة على أنهما موجودتان الآن الأحاديث التي يذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنة والنار ورأى أهلهما، كحديث عبد الله بن عباس أنه قال: (خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه فقام قياماً طويلاً... الحديث، وفيه: قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعت، فقال:(**إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء**)، قالوا: لِم يا رسول الله؟، قال:(**بكفرهن**)، قيل: يكفرن بالله؟، قال:(**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط**) [2].

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**)، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال:(**رأيت الجنة والنار**) [3].

---

(1) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص93 - 97.
(2) البخاري رقم 4901، مسلم رقم 907.
(3) مسلم رقم 426.

ثالثاً: مكان الجنة:

فوق السماء السابعة، وتحت عرش الرحمن. أما كونها فوق السماء السابعة فدل عليه القرآن الكريم، قال تعالى:{عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾} [النجم: ١٤، ١٥] وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة كما في حديث الإسراء المشهور وفيه:(ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة...) [1]. فهذا الحديث يدل أن سدرة المنتهى بعد السماء السابعة، وبما أن الجنة عندها، فهي- إذن- فوق السماء السابعة [2].

وأما كون الجنة تحت عرش الرحمن فَدَلَّتْ على ذلك السنة، فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها)، قالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس بذلك؟ قال:(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما في السماء والأرض، فإذا

(1) مسلم، ك الإيمان رقم 162.
(2) اليوم الآخر د. المطيري ص410.

سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تُفَجَّرُ أنهار الجنة)[1]؛ فأعلى درجات الجنة هي الفردوس - كما في الحديث - وفوقه عرش الرحمن؛ فالجنة-إذن- تحت عرشه سبحانه [2].

رابعاً: مكان النار:

قال تعالى:{كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾} [المطففين: ٧ - ٩]. وفي حديث البراء:(فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى)، سجِّين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا أعْظَم الله أمره فقال:{وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾} [المطففين: ٨]؛ أي: أمر عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم. وقد فُسِّرَ في الحديث بأنه في الأرض السفلى، وقال بعضهم: صخرة تحت الأرض السابعة، وقيل: بئر في جهنم، وقيل غير ذلك مما لا دليل عليه، ولا قول بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [3].

والظاهر من الآية أن سجين هو اسم للكتاب؛ لأنه تعالى قال:{وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾} [المطففين: ٨، ٩]. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى:{كِتَابٌ مَّرْقُومٌ} (ليس تفسيراً لقوله:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ} وإنما هو تفسير لما كُتب لهم من المصير إلى سجين؛ أي: مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد)، قاله محمد

(1) البخاري، ك الجهاد رقم 2637.
(2) اليوم الآخر د. المطيري ص410.
(3) الفتح الرباني شرح المسند للبنا (7 / 77).

بن كعب القرظي [1]، وهكذا قال الراغب والقاسمي [2]، وعليه فيكون قوله تعالى:{كِتَابٌ مَّرْقُومٌ} تفسير لقوله:{إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}؛ أي: إن كتاب الفجار كتاب مرقوم، ويكون قوله:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ} جملة معترضة بين المفسّر والمفسّر، وهذه الآية ليست صريحة في مكان النار.

وقد دلت الأحاديث أن النار يؤتى بها يوم القيامة فتكون في موضع قبل مكان الجنة؛ لأن الصراط منصوب على جسر جهنم [3]، ودل حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**) [4].

خامساً: أصحاب الأعراف:

قال تعالى:{ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾} [الأعراف: ٤٦ - ٤٨].
والأعراف سور بين الجنة والنار [5].

وأما أصحاب الأعراف: فهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول

(1) تفسير ابن كثير (4 / 485).
(2) محاسن التفسير للقاسمي (7 / 282).
(3) اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري ص412.
(4) مسلم رقم 2842.
(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص562.

الجنة، فيقفون على السور حتى يقضى بين الناس، ثم يدخلهم الله الجنة برحمته، نقله البيهقي في كتابه البعث والنشور عن جمع من الصحابة والتابعين [(1)].

وقال عبد الله بن المبارك: عن أبي بكر الهزلي قال: قال سعيد بن جبير وهو يحدث عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله تعالى:{فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ} [الأعراف: ٨] الآيتين، ثم قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا:{سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ} [الأعراف: ٤٦]، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار فقالوا:{لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الأعراف: ٤٧]. تَعَوَّذوا بالله من منازلهم. قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعْطَى كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا:{رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا} [التحريم: ٨]، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول الله تعالى:{لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ} [الأعراف: ٤٦]، فكان الطمع دخولاً، فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كُتِبَ له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده

(1) البعث والنشور للبيهقي ص81 - 87.

عشراته [1].

وفي قوله تعالى:{يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ} [الأعراف: ٤٦] قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه [2].

* * *

(1)اليوم الآخر د. المطيري ص418.
(2) تفسير ابن كثير (2 / 216)، فتح القدير (1 / 215).

المبحث الثاني

النـــار

أولا: أسماء النار

النـــار:

هي الدار التي أعدها الله للعصاة والمذنبين في الآخرة.

وأسماء النار التي ذكرت في القرآن ثمانية، أولها وأشهرها النار، وأما البقية فهي كالآتي:

1- السعير:

قال تعالى:{بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١)} [الفرقان: ١١].

وقال تعالى:{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)} [الملك: ٥].

2 – جهنم:

قال تعالى:{وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦)} [الملك: ٦].

قال تعالى:{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١)} [النبأ: ٢١].

3- لظى:

قال تعالى:{كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨)} [المعارج: ١٥ - ١٨]، **(اللظي)**: اللهب الخالص، {فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥)} [الليل: ١٤، ١٥].

(التظاء النار): التهابها، **(وتلظيها)**: تلهبها، وقوله تعالى:{فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا

تَلَظَّىٰ (١٤)} [الليل: ١٤]؛ أي: تتوهج وتتوقد [1].

4- سقر:

قال تعالى:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)} [المدثر: ٢٦ - ٣٠].

وقال تعالى:{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر: ٤٨ - ٤٩]،{والسقر}: البعد، (وسقرته الشمس): لوحته وآلمت دماغه بحرِّها، (ويوم مسمقر): شديد الحر [2].

5- الهاوية:

قال تعالى:{ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌۢ (١١)} [القارعة: ٩ - ١١]. وسُمِّيَتَ النار بالهاوية، لبعد قعرها، فمن سقط يهوى فيها، ومعنى أمه هاوية؛ أي :مستقره الهاوية [3].

6- الحطمة:

قال تعالى:{ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ (٤) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ (٥) نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ (٦) ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ (٩)} [الهمزة: ٤ - ٩].

(والحطم): الكسر في أي وجه كان، قيل: هو كسر الشيء اليابس خاصة، كالعظم ونحوه [4].

---

(1)لسان العرب (15 / 248).
(2) المصدر نفسه (4 / 372).
(3) اليوم الآخر، د. المطيري ص425.
(4) لسان العرب (12 / 137).

وسُمِّيَتْ النار بذلك لأنها تحطم رأس وعظام كل من دخلها [1].

7- الجحيم:

قال تعالى:{خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾} [الدخان: ٤٧].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم)[2].

(الجاحم): المكان الشديد الحر،(وجَحَم النار) أوقدها، ورأيت(جحمة النار)؛ أي: توقدها، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم، ومنه قوله تعالى:{قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾} [الصافات: ٩٧]، وكل نار توقد على نار جحيم، وهي نار جاحمة [3]، وسميت النار بالجحيم؛ لأنها نار عظيمة في مهواة، وهي نار توقد على نار، كما قال تعالى:{نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾} [الهمزة: ٦]؛ أي: التي أوقد عليها.

هذا وقد ذهب بعضهم أن هذه الأسماء إنما هي أسماء لأبواب جهنم، قال ابن عباس في قوله تعالى:{لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾} [الحجر: ٤٤] : جهنم والسعير ولظى والحطمة وسقر والجحيم والهاوية، وهي أسفلهم، وقال بعضهم: إن هذه الأسماء إنما

(1) اليوم الآخر د. المطيري ص426.
(2) سنن النسائي رقم 2104 وأصله في الصحيحين.
(3) لسان العرب (12 / 82)، بتصرف وتقديم وتأخير.

هي لدركات [1] النار، والصحيح أن هذه الأسماء للنار لا لأبوابها ولا لدركاتها؛ لأن الآثار التي ذكرت ضعيفة، وجميع المفسرين عند تفسيرهم للآيات السابقة إنما يذكرون أن هذه الأسماء أسماء للنار لا غير، وسياق الآيات يدل أن المراد هو النار نفسها لا أبوابها ولا دركاتها، خذ مثلاً على ذلك قوله تعالى:{بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾} [الفرقان: ١١]، فَبَعُدَ أن يكون المعنى: وأعتدنا لمن كذب بالساعة باباً، وكذا قوله تعالى:{كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾} [الهمزة: ٤] ليس معناه لينبذن في باب اسمه الحطمة، وقوله تعالى:{وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾} [الهمزة: ٥، ٦] نص في أن هذا اسم للنار، وكذا قوله تعالى:{ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾} [القارعة: ٩ - ١١]، وقوله:{ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾} [القمر: ٤٨].

ومعاني الأسماء تقوي هذا الرأي أيضاً؛ فالنار كلها تلتهب وتستعر وتتلظى وتسقر، وهي كلها سوداء، لا بابها فقط ولا جزء من أجزائها، وهي هاوية بعيدة القعر ليس الباب، ولا أظن أن النار ليس فيها إلا سبع دركات فقط، قال تعالى:{وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ} [الأنعام: ١٣٢]، وأهل النار ليسوا على سبعة مستويات فقط؛ فمنهم من يوضع تحت رجله جمرة من النار فيغلى دماغه، وهو أهون أهل النار عذاباً، ثم يتدرج العذاب حتى يصل إلى عذاب المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار [2].

---

(1) البعث والنشور للبيهقي ص255.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص429.

ثانياً: خزنة النار:

1- عدد خزنة النار:

قال تعالى:{وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾} [المدثر: ٢٧ - ٣٠]؛ فعددهم تسعة عشر ملكاً، ولكن القرطبي قال: (والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال الله تعالى: {وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١]). وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**) [1].

2- أسماء خزنة النار:

أما كبير خزنة النار فهو مالك عليه السلام، وجاء ذكره في الكتاب والسنة، قال تعالى:{وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾} [الزخرف: ٧٧].

{وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ} وهو خازن النار، أخرج البخاري عن صفوان بن يعلي عن أبيه رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر{وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ}؛ أي: يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فإنهم كما قال تعالى:{لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا} [فاطر: ٣٦]، وقال عز وجل:{وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾} [الأعلى: ١١ - ١٣]، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك:{قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ}.

---

(1) تفسير القرطبي (19 / 53).

قال ابن عباس: مكث ألف سنة ثم قال: إنكم ماكثون؛ أي: لا خروج لكم منها، ولا محيد لكم عنها [1].

وقد وصف الله - عز وجل - خزنة النار بأنهم (الزبانية)، وهم الذين يتولون تعذيب الكفار والعصاة في النار، كما قال سبحانه: { فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ } [العلق: ١٧، ١٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**)، قال: فأنزل الله عز وجل:{ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ } [العلق: ٦ - ١٩] [2].

3- صفاهم:

وحديثنا هنا عن صفاتهم الزائدة عن الصفات العامة المشتركة للملائكة، وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم صفتين، وهاتان الصفتان

(1) تفسير ابن كثير (4 / 135).
(2) مسلم، ك صفة القيامة والجنة والنار رقم 2797.

شاملتان لجميع الصفات، وهما: الغلظة، والشدة فيهم [1]، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦} [التحريم: ٦].

وقد ذكر الله تعالى -جلّ جلاله- بعض المواقف التي تُبَيِّنَ شيئاً من غلظتهم مع أصحاب النار في ثلاثة مواطن:

الموطن الأول: عند فتح أبواب جهنم لإدخالهم فيها، قال تعالى: {وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ } [الزمر: ٧١ - ٧٢].

الموطن الثاني: عند دخولهم النار، قال تعالى:{كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١} [الملك: ٨ - ١١].

المـــوطن الثالـــث: عند سؤال أهل النار خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب، قال تعالى:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠} [غافر: ٤٩، ٥٠].

ثالثاً: صفة النار:

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص435.

1- أبواب النار:

قال تعالى:{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾} [الحجر: ٤٣، ٤٤]. وعندما يرد الكفار النار تفتح الأبواب ثم يدخلونها خالدين، قال تعالى:{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾} [الزمر: ٧١]. وبعد هذا الإقرار يقال لهم: { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } [الزمر: ٧٢]. وهذه الأبواب تغلق على المجرمين، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك كما قال تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾} [البلد: ١٩، ٢٠] [1].

{ومؤصدة}: مغلقة الأبواب [2]؛ فأبواب النار مؤصدة مغلقة، وأسوارها ذات عمد ممدودة طويلة لا يمكن تخطيها، {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾} [الهمزة: ٨، ٩] [3].

2- دركات النار:

قال تعالى:{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } [النساء: ١٤٥].

{والدرك}: هو أقصى قعر الشيء [4]، وقال الراغب: الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالهبوط، ولهذا

---

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، عمر الأشقر ص28.

(2) المصدر نفسه ص28.

(3) اليوم الآخر، د. محسن المطيري ص438.

(4) لسان العرب (10 / 422).

قيل: درجات الجنة ودركات النار (1). وقد يطلق على منازل النار درجات، كقوله تعالى:{ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾} [آل عمران: ١٦٣].

وفي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار، ثم قال:{وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ } [الأنعام: ١٣٢]. وقال سبحانه:{ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾} [آل عمران: ١٦٢، ١٦٣].

وتتفاوت دركات أهل النار بحسب أعمالهم وسيئاتهم، وقد بَيَّنَّا أن الله - عز وجل- ذكر أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وكونهم في الدرك الأسفل يستلزم أنهم في أشد العذاب، وليست هذه الدركة مختصة بالمنافقين فقط بل معهم غيرهم؛ فقد ذكر الله - تعالى - لنا ثلاثة أصناف من الناس أنهم في أشد العذاب (2).

الأول: فرعون وقومه، قال تعالى:{ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر: ٤٦].

الثاني: اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، قال تعالى:{ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ

(1) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص311.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، والسنة المطهرة ص442.

ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾} [البقرة: ٨٥].

الثالث: الذين كفروا من أصحاب المائدة، قال تعالى:{إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾} [المائدة: ١١٢ - ١١٥].

وأما أهون أهل النار عذاباً فهو رجل ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه) (1).

3 – وقود النار:

وقود النار، البشر والحجر، قال تعالى:{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾} [البقرة: ٢٤].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾} [آل عمران: ١٠].

وقال تعالى:{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾} [الأنبياء: ٩٨].

(1) مسلم، ك الإيمان رقم 211.

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ} [التحريم: ٦].

4- شدة حرّها، وعِظَمُ دخانها وشرارها:

قال تعالى:{وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾} [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس في الدنيا في الكرب والحر، وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً؛ فهواء جهنم السموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها الحميم الذي قد اشتد حرُّه، وظلها اليحموم، وهو قِطعُ دخانها [1]. والظل الذي أشارت إليه الآية{وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾}

[الواقعة: ٤٣] هو ظل دخان النار، والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النفس تحبه وتستريح إليه، أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر، إنه ظل من يحموم، وقد حدثنا القرآن في هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار فقال:{ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾} [المرسلات: ٣٠ - ٣٣]؛ فالآية تقرر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لفخامته ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهو يلقي ظلالاً ولكنها غير ظليلة، ولا تقي من اللهب المشتعل، أما شرار هذه النار

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص33.

المتطاير منها فإنه يشبه الحصون الضخمة، كما يشبه هذا الشرار الجمالة الصفر؛ أي: الإبل السود.

وقال الحق مبيناً قوة هذه النار، ومدى تأثيرها في المعذبين:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾} [المدثر: ٢٦ - ٢٩]. إنها تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، لا تبقي ولا تذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام، وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة.

وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نارنا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال :(فضلت عليها بتسعين جزءاً، كلهن مثل حرها [(1)]، وعندما تستقبل النار أهلها يوم القيامة تسعر)، قال تعالى:{وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾} [التكوير: ١٢، ١٣]. ومعنى:{سعرت}: أوقدت، وأحميت [(2)].

5- النار تتكلم وتبصر وتغضب:

الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف نار جهنم يجدها مخلوقاً يتكلم ويبصر ويغضب. أما كلامها فيقول الله تعالى:{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾} [ق: ٣٠].

وأما رؤيتها للناس فيقول تعالى:{بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾} [الفرقان: ١١، ١٢]. فقوله:{رَأَتْهُم} يدل على أنها تبصر، وقوله:{سَمِعُوا لَهَا} يدل على أنها تتكلم، وقوله:{تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} يدل على أنها تغضب.

(1) البخاري رقم 3092، مسلم رقم 2843.

(2) اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر ص43.

وأما غضبها فيقول سبحانه:{إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾} [الملك: ٧، ٨].

وقال تعالى:{إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾} [الفرقان: ١٢]، فهي تشهق وتزفر من غيظها على الكافرين، بل تكاد؛ أي: تتقطع (1) من شدة غضبها عليهم.

6- وديان النار:

سمّى الله -تعالى- بعض أسماء هذه الأودية، وهي كالتالي:

أ - وادي الويل:

قال تعالى:{وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾} [الأنبياء: ١٨].

وقال تعالى:{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾} [الهمزة: ١ - ٣].

وعن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:**(ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً)** (2).

ب - وادي الغي:

قال تعالى:{فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾} [مريم: ٥٩].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره قوله:{غَيًّا}: هو واد في

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص446.

(2) ابن أبي الدنيا صفة النار ص36 صححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي.

جهنم يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات [1].

وقال البراء بن عازب رضى الله عنه: (الغي وادٍ في جهنم بعيد القعر منتن الريح) [2]، وهذا لا يقال من قبل الرأي، فله حكم الرفع [3].

ج – وادي المَوْبق:

قال تعالى:{ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾} [الكهف: ٥٢]. قال أنس بن مالك في قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا } : (واد من قيح ودم) [4].

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه: (واد في النار عميق، فَرَّقَ يوم القيامة بين أهل الهدى والضلالة) [5]، وقوله:{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا } قال ابن عباس: مهلكاً [6].

والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك، ويجوز أن يكون وادياً في جهنم أو غيره، والمعنى أن الله تعالى بَيَّنَ أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا، وأنه فرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد من الفريقين، بل

---

(1) ابن أبي الدنيا صفة النار ص41.
(2) المصدر نفسه ص460.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص450.
(4) البيهقي في البعث والنشور ص261.
(5) البيهقي في البعث والنشور ص261.
(6) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص450.

بينهم مهلك وهول عظيم وأمر كبير [1].

7- جبال النار:

قال تعالى:{سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾} [المدثر: ١٧]. قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: (جبل في جهنم) [2].

8- سرادق النار:

قال تعالى:{إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا } [الكهف: ٢٩]، (السرادق): كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء [3].
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لسرادق النار أربع جدر كثف، كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة) [4]، وهذا السور له أعمدة ممددة طويلة كما قال تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾} [الهمزة: ٨، ٩].

9- سعة النار، وبُعد قعرها، وعظم عمقها:

ويدل على ذلك أمور كثيرة منها:

أ – أن من أسماء النار الهاوية:

أي: يُهوى بها لبعد قعرها. وعن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم

(1) اليوم الآخر، في القرآن والسنة المطهرة ص451.
(2) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص268.
(3) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (2 / 359).
(4) سنن الترمذي رقم 2584 صححه الحاكم كما في تحفة الأحوذي (7 / 258)

:(تدرون ما هذا؟) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال:(هذا حجر رمي بـه في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار، الآن حتى انتهـى إلى قعرهـا) (1).

ب – أن الكافر يكبر حجمه في النار:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسـيرة ثـلاث) (2)، والـذين يـدخلون النـار أعـداد لا تحصى، ومع العدد الهائل من الناس، وبهذا الحجم الكبير للكفار، فإنه لا تمتلـئ، بـل تطلـب المزيـد، قـال تعـالى:{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ}

[ق: ٣٠].

ج – ويدل على عظمها –أيضاً– كثرة الذين يجروها من الملائكة:

فقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم قولـه تعـالى:{ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ } [الفجر: ٢٣]. بـأن الـذين يجيئـون بهـا ملائكـة، قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم :(يؤتى بجهنم يومئذ لها سـبعون ألـف زمـام، مـع كـل زمـام سبعون ألف ملك يجرونها) (3).

10– وصف عذاب النار:

إن الذي يتأمل ويتدبر في القرآن الكريم يجد فـي آيـات كثيـرة أن الله سـبحانه وتعـالى قـد وصـف عـذاب الحيـاة الآخـرة بأوصـاف كثيـرة

(1) مسلم رقم 2844.
(2) مسلم، ك الجنة رقم 2851.
(3) مسلم رقم 2842.

متنوعة، مما يدل على عظمة عذابها وشدته؛ فمن هذه الأوصاف:

- **أنه أشق وأشد:**

قال تعالى:{ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤)} [الرعد: ٣٤]، وقال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧)} [طه: ١٢٧].

- **غرام:** قال تعالى:{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥)} [الفرقان: ٦٥].

(والغرام): اللازم الدائم، ومنه سُمِّيَ الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا؛ أي: ملازم له ومولع به، هذا معناه في كلام العرب كما ذكره ابن الأعربي وابن عرفة وغيرهما، ومنه قول الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما ... وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي (1)

- **العذاب المهين:**

قال تعالى:{بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [البقرة: ٩٠]. وقوله تعالى:{وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ}، لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

---

(1) ديوان الأعشى الكبير (1 / 45) الحياة في القرآن الكريم أحزمي سامعون جزولي (1 / 274).

عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠]؛ أي: صاغرين حقيرين ذليلين راغمين(1).

– **العذاب الأخزى:**

ومن أوصاف عذاب الآخرة أنه عذاب أخزى، قال تعالى: {فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦} [فصلت: ١٦].

وقال تعالى:{رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ} [آل عمران: ١٩٢].

– **العذاب العظيم:**

قال تعالى:{وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦} [آل عمران: ١٧٦].

– **العذاب السيئ**: ومن الأوصاف لعذاب الحياة الآخرة أنه العذاب السيئ، الشديد النكاية.

قال تعالى:{ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤} [الزمر: ٢٤].

وقال تعالى:{ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ} [الزمر: ٤٧].

– **العذاب الأكبر:**

قال تعالى:{كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٥

---

(1) تفسير ابن كثير (1 / 112).

فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾} [الزمر: ٢٥، ٢٦].

وقال تعالى:{كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾} [القلم: ٣٣].

وقال تعالى:{فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾} [الغاشية: ٢١ - ٢٤] [1].

11- كيفية دخول أهل النار إلى جهنم:

فصَّلَ الله -تعالى- كيفية دخول أهل النار إلى جهنم، وبَيَّنَ ذلك في كثير من الآيات؛ فقد أمر الله تعالى الملائكة أن تقيد وتغل الكافر، قال تعالى:{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾} [الحاقة: ٣٠]. **(الغل)**: ما يقيد به [2]، وهذا القيد يكون في عنقه كما قال تعالى:{وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾} [الرعد: ٥].

وقال تعالى:{وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ } [سبأ: ٣٣]. وهذه الأغلال عبارة عن سلاسل الحديد، كما قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾} [غافر: ٧٠ - ٧٢].

ثم تجمع الملائكة نواصيَهم مع أقدامهم{يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ } [الرحمن: ٤١]. عن ابن عباس قال: يُجمع بين رأسه

(1). . الحياة في القرآن الكريم (1 / 272 - 281)
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص457.

ورجليه، ثم يقصف كما يقصف الحطب [1].

ثم يساقون إلى النار سوقاً شديداً ويدفعون إليها دفعاً{ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾} [الطور: ١٣، ١٤]. (الدع): الدفع الشديد، ثم إذا اقتربوا منها فتحت أبوابها في وجوههم بغتة؛ حتى يصيبهم عذاب الفزع، قال تعالى:{وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا} [الزمر: ٧١]، ثم يلقون فيها إلقاء من مكان ضيق وهم مكتفون، قال تعالى:{وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾} [الفرقان: ١٣]، مقرنين؛ أي: مشدودين ومربوطين [2].

وهذا الربط الأصفاد هي الأغلال{ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾} [إبراهيم: ٤٩]، وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم، قال تعالى:{وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾} [النمل: ٩٠] [3]، ثم يُلقى بعضهم على بعض، قال تعالى: { فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾} [الشعراء: ٩٤، ٩٥] {كبكبوا}: ألقي بعضهم على بعض [4] ثم تبدأ بعد ذلك سلسلة طويلة من أنواع العذاب وأصناف النكال وألوان الآلام [5].

12- أول من تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن أول الناس يقضى يوم القيامة

(1) البعث والنشور للبيهقي ص286.
(2) مفردات القرآن للأصفهاني ص667.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص457.
(4) لسان العرب لابن منظور (1 / 697).
(5) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص458.

عليه، رجل استشهد، فَأُتِيَ به فَعَرَّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت، لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تَعَلَّم العلم وعَلَّمَه، وقرأ القرآن، فَأُتِي به، فَعَرَّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تَعَلَّمْتُ العلم وَعَلَّمْته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت؛ ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فَأُتِيَ به فَعَرَّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحث أن يُنْفَقَ فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت؛ ليقال: جواد، وقد قيل، ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار) [1].

ثالثاً: ما أعد الله لأهل النار من عذاب:

1 - شدة العذاب:

ومن شدة عذابها أن نفخة واحدة منها تكفي بأن يقروا بكل شيء.

قال تعالى:{ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦)} [الأنبياء: ٤٦].

وقال تعالى:{ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)} [الهمزة: ٤ - ٩].

وقد اشتملت هذه السورة - مع قصرها - على سبع أمور تدل على

(1) مسلم، ك الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة (2 / 1513).

عظم عذاب نار جهنم، وشدته، وهي كالتالي:

أ – قولــه:{لَيُنۢبَذَنَّ }، والنبذ يستخدم للتحقير والمهانـة، والذل، ويقال: فلان منبوذ؛ أي: مهان محتقر لا نصير لـه ولا معز، فهو إضافة لعذابهم البدني بالنار، فإنهم يعذبون عذاباً نفسيًّا بالمهانة والتحقير.

ب – قوله:{ٱلۡحُطَمَةِ }: تسمية النار بالحطمة تعظيم لعذابها؛ لأنها تحطم عظام وروس من دخلها.

جـ - قولـه:{وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ }: هذا الأسلوب أسلوب تعظيم، كقولـــــه تعـــــالى:{ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣} [الحاقـة: ١ - ٣]، وقولـــــه:{ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣} [القارعة: ١ - ٣].

د – قوله تعالى:{ نَارُ ٱللَّهِ } أضاف الله تعالى النار إلى نفسه سبحانه، وهذه إضافة تعظيم، كقوله تعالى:{بَيْتِ اللهِ} و{نَاقَةُ اللهِ}.

هـ – وقوله تعـالى:{ٱلۡمُوقَدَةُ}: على وزن مفعلة، وهذه الصيغة من صيغ اسم المفعول [1]، ومن المعلوم أن هذه الصيغة تدل على الواقع عليه الفعل؛ فهي - إذن - نار ويوقد عليها، والإيقاد إنما يكون بالنار، وهذا من الغرائب أنه يوقد على النار، وهي التي يوقد بها لا عليها، ولكنَّ نار جهنم من شدة نارها وحرارتها يوقد عليها؛ حتى لا تخبو وتضعف، كما قال تعالى:{كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرًا } [الإسراء: ٩٧].

و–{ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ}: من شدة حرارة جهنم أنها لا تحرق الأبشار والجلود فقط، بل يصل حرقها ونارها وحرارتها إلى القلب والفؤاد.

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص495.

ز -{إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩} [الهمزة: ٨، ٩]. من شدة عذابها أنها محكمة الغلق، موصدة الأبواب، ممددة الأعمدة والأسوار، لا منجا منها، ولا مهرب ولا مفر [1].

2 – إحاطة النار بأهلها:

قال تعالى:{ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٥٦} [ص: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى:{ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝٤١} [الأعراف: ٤١].

(المهاد): المكان الممهد الموطأ [2]، وهو الفراش، وهذا يكون من تحتهم، ومهادهم من جهنم، وغواش جمع غاشية؛ أي: نيران تغشاهم[3].

وقال تعالى:{ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩} [الأنبياء: ٣٩].

وقال تعالى:{ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۝٥٤ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: ٥٤، ٥٥].

وقال تعالى:{ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ۝١٦} [الزمر: ١٦].

(الظلل): جمع ظلة، والظلة سحابة تظل، كَغُرفٍ وغرفة، كقوله

(1) المصدر نفسه.
(2)المفردات للراغب ص78.
(3) تفسير القرطبي (7 / 133).

تعالى:{كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ} [الأعراف: ١٧١]، وقوله:{يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ} [الشعراء: ١٨٩]. وهذه الظلل من نار [1].

3- قيود أهل النار وأغلالهم، وسلاسلهم ومطارقهم:

أعَدَّ الله - تعالى - لأهل النار أغلالاً وسلاسل، وقيوداً ومطارق، وأوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، قال تعالى:{فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ} [الفجر: ٢٥، ٢٦].

(والأغلال) جمع غل، وهو ما يُقَيَّدُ به فيجعل الأعضاء وسطه [2].

قال تعالى:{وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ} [سبأ: ٣٣].

(والأصفاد): جمع صفد، وهو الغل، والأصفاد هي الأغلال.

قال تعالى:{ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ } [إبراهيم: ٤٩].
والسلاسل معروفة، هي القيود من حديد.

قال تعالى:{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤} [غافر: ٦٩ - ٧٤].

وقال تعالى:{إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤} [الإنسان: ٤].
وطول هذه السلسلة سبعون ذراعاً كما قال تعالى:{ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص496.
(2) المفردات للراغب ص610 بتصرف.

فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)} [الحاقة: ٣١، ٣٢]. وطول السلسلة لا يستغرب ولا يشكل لأن الكافر يكبر حجمه في النار حتى يكون ضرسه كجبل أحد (1). والمقامع هي المطارق، ومقامع أهل النار من مادة الحديد؛ حتى يكون وقعها أشد، قال تعالى:{وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: ٢١، ٢٢]؛ أي: كلما أراد أحدهم الخروج من النار ضُربَ بالمقمع فيهوى مرة أخرى في النار (2).

4- قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم:

قال تعالى:{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)} [الصافات: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى:{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩)} [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

لمَّا عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار، إهانة لهم وإذلالاً، ونكاية لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم؛ فإن الإنسان إذا قُرنَ في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته (3)، ومن أجل ذلك يُقذفُ يوم القيامة بالشمس والقمر في النار؛ ليكونا مما توقد به النار؛ تبكيتاً للظالمين الذين يعبدونهما من دون الله؛ ففي

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص497.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) اليوم الآخر في القرآن، العظيم والسنة المطهرة ص499.

الحديث:(الشمس والقمر مكوران في النار) (1).

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم، ليكون أشد لعذابهم.

قال تعالى:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩)} [الزخرف: ٣٦ - ٣٩].

5- سجون أهل النار:

قال تعالى:{ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨)} [المطففين: ٧، ٨].

(سجين) فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسّيح وشرّيب وخميّر وسكيّر ونحو ذلك، ولهذا أعْظَمَ الله أمره فقال:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ}؛ أي: أمر عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم (2).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى(بولس)، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال) (3).

6- طعام أهل النار:

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أنواعاً من طعامهم، وهي كالتالي:

---

(1) تفسير ابن كثير (3 / 213).
(2) الفتح الرباني (7 / 77).
(3) سنن الترمذي ص2493 حسن صحيح.

أ – **فهم يأكلون النار:**

قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾} [البقرة: ١٧٤]؛ أي: إنما يأكلون ما يأكلونه - في مقابلة كتمان الحق - ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة، قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾} [النساء: ١٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**الذي يشرب في إناء الفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**) [(1)].

ب – **الزقوم**: من أشجار النار الزقوم، وهي شجرة لا نفع فيها؛ فهي لا ظل لها ينعمون به، ومنظرها بشع؛ فطلعها كأنه روس الشياطين، وما الظن بشجرة تنبت في أصل الجحيم؟! وإنما القصد من وضع هذه الشجرة هو تعذيبهم بها، فيأكلون من ثمرها؛ ظنًّا منهم أنه ينفعهم فما يزيدهم إلا عذابًا، فإذا أكلوا بدأ يغلي في بطونهم فيفزعون، يبحثون عن الماء؛ ليطفئ الغليان الذي في بطونهم، فيشربون من ماء الحميم يكرعون منه كرعاً، فيقطع أمعاءهم، ويتضاعف العذاب عليهم [(2)].

قال تعالى:{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ

---

(1) البخاري رقم 5311.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص447.

فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ } [الدخان: ٤٣ - ٤٩].

ج- المهُل:

قيل: هو عكر الزيت [1]، وقيل: النحاس المذاب [2]، فيبدأ يغلي في بطنه كما يغلي الحميم، وهو الماء الحار.

وقال تعالى:{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾} [الواقعة: ٥١ - ٥٦]؛ فقوله:{فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ}؛ أي: على الزقوم؛ ليطفأ غليانه، و{ٱلْهِيمِ}: هي الإبل العطشى واحدها: أهيم والأنثى: هيماء، ويقال: هائم وهائمة، {ٱلْهِيمِ}: داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً [3].

وقال تعالى:{أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾} [الصافات: ٦٢ - ٦٨]؛ فبعد شربهم من الحميم يرجعون مرة أخرى إلى النار، فهذا حالهم من شجر الزقوم مرة أخرى، وهكذا كأنه في طواف، قال تعالى:{هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾} [الرحمن: ٤٣، ٤٤]. (والحميم الآن):

(1) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص781.
(2) تفسير القرطبي (16 / 100).
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص447.

الماء الذي بلغ أقصى حرارته [1].

د – الغسلين:

قال تعالى: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧)} [الحاقة: ٣٥ - ٣٧].

الغسلين: غُسالة أبدان الكفار في النار [2]، وهو الدم والماء الذي يسيل من لحومهم [3].

هـ – الضريع:

قال تعالى: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)} [الغاشية: ٦، ٧].

الضريع: نبات في الحجاز له شوك كبار يقال له: الشرق، فإذا يبس قيل له: الضريع.

ك – طعام ذو غصة:

قال تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣)} [المزمل: ١٢، ١٣].

قال ابن عباس في قوله: {وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ}: (شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج) [4].

7– شرابهم:

---

(1) المصدر نفسه ص 448.
(2) اليوم الآخر د. المطيري ص502.
(3) البدور السافرة للسيوطي ص493.
(4) صفة النار لابن أبي الدنيا ص64.

أ – الحميم: وهو الماء المغلي شديد الحرارة [1]. قال تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ} [الأنعام: ٧٠]. وقال تعالى: {هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾} [الرحمن: ٤٣، ٤٤]؛ أي: بلغ وقته من شدة الحر، ومنه قوله تعالى: {تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴿٥﴾} [الغاشية: ٥].

قال تعالى: {فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾} [الواقعة: ٤٢ - ٤٤]. قوله: {سَمُومٖ وَحَمِيمٖ}؛ أي: هواء حار، وماء حار، وقال تعالى: {لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا} [النبأ: ٢٤، ٢٥].

وهذا الحميم إذا شربوه قطَّعَ أمعاءهم كما قال سبحانه: {كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ} [محمد: ١٥].

وإذا لم يشربوه صُبَّ فوق رؤوسهم فتنصهر جلودهم وما في بطونهم، قال تعالى: {هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾} [الحج: ١٩، ٢٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه) [2].

ب – ماء الصديد:

قال تعالى: {مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ

(1) المفردات للراغب ص254، لسان العرب (12 / 153).
(2) سنن الترمذي رقم 2582، حسن صحيح غريب.

وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾} [إبراهيم: ١٦، ١٧].

الصديد: هو القيح والدم [1]، ولا يزال هذا الصديد يكثر خروجه من أهل النار حتى يصبح نهراً يسمى (نهر الخبال).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال**)، قيل: يا أبا عبد الرحمن، وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار [2].

ج – ماء كالمُهل:

قال تعالى:{إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا} [الكهف: ٢٩] .

(المُهل): دردي الزيت، وهو ما يبقى في أسفله [3]؛ فهو ماء ثقيل يختلف عن الحميم.

د – الغساق:

قال تعالى:{لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾} [النبأ: ٢٤،

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص504.
(2) سنن الترمذي، رقم 1862 صححه الألباني في صحيح الترمذي (2 / 169).
(3) لسان العرب (3 / 166).

٢٥]، وقـــال تعـــالى:{ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ } [ص: ٥٧، ٥٨].

أمـا الحمـيم فهـو الحـار الـذي قـد انتهـى حـره، وأمـا الغسـاق فهـو ضده، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال عـز وجـل:{وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾} [ص: ٥٨]؛ أي: وأشـياء مـن هـذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون به [(1)].

وعن مجاهد قال: (الغسـاق: الـذي لا يسـتطيعون أن يـذوقوه مـن شـدة بـرده) [(2)]. وعـن أبـي العاليـة فـي قولـه تعـالى:{لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾} [النبأ: ٢٤ - ٢٥] قال: (استثنى من الشراب الحميم، ومن البارد الغساق) [(3)].

8- لباس أهل النار:

بعـد أن يُحْشَـرَ النـاس حفـاة عُـراة يلبسـون لباسـاً، وهـذا اللبـاس لـيس لستر العورة ولا للزينـة؛ لأنـه لبـاس مُقطَّـعٌ مُمَزَّقٌ، بـل لبـاس لزيـادة العذاب، فهـو لبـاس مـن نـار، قـال تعـالى:{هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾} [الحج: ١٩، ٢٠].

قولـه:{قُطِّعَتْ} يعنـي: ليسـت مفصـلة علـى جسـمهم، بـل هـي مقطعـة ممزقة، وكان إبراهيم التيمي إذا قرأ هذه الآية يقول: سبحان من قطَّعَ

(1) تفسير ابن كثير (4 / 41).
(2) البدور السافرة، للسيوطي ص441.
(3) المصدر نفسه ص441.

من النيران ثياباً [1]، وقال تعالى:{ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾} [إبراهيم: ٥٠].

(السرابيل): جمع سربال، والسربال هو القميص أو الدرع، وقيل: كل ما لبس فهو سربال [2].

(والقطران): النحاس المذاب [3]؛ فلباسهم من نحاس مذاب، والنحاس لا يكون مذاباً حتى يُحْمَى عليه، ويكون في الغاية من الحرارة والغليان.

وعن أبي مالك الأشعري الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)، وقال :(النائحة إذا
لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) [4].

9- صور من عذابهم:

أ - إنضاج الجلود:

إن نيران الجبار تحرق جلود أهل النار، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبدل لهم جلوداً أخرى غير تلك التي

---

(1) اليوم الآخر، الأشقر ص97.
(2) لسان العرب (11 / 335).
(3) البعث والنشور للبيهقي ص284.
(4) مسلم، ك الجنائز رقم 934.

احترقت؛ لتحترق من جديد [1].

قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾} [النساء: ٥٦].

وقال تعالى:{ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾} [الكهف: ٢٩].

ب – الصهر:

من ألوان العذاب صب الحميم فوق رؤوسهم، والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره؛ فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم، قال تعالى:{هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾} [الحج: ١٩].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان) [2].

ج – اللفح:

أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ضرب الوجه، ومن إهانة الله لأهل النار أنهم يحشرون في يوم القيامة على وجوههم عمياً وصمًّا وبكماً، قال تعالى:{وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا } [الإسراء:

(1) اليوم الآخر، الأشقر ص97.

(2) سنن الترمذي رقم 2582، حسن صحيح غريب.

.[٩٧

ويُلقون في النار على وجوههم، قال تعالى:{وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾} [النمل: ٩٠].

ثم إن النار تلفح وجوههم وتغشاها أبداً، لا يجدون حائلاً يحول بينهم وبينها، قال تعالى:{لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾} [الأنبياء: ٣٩].

وقال تعالى:{وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ } [المؤمنون: ١٠٣، ١٠٤].

في قوله تعالى:{تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ}: تحرقها، واللفح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيراً منه، وتخصيص الوجوه بذلك؛ لأنها أشرف الأعضاء؛ فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار، وهو السر في تقديمها على الفاعل [1]، ثم إن وجوههم تعلوها، وتحيط بها، وتُسَعَّرُ أجسامهم المسربلة بالقطران [2].

قال تعالى:{ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾} [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى:{ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾} [الأحزاب: ٦٦].

إنه مشهد بائس أليم حين تغشاهم النار من كل جهة؛ فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها، والحرص على أن تصل

(1) تفسير أبي السعود (6 / 151).
(2) القطران: النحاس المذاب، غريب القرآن ص407.

النار إلى كل صفحة من صفحات وجوههم؛ زيادة في النكال [1].

د – السحب:

ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار في النار على وجوههم، قال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾} [القمر: ٤٧، ٤٨].

ويزيد في آلامهم إهانتهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل، قال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾} [غافر: ٦٩ - ٧١]. قال قتادة: (يسحبون مرة في النار، وفي الحميم مرة) [2].

هـ – تسويد الوجوه:

ومن ألوان عذاب الحياة الآخرة تسويد الوجوه، وذلك لما ترى من سوء العاقبة، وما يحل بها من النكال والوبال، قال تعالى:{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾} [آل عمران: ١٠٦]. كأنما ألبست وجوههم قطعاً من أديم الليل حال كونه حالكاً مظلماً، لا بصيص فيه من نور القمر الطالع ولا النجم الثاقب، فتشقها قطعة بعد قطعة، فصارت ظلمات متراكمة فوق بعض [3].

(1) في ظلال القرآن (5 / 2883).
(2) الحياة في القرآن الكريم (1 / 286).
(3) تفسير المراغي (4 / 96).

قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾} [يونس: ٢٧]، ونحو الآية قوله تعالى:{وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾} [القيامة: ٢٤، ٢٥].

تلك وجوه أهل النار التي تغشاها ظلمة وانكدار، ويبدو عليها مضض [1] وإرهاق؛ فإنها ليست كالحة فحسب، ولكن يخالجها التوجس [2] أن تنزل بها داهية تقصم [3] الفقار [4]، والتوجس شر من وقوع العذاب [5].

و – اندلاق الأمعاء في النار:

في الصحيحين عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه [6] ثم يدور ويسعى حولها كما يدور الحمار برحاه**).

ذ – حيات جهنم:

في النار حيات يعذبن أهلها، قال تعالى:{وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ

---

(1) المضض: وجع المصيبة، لسان العرب (7 / 233).
(2) التوجس: التسمع إلى الصوت الخفي.
(3) القصب: كسر الشيء.
(4) القفار: الظهر.
(5) الحياة في القرآن الكريم (1 / 287).
(6) متفق عليه مشكاة المصابيح (2 / 642) رقم 2139.

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾} [آل عمران: ١٨٠].

وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم كما فسرها بذلك النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله يوم القيامة في عنقه شجاعاً)، ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله عز وجل:{وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ} الآية.

وقال مرة: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه:{سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ} : من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين لقي الله وهو غضبان، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ }
[آل عمران: ٧٧] (1).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً (2) أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك) ثم تلا:{وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ } (3).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة، تلسع إحداهم اللسعة فيجد حموتها أربعين

(1) سنن الترمذي رقم 3012، حسن صحيح.
(2) الشجاع: الحي الذكر والأقرع الذي تقرع رأسه.
(3) البخاري، ك الزكاة رقم 1338.

سنة) [1].

ي – كثرة أهلها:

النار أهلها كثيرون، وقد دلَّ على ذلك كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع:

قوله تعالى:{ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)} [هود: ١١٩].

وقال تعالى:{ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)} [السجدة: ١٣].

وقال تعالى:{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)} [ص: ٨٤، ٨٥].

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)، قالوا: يا رسول الله، وأين ذلك الواحد؟ قال:(أبشروا ؛ فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً)، ثم قال:(والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة) فكبرّنا، فقال:(أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة) فكبرّنا، فقال:(أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) فكبرّنا، فقال:(ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في

(1) الإحسان لابن حبان رقم 7417، صححه ابن حبان.

جلد ثور أسود) (1).

رابعاً: مطالب أهل النار في الآخرة:

مطالب أهل النار في الآخرة هي:

1- طلب الفداء:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧}

[المائدة: ٣٦، ٣٧].

إن أقصى ما يتصوره الخيال على أساس الافتراض: أن يكون للذين كفروا كل ما في الأرض جميعاً، ولكن السياق يفترض لهم ما فوق الخيال في عالم الافتراض، فيفرض أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه، ويصورهم يحاولون الافتداء بهذا؛ وذلك لينجوا به من عذاب يوم القيامة، ويرسم مشهدهم وهم يحاولون الخروج من النار، ثم عجزهم عن بلوغ الهدف وبقاءهم في العذاب الأليم المقيم، إنه مشهد مجسم، ذو مناظر وحركات متواليات، منظرهم ومعهم ما في الأرض ومثله معهم، ومنظرهم وهم يعرضونه؛ ليفتدوا به، ومنظرهم وهم مُخَيَّبُوا الطلب غير مقبولي الرجاء، ومنظرهم وهم يدخلون النار، ومنظرهم وهم يحاولون الخروج منها، ومنظرهم وهم يرغمون على البقاء، ويسدل الستار ويتركهم مقيمين هناك (2).

---

(1) البخاري، ك أحاديث الأنبياء رقم 3170.

(2) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب محمود بخيت ص 18، في ظلال القرآن سيد قطب (2 / 882).

قال تعالى: {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)} [الرعد: ١٨]؛ أي: من مات فلن يقبل منه خيراً أبداً ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً، لو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها [1].

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)} [آل عمران: ١٠].

والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية، ولكنهما لا يغنيان شيئاً في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه؛ لأنه لا خلاف لميعاد الله، وهم فيه(وقود النار) بهذا التعبير الذي يسلبهم كل خصائص الإنسان ومميزاته، ويُصَوِّرهم في صورة الحطب والخشب وسائر...{وَقُودُ النَّارِ} لا بل إن الأموال والأولاد ومعهما الجاه والسلطان لا تغني شيئاً في الدنيا [2].

قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨)}

[الزمر: ٤٧، ٤٨].

إنه الهول الملفوف في ثنايا التعبير الرهيب، فلو أن لهؤلاء الظالمين:

---

(1) تفسير ابن كثير (1 / 280).

(2) في ظلال القرآن (1 / 373)، مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب بخيت ص20.

{مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا} مما يحرصون عليه{وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ} لقدموه فدية مما يرون من سوء العذاب يوم القيامة. وهول آخر يتضمنه التعبير الملفوف{وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ} ولا يفصح عما بدا لهم من الله ولم يكونوا يتوقعونه لا يفصح عنه ولكنه هكذا هائل مذهل مخيف؛ فهو الله الذي يبدو منه لهؤلاء الضعاف ما لا يتوقعون، هكذا بلا تعريف ولا تحديد{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ}.

وهذه - كذلك - تزيد الموقف سوءاً، حين يُكشَف لهم قبح ما فعلوه، وحين يحيط بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والنذير وهم في ذلك الموقف الأليم [(1)].

2- طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات:

قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾} [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

وفي قوله{بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ} الله يعلم طبيعتهم، ويعلم إصرارهم على باطلهم، ويعلم أن رجفة الموقف الرهيب الرعيب على النار هي التي أنطقت ألسنتهم بهذه الأماني وهذه الوعود{وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ}، ويَدُعُّهم السياق في هذا المشهد البائس، وهذا الرد يصفع وجوههم

(1) في ظلال القرآن (5 / 3056).

بالمهانة والتكذيب [1].

قال تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)} [الأعراف: ٥٣].

{يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ}؛ أي:يوم القيامة، وما وُعِدُوا به من العذاب والنكال والجنة والنار [2].

قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]. إنه مشهد الاحتقار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتدارك ما فات، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال، وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان، فإذا الرد على هذا الرجاء المتأخر لا يُوَجَّهُ إلى صاحب الرجاء، إنما يعلن على رؤوس الأشهاد{كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا} كلمة لا معنى لها ولا مدلول وراءها، ولا تنبغي العناية بها أو بقائلها، إنها كلمة الموقف الرهيب، لا كلمة الإخلاص المنيب، كلمة تقال في لحظة الضيق، ليس لها في القلب رصيد، وبها ينتهي مشهد الاحتضار، وإذا الحواجز قائمة بين قائل هذه الكلمة والدنيا جميعاً؛ فلقد قضي الأمر، وانقطعت الصلات، وأغلقت الأبواب، وأُسْدِلت الأستار{وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} فلا هم من أهل الدنيا، ولا هم

---

(1) المصدر نفسه (2 / 1067 - 1068).

(2) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة ص35.

من أهل الآخرة، إنما في ذلك البرزخ إلى يوم يبعثون [1].

قال تعالى:{ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾} [المؤمنون: ١٠٦ - ١١١].

وأحسن ما قيل في معنى{غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا}: غلبت علينا أهواؤنا ولذاتنا، فسمى الأهواء واللذات شقوة؛ لأنهما يؤديان إليهما{وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ}؛ أي: كنا فعلنا ضالين عن الهدى، وليس هذا اعتذارًا منهم، إنما هو إقرار، ويدل على ذلك قولهم:{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوا عند الموت{فَإِنْ عُدْنَا} إلى الكفر{فَإِنَّا ظَالِمُونَ} لأنفسنا بالعودة إليه، فيجابون بعد ألف سنة{اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ} أي: ابعدوا في جهنم [2].

قال تعالى:{ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾} [إبراهيم: ٤٤، ٤٥].

أنذرهم يوم يأتيهم ذلك العذاب المرسوم آنفاً، فيتوجه الذين ظلموا

(1) مطالب الظالمين ص38، في ظلال القرآن (4 / 2480، 2481).
(2) تفسير القرطبي (6 / 102 - 103)، مطالب الظالمين ص40.

يومئذ إلى الله بالرجاء يقولون:{رَبَّنَا} الآن وقد كانوا يكفرون به من قبل ويجعلون له أنداداً:{أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ}، وهنا ينقلب السياق من الحكاية إلى الخطاب، كأنهم ماثلون شاخصون يطلبون، وكأننا في الآخرة قد انطوت الدنيا وما كان فيها، فها هو ذا الخطاب يُوَجَّهُ إليهم من الملأ الأعلى بالتبكيت والتأنيب والتذكير بما فرط منهم في تلك الحياة. {أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ} [إبراهيم: ٤٤] فكيف ترون الآن؟ زلتم يا ترى أم لمْ تزولوا؟ ولقد قلتم قولتكم هذه وآثار الغابرين شاخصة أمامكم مثلاً بارزاً للظالمين ومصيرهم المحتوم:{ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥} [إبراهيم: ٤٥]، فكان عجباً أن تروا مساكن الظالمين أمامكم خالية منهم وأنتم فيها خلفاء ثم تقسمون مع ذلك{مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ}، وعند هذا التبكيت ينتهي المشهد، وندرك أين صاروا، وماذا كان بعد الدعاء وخيبة الأمل، وإن هذا المثل ليتجدد في الحياة ويقع كل حين؛ فكم من طغاة يسكنون مساكن الطغاة الذين سكنوا من قبلهم -وربما يكونون قد هلكوا على أيديهم- ثم هم يطغون بعد ذلك، ويتجبَّرون ويسيرون حذوك النعل بالنعل سيرة الهالكين، فلا تهز وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسكنونها، والتي تتحدث عن تاريخ الهالكين، وتصور مصايرهم للناظرين، ثم يؤخذون أخذة الغابرين ويلحقون بهم، وتخلو منهم الديار بعد حين [1].

قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ

(1) في ظلال القرآن (4 / 2112)

عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾} [فاطر: ٣٦، ٣٧].

{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا} يتصارخون، يفتعلون الصراخ، وهو الصياح بجهد وشدة، ويجأرون إلى الله -عز وجل- بأصواتهم (1).

قال تعالى:{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾} [الزمر: ٥٥ - ٥٩]. في قوله:{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ} أي: يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المؤمنين المخلصين المطيعين لله (2).

قال تعالى:{وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ} [الشورى: ٤٤، ٤٥].

الظالمون كانوا طغاة بغاة فتناسب أن يكون الذل مظهرهم البارز في

---

(1) مطالب الظالمين ص45 - 46.

(2) المصدر نفسه ص47.

يوم الجزاء.

إنهم يرون العذاب فيتهاوى كبرياؤهم، ويتساءلون في انكسار:{هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ } [الشورى: ٤٤]، في هذه الصيغة الموجبة باليأس مع اللهفة والانهيار، مع التطلع إلى بارقة للخلاص وهم يعرضون على النار{خَٰشِعِينَ} لا من التقوى ولا من الحياء، ولكن من الذل والهوان، وهم يعرضون منكسي الأبصار، لا يرفعون أعينهم من الذل والعار{يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ} وهي صورة شاخصة ذليلة، وفي ظل هذا المشهد يُوَجَّهُ الخطاب إلى المعاندين المكابرين؛ ليستجيبوا لربهم قبل أن يفاجئهم مثل هذا المصير، فلا يجدون لهم ملجأ يقيهم، ولا نصيرًا ينكر مصيرهم الأليم (1).

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١} [المنافقون: ٩ - ١١].

قال تعالى:{وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤} [السجدة: ١٢ - ١٤].

(1) في ظلال القرآن (5 / 3168).

3- طلب الانتقام من الأولياء:

قال تعالى:{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)} [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وفي قوله تعالى:{إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا} وتلاحق آخرهم وأولهم، واجتمع قاصيهم بدانيهم، بدأ الخصام والجدال [1].

قال تعالى:{ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١)} [ص: ٥٥ - ٦١].

قال تعالى:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)} [فصلت: ٢٩].

وفي قوله:{الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا}؛ أي: الشياطين، على ضربين: جني وإنسي[2].

وترى الحنق والتحرق على الانتقام في قولهم:{نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ }.

---

(1) مطالب الظالمين ص 65.
(2) المصدر نفسه ص70.

وذلك بعد المودة والمخادنة والوسوسة والتزيين، هذه صلة الوسوسة والإغراء [1].

قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾} [الأحزاب: ٦٤ - ٦٨].

قال تعالى:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾} [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

أولئك الذين اتخذوا من دون الله أنداداً، فظلموا الحق وظلموا أنفسهم، لو مدوا أبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد، لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين، لو يرون لـرأوا:{ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} فلا شركاء ولا أنداد...، {وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ}.

لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين ورأوا العذاب، فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب، وانشغل كل بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها

(1) في ظلال القرآن (5 / 3120).

وعجزت عن وقاية أنفسها، فضلاً عن وقاية تابعيها، وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة، وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب{وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا }، وتبدى الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة، وتمنوا لو يَرُدُّون لهم الجميل، لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها التي خدعتهم ثم تَبَرَّأَتْ منهم أمام العذاب، إنه مشهد مؤثر، مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين، وهنا يجيء التعقيب الممضي المؤلم:{كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ} [1].

4 – طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء:

قال تعالى:{ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾} [إبراهيم: ٢١، ٢٢].

وفي قوله تعالى:{مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ}؛ أي: بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه.

---

(1) في ظلال القرآن (1 / 153، 154).

{وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ}؛ أي: بنافِعِيّ، بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال [1]. وقال القرطبي: (فلا أنا بمغيثكم، ولا أنتم بمُغيثيَّ، والصارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة والمعاونة، والمصرخ هو المغيث) [2].

قال تعالى:{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾} [القصص: ٦٢ - ٦٤].

في قوله تعالى:{أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ } الله يعلم أنه لا وجود اليوم لهؤلاء الشركاء، وأن أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئاً، ولا يستطيعون إليهم سبيلاً، ولكنه الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد، ومن ثَمَّ لا يجيب المسئوولون عن السؤال، فليس المقصود به هو الجواب، إنما يحاولون أن يتبرؤوا من جريمة إغوائهم لمن وراءهم، وصدهم عن هدي الله، كما يفعل كبراء قريش مع الناس خلفهم، فيقولون:{رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ } ربنا إننا لم نغوهم قسراً، فما كان لنا من سلطان على قلوبهم، إنما وقعوا في الغواية عن رضا منهم واختيار، كما وقعنا نحن في الغواية دون إجبار، {تَبَرَّأْنَـا إِلَيْـكَ} من جريمة إغوائهم{مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ}، إنما كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً وخلقاً من خلقك، ولم نجعل أنفسنا لهم آلهة، ولم يتوجهوا إلينا نحن

(1) مطالب الظالمين ص85.
(2) تفسير القرطبي (9 / 233، 234).

بالعبادة، وفي قوله:{وَرَأَوُاْ الْعَـذَابَ}، رأوه في هذا الحوار، ورأوه ماثلاً وراءه؛ فليس وراء هذا الموقف إلا العذاب، وهنا في اللحظة التي يصل فيها المشهد إلى ذروته يعرض عليهم الهدى الذي يرفضونه، وهو أمنية المتمنى في ذلك الموقف المكروب، وهو بين أيديهم في الدنيا، ولو أنهم إليه يسارعون:{لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} [1].

وقال تعالى:{ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾} [الكهف: ٥٢، ٥٣].

بَيَّنَ الله تعالى أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين، ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا، وأنه يُفْرَقُ بينهم وبينها في الآخرة؛ فلا خلاص لأحد الفريقين إلى الآخر، بل بينهم مهلك، وهول عظيم، وأمر كبير [2].

وقال تعالى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ

(1) في ظلال القرآن (5 / 2706).
(2) مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة ص95.

يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

وقـــال تعـــالى:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤٢].

وقـــال تعـــالى:﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾

[غافر: ٤٧، ٤٨].

وقـــال تعـــالى:﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الصافات: ٢٧ - ٣٤].

وفـي قولـه تعـالى:﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾، قـال ابـن عبـاس: يقولـون: كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا؛ لأنّا كنا أذلاء، وكنتم أعزاء(1).

5 – طلب الخروج من النار:

قـــال تعـــالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٤ - ٦٧].

(1) مطالب الظالمين ص106.

وفي :{ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم} يعني: حتى إذا جاء مترفيهم -وهم المنعمون في الدنيا- عذاب الله وبأسه ونقمته بهم{إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ}أي: يصرخون ويستغيثون، {فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ}؛ أي: إذا دعيتم أبيتم، وإن طُلِبتم امتنعتم [1].

{مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ}، قيل: مستكبرين بالبيت يقولون: نحن أهله (سامرًا) وكانوا يتكبرون ويسمرون فيه، ولا يعمرونه ويهجرونه[2].

قال تعالى:{ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

قال تعالى:{كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾} [ص: ٣].

ومعنى قوله:{فَنَادَوْا وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ}: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم، وأرادوا التوبة في غير وقتها [3].

قال تعالى:{قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾} [غافر: ١١، ١٢].

وفي قوله:{فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا؟ فإنك قادرٌ على ذلك؛ لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون، فأُجيبُوا إلى أنه لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم عَلَّلَ المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل

---

(1) المصدر نفسه ص116.
(2) المصدر نفسه ص116 تفسير ابن كثير (3 / 257).
(3) تفسير ابن كثير (4 / 26) مطالب الظالمين ص 127.

الحق ولا تقتضيه، بل تمجه وتنفيه، ولهذا قال تعالى:{ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾} [غافر: ١٢]؛ فهذا هو الذي يقودكم إلى ذلك الموقف الذليل، إيمانكم بالشركاء وكفركم بالوحدانية؛ فالحكم لله العلي الكبير، وهما صفتان تناسبان موقف الحكم: الاستعلاء على كل شيء، والكبر فوق كل شيء في موقف الفصل الأخير [1].

وقال تعالى:{ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾} [السجدة: ٢٠، ٢١].

6 – طلب التخفيف من العذاب:

قال تعالى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾} [غافر: ٤٩، ٥٠].

7 – طلب القضاء عليهم:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾} [الزخرف: ٧٤ - ٧٨].

8 – طلب سقيا الماء والطعام:

---

(1) في ظلال القرآن (5 / 3072).

قال تعالى: {وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾} [الأعراف: ٤٨ - ٥١].

9 – طلب النور:

قال تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾} [الحديد: ١٣، ١٤].

إن المنافقين والمنافقات في حيرة وضلال، وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات: {يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} [الحديد: ١٣]؛ فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف، ولكن أنَّى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام؟ إن صوتاً يناديهم: {قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا} [الحديد: ١٣]، ويبدو أنه صوت للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا فالنور يلتمس النور، وعلى الفور يفصل بين المؤمنين والمؤمنات، والمنافقين والمنافقات؛ فهذا يوم الفصل إن كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: {فَضُرِبَ بَيْنَهُم

بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ} [الحديد: ١٣]، ويبدو أنه سور يمنع الرؤية، ولكن لا يمنع الصوت منها، هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين:{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} [الحديد: ١٤]، فما بالنا نفترق عنكم؟ ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد؟ وقد بعثنا معكم في صعيد واحد [1] ؟

{قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ} [الحديد: ١٤]؛ أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، وتربصتم؛ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت، {وَٱرْتَبْتُمْ}؛ أي: بالبعث بعد الموت، {وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ}؛ أي: قلتم: سيغفر لنا، وقيل: غرتكم الدنيا، {حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ}؛ أي: ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت، {وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ}؛ أي: الشيطان [2].

خامساً: جملة الجرائم التي تدخل النار:

من الجرائم التي تدخل النار: الإشراك بالله تعالى، والتكذيب للرسل، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل، واختلاف السر والعلانية، واليأس من رَوْح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، الفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله، وتَعدِّى حدوده وانتهاك حرماته، وخوف المخلوق دون الخالق، والعمل رياءً وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة في أي اعتقاد وعمل، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب للباطل، والاستهزاء بآيات

(1) في ظلال القرآن (6 / 3486).
(2) مطالب الظالمين ص159.

الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات [1].

سادساً: أكبر جرائم المخلدين في النار:

إن الذي يَتَدَبَّرُ القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله -عز وجل- قد ذكر أسباب جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النار، ومن أهمها:

1- الكفر والشرك:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾} [البينة: ٦].

2- طاعة قرناء السوء:

قال تعالى:{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾} [فصلت: ٢٥ - ٢٨].

3- النفاق:

قال تعالى:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾} [التوبة: ٦٨].

---

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص57 - 58.

وقال تعالى:{وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾} [الفتح: ٦].

4- الكبر:

قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾} [الأعراف: ٣٦] وقال تعالى:{ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾} [الزمر: ٧٢].

وقال تعالى:{ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾} [غافر: ٧٥، ٧٦].

5- عدم القيام بالتكاليف الشرعية:

مع التكذيب بيوم الدين، وترك الالتزام بالضوابط الشرعية، فقد أخبرنا الله -سبحانه وتعالى- أن أهل الجنة يسألون أهل النار قائلين{مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾} [المدثر: ٤٢]، فيجيبون قائلين:{قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾} [المدثر: ٤٣ - ٤٧] (1).

سابعاً: أشخاص بأعينهم في النار:

ذكر الله- تعالى- بعض الأشخاص بأعينهم، وبيّن أنهم من أهل النار، ونحن - المسلمين - لا نشهد لأحد بعينه أنه من النار إلا من شهد الله

(1) الحياة في القرآن الكريم المحزون (1 / 269). اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص55.

له ورسوله [1]، ومن هؤلاء:

1- فرعون وجنوده:

قال تعالى:{وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾} [القصص: ٤١، ٤٢]، وقال تعالى:{وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر: ٤٥، ٤٦].

2- قارون وهامان:

قال تعالى:{وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾} [العنكبوت: ٣٩، ٤٠].

وقال تعالى:{فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾} [القصص: ٨١].

وقال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص466.

ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ } [غافر: ٢٣ - ٢٥]، فسماهم الله تعالى كافرين(1).

3- إبليس، وابن آدم القاتل:

أما إبليس فالآيات كثيرة، ودخوله النار من المعلوم بالدين بالضرورة، بل معلوم في جميع الأديان؛ كمثل قوله تعالى:{كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾} [الحشر: ١٦، ١٧].

وقال تعالى لإبليس:{قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾} [ص: ٨٤، ٨٥].

4- امرأة نوح، وامرأة لوط:

قال تعالى:{ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾} [التحريم: ١٠].

5- كفرة الجن في النار:

قال تعالى:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾} [الأعراف: ١٧٩].

وقال تعالى:{وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾} [الجن: ١٤، ١٥].

---

(1) المصدر نفسه ص467.

6- أحد أبناء نوح:

قال تعالى: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾} [هود: ٤٢، ٤٣].

7- قوم نوح:

قال تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾} [هود: ٣٦، ٣٧].

8- قوم عاد:

قال تعالى: {وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾} [هود: ٥٩، ٦٠].

9- قوم ثمود:

{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾} [هود: ٦٧، ٦٨]، فحكم الله عليهم بالكفر، وقد قدَّمْنَا أن أصحاب الخلود في النار هم الكفار والمشركون [1].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص472.

10- قوم لوط:

قال تعالى:{فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾} [هود: ٨٢، ٨٣].

11- قوم شعيب:

قال تعالى:{وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾} [هود: ٩٤، ٩٥].

قال تعالى:{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [الشعراء: ١٨٩]. وتكذيب الرسل من أنواع الكفر [1].

12- بنو النضير من اليهود:

قال تعالى:{ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾} [الحشر: ٣].

وقد نزلت هذه الآية في يهود بني النضير لمَّا خانوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وأرادوا قتله بإلقاء الحجر عليه، ولكنَّ الله -تعالى- عصمه منهم، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم وأجلاهم [2].

وهذا الحكم ليس خاصًّا بيهود بني النضير، بل كل من سمع بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ولم يسلم فهو في

(1) المصدر نفسه ص473.
(2) الرحيق المختوم للمباركفوري ص293.

النار [1]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثـم يمـوت ولم يـؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) [2].

13- أبو لهب وامرأته:

قال تعالى:{تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾} [المسد: ١ - ٥].

14- الوليد بن المغيرة:

وهو المقصود بقوله تعالى:{ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾} [المدثر: ١١ - ٢٦].

جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه؛ فإنك أتيت محمداً لتعرضه لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له، قال: ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا برجز ولا بقصيدة مني،

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار ص473.
(2) مسلم، ك الإيمان رقم 153.

ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر، قال: (هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره)، فنزلت:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [1].

ومن أراد التوسع لمعرفة الأشخاص الذين بأعيانهم في النار فليراجع كتاب أهل النار لـ (يوسف الحاج أحمد) [2].

* * *

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار ص473.
(2) كتاب أهل النار ليوسف الحاج أحمد ص145 - 269.

المبحث الثالث

موانع إنفاذ الوعيد

تحدث العلماء عن أسباب سقوط العذاب في الآخرة، وذكروها في موانع إنفاد الوعيد، والتي منها:

أولاً: التوبة:

مانع من إنفاد وعيد جميع الذنوب، ودليل ذلك الكتاب والسنة:

قال تعالى: {قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣]، أي لمن تاب [1]، وقال تعالى: {وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ} [المائدة: ٣٨، ٣٩].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله عز وجل يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)** [2] وقال صلى الله عليه وسلم: **(إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)** [3].

وأما الإجماع فقد اتفق العلماء أن التوبة من الكفر مقبولة ما لم يوقن الإنسان بالموت بالمعاينة، ومن زنا، ومن فعَل فعلة قوم لوط، ومن شَربَ الخمر، ومن كل معصية بين المرء وربه تعالى، مما لا يحتاج في التوبة إلى دفع مال، ومما ليس مظلمة للإنسان [4]؛ فالتوبة مانع شامل، يمنع إنفاذ وعيد جميع الذنوب كالكفر وما دونه، وهذا الشمول

---

(1) تفسير الطبري (24 / 17) تفسير ابن كثير (4 / 58).

(2) مسلم (4 / 2113).

(3) صحيح الجامع الصغير للألباني (1 / 386).

(4) موانع إنفاذ الوعيد د. عيسى السعدي ص41.

مختص بهذا المانع [1]؛ فالتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة [2].

ثانياً: الاستغفار:

دلت النصوص الشرعية على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد، ومن هذه النصوص:

قوله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ } [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وقوله تعالى:{ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾} [النساء: ١١٠].

وقوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا } [النساء: ٦٤].

وقال صلى الله عليه وسلم :(أن عبداً أصاب ذنباً، وربما قال: أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت، وربما قال: أصبت فاغفر لي، فقال ربه: عَلِم عبدي له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: عَلِم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً، وربما قال: أصاب ذنباً، قال: رب أصبت ذنباً أو قال:

---

(1) المصدر نفسه ص41.
(2) منهاج السنة (3 / 180).

أذنبت آخر فاغفره لي، فقال: عَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي ثلاثاً، فليعمل ما شاء) [(1)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) [(2)] فدلت هذه النصوص المحكمة على أن الاستغفار مانع من إنفاد الوعيد [(3)].

ثالثاً: الحسنات الماحية:

دلت نصوص شرعية كثيرة على أن الحسنات يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد السيئات، والأدلة على ذلك كثيرة :

كقوله تعالى:{إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ} [هود: ١١٤].

وعن أبي ذر رضى الله عنهقال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :(اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) [(4)].

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حَرَّمَ الله عليه النار)[(5)].

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى

(1) البخاري، ك التوحيد (6 / 2725).
(2) مسلم، ك التوبة (4 / 2106).
(3) موانع إنفاد الوعيد ص56.
(4) صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/81).
(5) مسلم ك الإيمان (1/58).

تخرج من أظفاره) [1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا) [2].

وقال صلى الله عليه وسلم :(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)[3].

وقال صلى الله عليه وسلم :(من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه)[4].

رابعاً: دعاء المؤمنين:

النصوص الشرعية التي دلت على مشروعية الدعاء للمؤمنين، بالمغفرة والرحمة تدل قطعاً على انتفاع المدعو بدعاء إخوانه المؤمنين، ومن أهم مظاهر انتفاعه عدم إنفاذ وعيده؛ بسبب دعاء المؤمنين واستغفارهم، ولا شك أن الدعاء بالمغفرة والرحمة لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد المدعو له إذا لقي الله متلبساً بمكفّر، كالشرك الأكبر والنفاق الأكبر لأن الله أخبر في كتابه بأنه سبحانه:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ } [النساء: ٤٨]، كما أن النصوص الشرعية دلت على تحريم الاستغفار المطلق والمقيد بفعل معين لمن لقي الله كافراً؛ فقد دل على تحريم الاستغفار المطلق قوله تعالى:{ مَا

(1) مسلم، ك الطهارة (1/216).
(2) البخاري، ك مواقيت الصلاة (1/197).
(3) مسلم، باب الترغيب في قيام رمضان (1/524).
(4) البخاري، ك الحج، (2/553).

كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾} [التوبة: ١١٣].

والمقصود من هذا كله أن تحريم الاستغفار بمختلف صوره لمن لقي الله كافراً، يدل من وجه آخر على أن طلب المغفرة وما في معناها لا أثر له البتة في إسقاط وعيده، كما أن الدعاء لا يترتب عليه أثره إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه، ومن شروطه كون المطلوب جائز الطلب شرعاً، ومن موانعه الاعتداء في الدعاء، وحينئذ فطلب المغفرة وما في معناها لمن لقي الله كافراً لا يمكن أن يترتب عليه أثره؛ لِتَخَلُّفِ شرطه ووجود مانعه [1].

وأما الأدلة الشرعية على مشروعية الدعاء لأحياء المؤمنين وأمواتهم بالمغفرة والرحمة فمنها:

قوله تعالى:{وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ} [محمد: ١٩].

وقوله:{فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ} [آل عمران: ١٥٩].

وقوله:{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ} [الحشر: ١٠].

وقال صلى الله عليه وسلم :(قد تُوفِّي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه)[2].

وقال صلى الله عليه وسلم :(ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على

(1) موانع إنفاذ الوعيد ص100.
(2) البخاري، ك الجنائز (1/443).

جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شَفَّعَهُم الله فيه) [1].

والشفاعة للميت - الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة - هي المقصود من هذه الصلاة، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة بإخلاص الدعاء للميت فقد قال:(إذا صَلَّيْتُم على الميت فأخلصوا له الدعاء) [2]، ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للميت في صلاة الجنازة قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مُدْخَلَهُ، واغْسله بالماء والثلج والبرد، ونَقِّه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار) [3].

وقال صلى الله عليه وسلم :(إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال:(أخرت شفاعتي لأهل الكبائر) [4].

فالاستغفار للمؤمنين وما في معناه إنما يمنع إنفاذ الوعيد ظنًّا لا قطعاً لأنه دعاء، والدعاء قد لا يستجاب، إما لتخلف شرط، وإما لوجود مانع، وإما لحكمة إلهية لا نعلمها، ولكن جانب الإجابة أرجح لقوة دلالة النصوص، والعمل بالراجح مطلوب شرعاً، فينبغي الحرص على الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة، والاجتهاد في ذلك؛ فقد يعتق الله بدعائه كثيراً من أهل البلاء والمحنة في البرزخ أو في

---

(1) مسلم، ك الجنائز، باب من صلى عليه أربعون (2/655).
(2) مسلم، ك الجنائز (2/ 662 - 663).
(3) مسلم، ك الجنائز (2/ 662 - 663).
(4) مجمع الزوائد للهيثمي (10/211). رواه البزار إسناده جيد.

الآخرة، قال تعالى:{ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا } [النساء: ٨٥].

وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه مرفوعاً: اشفعوا تُؤْجَرُوا [1].

والشفاعة الحسنة تشمل الشفاعة للناس في قضاء حوائجهم، والدعاء لهم بخير الدنيا والآخرة وغير ذلك، فمن شفع؛ لينفع كان له نصيب من الأجر، ومن دعا لأخيه بظهر الغيب أمّن الملك على دعائه، وقال: ولك بمثل [2].

خامساً: إهداء القربات:

دلت النصوص الشرعية على أن الجزاء ثواباً أو عقاباً إنما يترتب على عمل الإنسان، وعلى ما هو من آثار عمله.

قال تعالى:{لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ } [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى:{وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا } [الأنعام: ١٦٤].

وقال تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ} [يس: ١٢]؛ أي: نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي آثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر [3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة، فَعُمِلَ بها من بعده، كُتِبَ له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم

(1) البخاري، ك الزكاة رقم 1432.
(2) تفسير القرطبي (5 / 295).
(3) تفسير ابن كثير (3 / 565).

شيئاً، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة، فَعُمِلَ بها من بعده، كُتِبَ عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء) [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) [2].

– وقال صلى الله عليه وسلم :(لا تُقْتَلُ نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل) [3].

– وقال صلى الله عليه وسلم :(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [4].

وأما عمل الآخرين وما نشأ عنه من آثار فإن مقتضى دلالة هذه النصوص عدم مؤاخذة الإنسان عليه إن كان شرًّا، وعدم استحقاق ثوابه إن كان خيراً، وقد نَصَّ على هذا المعنى صراحة قوله سبحانه: {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾} [النجم: ٣٨، ٣٩].

وهذه الآية الكريمة لا تعني أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره، وإنما تعني أن الإنسان لا يستحق عمل غيره [5]؛ فظاهر الآية أن الإنسان ليس له إلا سعيه، وهذا حق؛ فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه،

(1) مسلم، ك العلم (4 / 2059).
(2) مسلم، ك العلم (4 / 2060).
(3) البخاري، ك الأنبياء (3 / 1213).
(4) مسلم، ك الوصية (3 / 1255).
(5) موانع إنقاذ الوعيد ص113.

وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به، كما أنه دائماً يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم [(1)]، وقد دَلَّتْ النصوص الشرعية على مطلق الانتفاع بعمل الآخرين، ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه أن سعد بن عبادة رضى الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: (**نعم**)، قال: فإنني أشهدك أن حائطي المخراف [(2)] صدقة عليها [(3)]. ومعنى نفع الميت بالصدقة عنه، تنزيله منزلة المتصدق، بحيث تقع الصدقة نفسها عن الميت ويكتب له ثوابها [(4)].

وهناك نصوص شرعية تدل على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاط هذه الحقوق إجمالاً وتفصيلاً. أما الدليل الإجمالي ففيما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها، قال: (**نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**) [(5)]، والحديث وإن ورد على سبب خاص وهو الحج إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على المعتمد من أقوال أهل العلم، ولذلك قال ابن

---

(1) مجموع الفتاوي لابن تيمية (7 / 499).
(2) المخراف: المكان المثمر: والحائط: البستان.
(3) البخاري، ك الوصايا (3/1013).
(4) نهاية المحتاج للرملي (6/92).
(5) البخاري (2/ 656، 657).

حجر: (ويلتحق بالحج كل حق ثبت في ذمته، من كفارة أو نذر أو زكاة أو غير ذلك) [1].

وأما الأدلة التفصيلية فمنها:

عن عائشة رضى الله عنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**(من مات وعليه صيام صام عنه وليه)** [2].

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه، توفيت قبل أن تقضيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**(فاقضِه عنها)** [3].

وعن بريدة رضى الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، فقال: **(وجب أجرك، وردها عليك الميراث)**، قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: **(صومي عنها)** قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال:**(حجي عنها)** [4]. أما الحقوق التي للناس كالدين فقد دل على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاطها النص والإجماع.

أما النص فما رواه البخاري بسنده عن سلمة بن الأكوع، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بجنازة، ليصلي عليها، فقال:**(هل عليه دين؟)** **قالوا: لا فصلى عليه)** ثم أتى بجنازة أخرى فقال:**(هل عليه من دين؟)**

(1) فتح الباري (4/66).
(2) البخاري، ك الصوم (2/690).
(3) مسلم، ك النذر (3/1260).
(4) مسلم، ك الوصايا (2/805).

قالوا: نعم، قال:(صلوا على صاحبكم). قال أبو قتادة: عليّ دينه يا رسول الله، فصَلَّى عليه [1].

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي أو من غير تركته، وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه أنه ينفعه ويبرأ منه، كما يسقط من ذمة الحي [2]، ومن كل ما سبق يتبين أن النصوص الشرعية دلت على جواز إهداء القربات في الجملة [3]، وأن الميت يمكن أن ينتفع بكل ما يُهْدَى إليه من قربات، عدا القربات التي يتعين أن يفعلها العبد بنفسه كالإيمان والتوبة [4].

سادساً: الشفاعة في أهل الكبائر:

الشفاعة المقبولة يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد المعين من أهل الكبائر ظنًّا لا قطعاً، والشفاعة المقبولة هي التي انتظمت فيها شروط القبول، وهي ثلاثة:

- إذن الله في الشفاعة، ودليله قوله تعالى:{مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ} [البقرة: ٢٥٥].

- رضاه عن الشافع، ودليله قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾} [طه: ١٠٩]؛ أي: إلا شفاعة من أذن له الرحمن

(1) البخاري، ك الكفالة (2/803).
(2) كتاب الروح لابن القيم ص165.
(3) موانع إنفاذ الوعيد ص117.
(4) المصدر نفسه ص129.

.[1]

- رضاه عن المشفوع له، ودليله قوله تعالى:{وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ} [الأنبياء: ٢٨]. وأهل رضا الله هم أهل التوحيد ولو كانوا أهل كبائر [2].

وقد دلَّ على هذه الشروط مجتمعة قوله تعالى:{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾} [النجم: ٢٦]؛ أي: الشافع والمشفوع له [3].

سابعاً: المصائب الـمُكَفِّرة:

(المصائب) اسم جامع للآلام التي تلحق بالإنسان، نفسية كانت أو عضوية، وهذه الآلام إما أن تكون قدرية، وإما أن تكون شرعية. أما الآلام القدرية فتنقسم باعتبار المكان الذي تقع فيه إلى ثلاثة أقسام:

– **آلام دنيوية**: كنقص الأموال والأنفس والثمرات.

– **آلام برزخية**: وهي ما يكون في القبر من الفتنة والضغطة والروعة.

– **آلام أخروية**: وهي ما يكون في عرضات القيامة من الأهوال والكروبات والشدائد [4].

وقد دلّت النصوص الشرعية بعمومها على أن هذه الآلام مما يُكَفِّرُ الله به الخطايا، ومن هذه الأدلة:

---

(1) فتح القدير للشوكاني (3/387).
(2) فتح القدير للشوكاني (3/ 406).
(3) تفسير السعدي (5/191).
(4) موانع إنفاذ الوعيد ص160.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفرّ الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها) [(1)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما يصيب المسلم من نصب [(2)] ولا وصب[(3)]، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفرّ الله بها عن خطاياه) [(4)].

وقال صلى الله عليه وسلم :(ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه إلا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها) [(5)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم) [(6)].

وقد ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن نفس المصائب مكفرات ومثيبات، واستدلوا بقول الله تعالى:{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ} [التوبة: ١٢٠].

فرتب الله - سبحانه - الأجر على جملة أمور، منها ما هو من المصائب كالنصب، فدل ذلك على أن الإنسان يؤجر على المصائب نفسها [(7)]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما من مسلم يشاك

(1) البخاري (5/2137) ك المرضى
(2) نصب: تعب.
(3) وصب: هو المرض.
(4) البخاري، ك المرضى (5/2137).
(5) البخاري، ك المرضى (5/2139).
(6) البخاري، ك الجنائز (1/422).
(7) موانع إنفاذ الوعيد ص 157.

شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومُحِيَتْ عنه بها خطيئة) [1].

إن ما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الآلام التي هي عذاب، مما يُكَفَّرُ به خطاياه [2].

وأما الآلام الشرعية فهي الحدود والتعزيرات؛ لأنها زواجر وجوابر معاً. أما إنها زواجر عن ارتكاب المحظورات وترك المأمورات فالأمر فيها ظاهر، ولذا قال الله تعالى في الزانية والزاني:{وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢] وذلك للتغليظ في زجرهما عن المعاودة، ولزجر الناس عن فعلهم. وإما إنها جوابر -بمعنى أن مجرد فعلها مكفر لذنب المعاقب دون حاجة إلى مكفر آخر- فدليله ما رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال:(تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن [3] شاء عذبه).

فدل الحديث على أن العقاب مكفر للذنب بمجرد فعله، وهذا يعم العقوبات الشرعية: المقدرة، وهي: الحدود، وغير المقدرة، وهي التعزيرات [4].

ثامناً: العفو الإلهي:

---

(1) مسلم، ك البر، (4/ 1991).

(2) مجموع الفتاوى (24/ 375).

(3) مسلم، ك الحدود (3/ 1333).

(4) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص161.

دلت النصوص الشرعية المتواترة دلالة قطعية على أن الله تعالى عفو غفور، يتجاوز عما يستحقه المذنبون من العقاب، منها:

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ} [الرعد: ٦].

وقال تعالى:{وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ} [الشورى: ٢٥].

وقوله تعالى:{وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠].

وقوله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج: ٦٠].

وقوله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: ٤٣].

وهذه النصوص وما في معناها تدل قطعاً على أن العفو الإلهي من موانع إنفاذ الوعيد [(1)]، ولكن لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد الكفر قطعاً، ودليل هذا الأصل القرآن والسنة فالقرآن الكريم يقول:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ} [النساء: ٤٨].

وقال تعالى:{إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ} [المائدة: ٧٢].

وأما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من مات وهو **يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**) [(2)].

ولا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة [(3)].

---

(1) موانع إنفاذ الوعيد ص175.

(2) البخاري، ك، التفسير (4 / 1636)

(3) فتح القدير (1 / 475) موانع إنفاذ الوعيد ص176.

والعفو الإلهي يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد أهل الكبائر، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ} [النساء: ٤٨]، أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليها ما لم تكن كبيرته شركاً بالله [1].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه [2]، فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربي أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم) [3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة) [4].

* * *

(1) تفسير الطبري (5 / 126).
(2) كنفه: ستره.
(3) مسلم، ك التوة(4 / 2120).
(4) سنن الترمذي، ك الدعوات (5 / 548) إسناده حسن.

المبحث الرابع: الجنـة

المبحث الرابـع

الجنـة

أولا: الطريق إلى الجنة

إن بداية الطريق إلى الجنة أن تتذكر الغاية التي خلقنا الله تعالى لأجلها حيث قال:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)} [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

ومعنى الآية أنه -تبارك وتعالى- خلق العباد؛ ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم؛ فهو خالقهم ورازقهم، وفي الحديث القدسي:(**يا بن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك**) (1).

فالله - عز وجل - ما خلق العباد إلا لغاية واحدة، وهي أن يعبدوه سبحانه، وهذا يقتضي أن يحرص العبد أن تكون كل أعماله -بل كل حياته - عبادة لله تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والعبادة الشاملة المطلوبة هي ألا تُقدِّمَ بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل تفعله من عند نفسك قبل أن تعلم حكم الله وحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيه، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)} [الحجرات: ١].

(1) السلسلة الصحيحة للألباني رقم 1359، وتفسير ابن كثير لسورة الذاريات آية 56، 57.

ومن العبادة المتابعة التامة لكل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال، مع الإخلاص في ذلك لله رب العالمين [1] فالمتابعة التامة للنبي صلى الله عليه وسلم هي الكفيلة بتحقيق منزلة العبودية التامة لله رب العالمين، مع الوفاء بحاجتنا البشرية على أكمل وجه ممكن [2].

ولا بد لدخول الجنة من عمل، فالعمل ركن من أركان الإيمان، وقد نص الله تعالى في مواضع كثيرة أن العمل سبب لدخول الجنان كما قال تعالى:{ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾} [الزخرف: ٧٢].

وقال تعالى:{وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٤٣].

والقرآن يذكر كثيراً أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات؛ فالإيمان هو ما في القلب، والعمل الصالح هو ما ظهر على الجوارح؛ فهو جمع بين العقيدة والشريعة، أو الإيمان والإسلام، أو عمل الباطن (القلب) وعمل الظاهر (الجوارح)، فلا يكفي أحدهما عن الآخر، فمن آمن ولم يعمل فهو كاذب في إيمانه؛ إذ لو آمن حقًّا لظهر على جوارحه أثر الإيمان بالأعمال الصالحة، ومن عمل الصالحات من غير إيمان فإنها لا تنفعه؛ إذ شرط قبول الأعمال تقدم الإيمان، كما في حديث عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل رحمه ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟

(1) موسوعة الدار الآخرة، د. عبد الحميد هنداوي ص494.
(2) المصدر السابق ص494.

قال:(لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) [1]، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا، ويُجْزَى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها) [2].

لا بد -إذن- للجنة من إيمان وعمل صالح، فمن كان عنده هذان الشرطان استحق بعد - رحمة الله - الجنة [3]، قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾} [البقرة: ٨٢].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾} [الأحقاف: ١٣، ١٤].

وقد فصل لنا الله -تعالى- بعض أنواع الأعمال الصالحة، فمن ذلك:

1- التوبة:

قال تعالى:{ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾} [مريم: ٥٩، ٦٠].

2- تزكية النفس:

---

(1) مسلم (ك الإيمان، رقم 214).
(2) مسلم، ك صفة القيامة والجنة والنار رقم 2808.
(3) اليوم الآخر د. المطيري ص537.

قـــال تعـــالى:{جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾} [طه: ٧٦].

3- التقوى:

قال تعالى:{تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾} [مريم: ٦٣].

4- الصبر في البأساء والضراء:

قال تعالى:{ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾} [البقرة: ٢١٤].

5- الجهاد في سبيل الله:

قـــال تعـــالى:{أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾} [آل عمران: ١٤٢].

وقـــال تعـــالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}

[الصف: ١٠ - ١٢].

6- الشهادة:

قـال تعـالى:{وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾} [محمد: ٤ - ٦].

7- الابتعاد عن الكبائر:

قـــال تعـــالى:{ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ

وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾} [النساء: ٣١].

8- إقامة الصلاة ، والإنفاق في سبيله تعالى:

قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

9- التوكل على الله:

قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾} [العنكبوت: ٥٨، ٥٩].

10- قيام الليل:

قال تعالى:{ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾} [السجدة: ١٦، ١٧].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾} [الذاريات: ١٥ - ١٩].

11- خوف الله:

قال تعالى:{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ

﴿٤١﴾} [النازعات: ٤٠، ٤١].

وهذه بعض الآيات التي جمعت الكثير من الأعمال الصالحة [1].

- من سورة المؤمنون:

قال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾} [المؤمنون: ١ - ١١].

- من سورة الفرقان:

قال تعالى:{ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا

(1) اليوم الآخر، المطيري ص537 - 540.

﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان: ٦٣ - ٧٦].

- من سورة التوبة:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [التوبة: ١١١، ١١٢].

- من سورة ق:

قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾} [ق: ٣١ - ٣٥].

- من سورة المعارج:

قال تعالى: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا

عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾} [المعارج: ٢٢ - ٣٥].

- من سورة آل عمران:

قال تعالى: {وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

وعموماً فكل طاعة لله ورسوله هي من الأعمال الصالحة، وهي سبب لدخول الجنة، قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح: ١٧].

وهذا في القرآن كثير، ومداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وتجتمع في أصلين:

إخلاص في الطاعة، وإحسان إلى خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراؤون، ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلة واحدة، وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه، ولا طريق إلى ذلك إلا تحقيق القدوة

ظاهراً وباطناً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر، وطاعته في جميع ما أمر استحباباً وإيجاباً [1].

وأما الأعمال التي هي سبب لدخول الجنة الواردة في السنة فالأحاديث فيها أكثر من أن تحصر [2].

ثانياً: هل الجنة ثَمَنٌ للعمل؟

الأعمال لا شك أنها سبب لدخول الجنة، ولكن الجنة أعظم من أعمالنا، ولا يمكن لأعمالنا أن تدرك بذاتها الجنة، لذلك فإن الله برحمته يدخل المؤمنين الجنة، ويجعلها من نصيبهم مع تقصيرهم في العمل لها، وكيف لهم أن يدركوا هذا الفضل وأصل هدايتهم إلى العمل الصالح من الله؟ قال تعالى:{وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} [الأعراف: ٤٣].

ثم إن الله تعالى يكرمهم ويجازيهم على هذه الهداية - التي أعطاهم إياها - بجزاء عظيم جدًّا وهو الجنة، فكيف يمكن لأعمالهم أن تدرك

(1) حادي الأرواح لابن القيم ص444.
(2) انظر: موجبات الجنة لمعمر عبد الوهاب الأصبهاني وتمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة للإدريسي.

هذا الجزاء الذي الفضل فيه لله أولاً وآخراً [1]؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال:(ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة من فضله) [2]. وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(سددوا وقاربوا وأبشروا؛ فإنه لن يُدْخِلَ أحدًا الجنة عملُهُ) [3]، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال:(ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل) [4]. وعن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:(لا يُدْخِلُ أحداً منكم عمله الجنة، ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا برحمة من الله) [5]، وهو حديث متواتر [6].

وأما قوله تعالى:{ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الزخرف: ٧٢]، وقوله:{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ } [السجدة: ١٧] فلا تعارض بينها وبين الحديث؛ لأن الآية تدل على أن العمل سبب، والحديث يدل أن الأعمال ليست ثمناً للجنة، ولا بد من رحمة الله تعالى حتى يبلغوا هذا العطاء العظيم [7].

ثالثاً: أول وآخر من يدخل الجنة:

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص542.
(2) البخاري، ك المرضى رقم 5349.
(3) البخاري ك الرقاق رقم 2818.
(4) المصدر نفسه رقم 2818.
(5) مسلم، ك صفة القيامة والجنة والنار رقم 2817.
(6) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص201.
(7) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص543.

قال تعالى: {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ} [الواقعة: ١٠ - ١٢].

السابقون هم المبادرون إلى فعل الخيرات؛ فالسابقون إليها في الحياة الدنيا هم السابقون إلى الجنة في الحياة الآخرة، ثم يلي السابقين أصحاب اليمين الأبرار الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، منزلتهم دون المقربين؛ فهم أقل درجة في النعيم من السابقين (1).

قال تعالى: {وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾} [الواقعة: ٢٧ - ٤٠]، ولا شك أن رسولنا محمداً الله صلى الله عليه وسلم أول السابقين، وأنه أول من تُفتَح له الجنة، وتدخل أمته بعده، وهي أول الأمم دخولاً الجنة، وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة، منها (2) :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة) (3).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك) (4).

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 627).
(2) المصدر نفسه (2 / 627).
(3) مسلم، ك الإيمان رقم 331.
(4) مسلم، ك الإيمان رقم 333.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة) [1] وأما آخر من يدخل الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً عن ذلك فقال:(إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربّ، وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك؟) قال الراوي عبد الله بن مسعود: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة [2].

رابعاً: الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

أول زمرة تدخل في هذه الأمة الجنة هم القمم الشامخة في الإيمان والتقى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق، يدخلون الجنة صفًّا واحداً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر [3]، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض،

(1) مسلم بشرح النووي (6 / 143).
(2) البخاري، ك الرقاق رقم 6571.
(3) اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص123.

قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون بكرة وعشيًّا) [(1)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أُعْطِيتُ سبعين ألفاً من أمتي يدخلون بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي - عز وجل- فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً) [(2)].

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم السبعين ألفاً الأوائل وبيّن علاماتهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم :(عُرِضَتْ عليّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قُدَّامهم، لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون)، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال:(اللهم اجعله منهم)، ثم قام إليه رجل فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال:(سبقك بها عكاشة)[(3)].

خامساً: أسماء الجنة:

الجنة هي دار كرامة الله التي أعدها لعباده المتقين، ولها أسماء كثيرة:

---

(1) فتح الباري (6 / 318).
(2) صحيح الجامع (1 / 350) رقمه 1068.
(3) فتح الباري (11 / 405).

1- الجنة:

وهو الاسم المشهور لها، قال تعالى:{لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾} [الحشر: ٢٠].

2- جنة الخلد:

قال تعالى:{قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾} [الفرقان: ١٥]، وسميت بذلك لخلود أهلها فيها.

3- جنة النعيم:

قال تعالى:{وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾} [الشعراء: ٨٥]، وسُمِّيَتْ بذلك؛ لما فيها من النعيم المقيم الكريم.

4- جنة المأوى:

قال تعالى:{عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾} [النجم: ١٥]؛ وسميت بذلك لأنها مأوى المؤمنين.

5- جنات عدن:

قال تعالى:{ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾} [ص: ٥٠]. فهي درجة من درجات الجنة.

6- دار السلام:

قال تعالى:{لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾} [الأنعام: ١٢٧].

وقال تعالى:{وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾} [يونس: ٢٥]، وسميت بذلك لأمور، منها:

لأنها سالمة من كل المنغصات والمكدرات، ومن كل بلية وآفة.

أنها دار السلام، ومن أسمائه (السلام) كما قال تعالى:{ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾} [الحشر: ٢٣].

فهي دار السلام، يعني: دار الله؛ فهو سبحانه الذي سلَّمَها وسلم أهلها.

لأنـه:{تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ } [إبـراهيم: ٢٣]، {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾} [الأحزاب: ٤٤].

وأول ما تستقبلهم بـه خزنـة الجنـة هو السلام:{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ } [الزمـر: ٧٣]، قـال تعـالى:{وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، والرب يُسلِّمُ عليهم من فوقهم: { لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ } [يس: ٥٧، ٥٨].

كلامهم فيها سلام؛ أي: لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل، لا يقولونـه ولا يسمعونه، قـال تعـالى:{ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾} [مريم: ٦٢].

وقـال تعـالى:{لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾} [النبأ: ٣٥]، وقـال تعـالى: { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾} [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

7 – دار المتقين:

قال تعالى:{وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ} [النحل: ٣٠]، وسُمِّيَتْ بهذا لأنهم أهلها.

8 – دار الآخرة:

قال تعالى:{وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يوسف: ١٠٩].

والغالب أن تُذكر بلفظ التعريف للدار، فيقال:(الدار الآخرة).

قال تعالى:{تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾} [القصص: ٨٣].

9 – الحسنى:

قال تعالى:{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] (1).

وقال صلى الله عليه وسلم :(**الحسنى، الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن**) (2).

10 – دار المقامة:

قال تعالى:{وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾} [فاطر: ٣٤ - ٣٥]. دار المقامة يعني دار الإقامة (3).

ولو تَوَسَّعْنَا في هذا لذكرنا أسماء كثيرة مثل (المدخل الكريم) المأخوذ من قوله تعالى:{وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء: ٣١]، (وَحُسْنَ المَآبِ) المأخوذ من قوله تعالى:{هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾} [ص: ٤٩، ٥٠] (4).

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص523 إلى 526.
(2) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني ص253.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص528.
(4) المصدر نفسه ص528.

11 – الفردوس:

قال الله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ } [المؤمنون: ٩ - ١١].

سادساً: صفة الجنة:

مهما كتب الكتّاب والأدباء، وتخيّل المتخيلون، وأبدع المبدعون وصفاً للجنة، فلن نجد مثل وصف القرآن الكريم ونبيه الكريم لحقيقتها؛ فقد وصفها الله -عز وجل- بأمور، منها:

1 – أبواب الجنة:

قال تعالى:{ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ } [ص: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى:{ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤ } [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

وقال تعالى:{ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ } [الزمر: ٧٣].

وقال صلى الله عليه وسلم :**(في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون)** (1).

وقال صلى الله عليه وسلم :**(من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته،**

(1) فتح الباري (6 / 378).

وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء) [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من أنفق زوجين [2]في سبيل الله نُودي في الجنة يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان)، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد يُدعى من تلك من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم، وأرجو أن تكون منهم) [3].

2 – قصور الجنة ، وخيامها:

لقد بنى الله - سبحانه - في الجنة مساكن طيبة للإقامة المطمئنة الخالدة، وقد سَمَّى الله -عز وجل- في مواضع من كتابه العزيز هذه المساكن بالغرفات، وهي القصور التي من فوقها غرف مبنية محكمة مزخرفة[4] عالية، كما أن الغرفة أكرم من البهو فيما اعتاد الناس في البيوت في هذه الحياة الدنيا عندما يستقبلون الضيوف، وأن في الجنة خياماً عجيبة فهي من درة مجوفة، وفي ذلك يقول - سبحانه - في آيات كثيرة، منها:

---

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم 46.
(2) زوجان: كل شيء قرن لصاحبه فهو زوجان.
(3) مسلم، ك الزكاة شرح النووي (7 / 115، 116).
(4) تفسير ابن كثير (4 / 46).

قال تعالى:{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾} [التوبة: ٧٢].

قال تعالى:{ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ } [سبأ: ٣٧].

وقال تعالى:{ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾} [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

وقال تعالى:{لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾} [الزمر: ٢٠].

وقوله سبحانه في خيامة الجنة:{حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾} [الرحمن: ٧٢] إشارة إلى معنى في غاية اللطف، وهو أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء، وإنما الأشياء تتحرك إليه؛ فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه، ويطاف عليهم بما يشتهونه؛ فالحور يكنّ في بيوت - والعرب يمدحون النساء الملازمات للبيوت- للدلالة على شدة الصيانة [1]، وعند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم تسير بهم للارتحال إلى المؤمنين خيام، وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور [2]، وقد

---

(1) تفسير المراغي (9/ 129).
(2) التفسير الكبير (29/ 118).

وصف رسولنا صلى الله عليه وسلم قصور الجنة، حين دلّنا على صفات بعض قصور أصحابه، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتْك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرّها ببيت في الجنة من قَصَب [1]، لا صخب [2] فيه ولا نصب**) [3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصراً، فقلت، لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك**)، فبكى عمر وقال: أي رسول الله، أو عليك يغار [4].

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم خيام الجنة بأنها درة مجوفة، طولها في السماء ثلاثون ميلاً، عن أبي بكر الأشعري عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**الخيمة درة مجوفة، طولها في السماء ثلاثون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون**) [5].

3- أشجار الجنة ، وثمارها:

وُصِفَتْ الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر، المتكاثف بالأعناب والنخيل والرمان؛ حيث الجمال الرائع، والأشجار المتدانية القطوف، الوفيرة الأثمار وقد حفل القرآن الكريم بشواهد لهذا الصنف من الخير والجمال، فقال تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾} [النبأ: ٣١،

(1) المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف.
(2) الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت والنصب: التعب.
(3) البخاري، ك مناقب الأنصار رقم 3821.
(4) مسلم، ك فضائل الصحابة شرح النووي (15/ 163).
(5) صحيح البخاري رقم 3243 فتح الباري (6/ 366).

٣٢].

وإلى جانب هذه الحدائق والأعناب هناك فاكهة كثيرة متنوعة، ومنها ثمر النخيل والرمان{فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾} [الرحمن: ٦٨]، كما أن من أشجار الجنة السدر المخضود الذي لا شوك فيه، بخلاف سدر الدنيا؛ فإنه كثير الأشواك، قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس، وأن من أشجار الجنة الطلح المنضود الذي هو يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، وإنه متراكم الثمر (1)، قال تعالى:{وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ (2) مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: طَيْرٍ وَفَٰكِهَةٍ -٣٣].

وفواكه الجنة لا تُحْجَبُ عن مؤمن، فضلاً عن كل معين يطلبه، وإذا كان قد ذُكِرَ بعض أنواع الفواكه فإن ما يحبه المؤمن من فاكهة يعرفها له أن يَدْعُوَ ليجد بغيته أمامه، قال تعالى:{ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾} [ص: ٥١]، وقال:{وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ} [الواقعة: ٢٠].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾} [المرسلات: ٤١ - ٤٣].

وأشجار الجنة دائمة العطاء؛ فهي ليست كأشجار الدنيا، تُعْطي في وقت دون وقت، وفصل دون فصل، بل هي دائمة الإثمار والظلال، وهي نعمة تطمئن لها النفس وتستريح (3)، قال تعالى:{مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى

(1) تفسير ابن كثير (4/ 253).
(2) الطلح: الموز: واحدتها طلحة.
(3) الحياة في القرآن الكريم (2/ 646).

وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾} [الرعد: ٣٥].

وقال سبحانه:{وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾} [الواقعة: ٣٢، ٣٣].

ووصف الله -عز وجل- أشجار الجنة بأنها ذات أغصان جميلة، وأنها شديدة الخضرة، وأن ثمارها قريبة دانية مذللة، ينالها أهل الجنة بيسر وسهولة (1).

قال تعالى:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾} [الرحمن: ٤٦ - ٤٨].

وقال عز وجل:{وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾} [الرحمن: ٦٢ - ٦٤].

وقال سبحانه:{مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن: ٥٤].

وقال:{فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾} [الحاقة: ٢٢، ٢٣].

ولقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أشجار الجنة بأوصاف عجيبة(2).

أ- الشجرة التي يسير الراكب فيها مائة عام:

وهي الشجرة التي ذكرت في قوله سبحانه:{وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾}

(1) المصدر نفسه (2/ 646).
(2) الحياة في القرآن (2/ 646).

[الواقعة: ٣٠]، وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن في الجنة شجرة الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم:{وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ} [(1)])، وعن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها) [(2)].

ب – سدرة المنتهى:

قال تعالى:{ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾} [النجم: ١٣ - ١٨].

وقال تعالى:{فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾} [الواقعة: ٢٨ - ٣٠]، فذكر في هذه الآيات ثلاثة أنواع من الأشجار منها السدر، وفي قوله:{فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ} مخضود؛ أي: منزوع الشوك [(3)]، وورد عن ابن عباس وغيره أنه قال: هو الموقر بالثمر [(4)]؛ أي: المليء بالثمر، والظاهر أن المراد هذا وهذا؛ فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة العكس من هذا، الأشواك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله [(5)].

---

(1) البخاري، بدء الخلق رقم 3252.
(2) مسلم، ك الجنة وصفة نعيمها على شرح النووي (17/ 167).
(3) لسان العرب (3 / 163).
(4) البعث والنشور للبيهقي ص172.
(5) تفسير ابن كثير (4 / 288).

ج – شجرة طوبى:

ومن أشجار الجنة شجرة تسمى (طوبى)، وهي كما تبين من وصفها شجرة عظيمة تصنع ثياب أهل الجنة؛ فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال له: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال:(طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يَـرَني). وقال له رجل: وما طوبى؟ قال:(شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها) [1].

وجميع أشجار الجنة لها ظل ظليل، كما قال سبحانه:{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾} [النساء: ٥٧]، والمؤمن يكثر حظه من أشجار الجنة بالإكثار من سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لقيت إبراهيم ليلة أُسْرِيَ بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك أن الجنة أرض طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) [2].

وسيقان أشجار الجنة من ذهب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب) [3].

---

(1) الأكمام: جمع الكم، وهو القشر، ولكل شجرة مثمرة كم وهو برعومته سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم 1985.
(2) صحيح الجامع الصغير (5 / 34) رقم 5028.
(3) صحيح الجامع الصغير (5 / 150).

الجنة خالدة لا تفنى ولا تبيد، وأنواع نعيمها دائمة لا تنقطع ولا تمنع، وأهلها فيها خالدون، لا يرحلون عنها ولا يظعنون، ولا يبيدون ولا يموتون [1].

قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢} [النساء: ١٢٢].

وقال عز وجل:{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨} [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

وقال سبحانه:{إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧} [الدخان: ٥١ - ٥٧].

4 – درجات الجنة:

قال تعالى:{وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥} [طه: ٧٥].

والجنة درجات ضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

قال تبارك وتعالى:{مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ

---

(1) الحياة في القرآن (2 / 648).

جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾} [الإسراء: ١٨ - ٢١]؛ فبين الله -سبحانه وتعالى- أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطاءه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر، ثم قال:{ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾} [الإسراء: ٢١]، فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا، وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا(1).

وتفاضل أنبيائه - عليهم السلام - كتفاضل سائر عباده المؤمنين، قال تعالى:{تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ } [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى:{ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾} [آل عمران: ١٦٣]، وهذه الدرجات تختلف باختلاف العمل؛ فكلما كان عمل الإنسان أكثر وموافقاً للسنة كان أجره أكثر ودرجته في الجنة أعلى، قال تعالى:{ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأحقاف: ١٩].

وأهل الدرجات العلى يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم؛ فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافون جنتين:{ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ} [الرحمن:

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر ص155.

٤٦]، ووصفهما ثم قال:{وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾} [الرحمن: ٦٢]؛ أي: دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة، ومن تَأَمَّلَ صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخراً علم أنهما دون الأوليين في الفضل؛ فالأوليات للمقربين، والأخريات لأصحاب اليمين.

قال القرطبي:" لمَّا وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما، فقال في الأوليين:{فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾} [الرحمن: ٥٠].

وقال في الأخريين:{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾} [الرحمن: ٦٦]؛ أي: فوارتان بالماء، ولكنهما ليستا كالجاريتين؛ لأن النضخ دون الجري، وقال في الأوليين:{فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾} [الرحمن: ٥٢] معروف وغريب، رطب ويابس، فعم ولم يخص، وفي الأخريين:{فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾} [الرحمن: ٦٨]، ولم يقل: من كل فاكهة زوجان.

وقال في الأوليين:{مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن: ٥٤] وهو الديباج وقال في الأخريين:{مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾} [الرحمن: ٧٦]، والعبقري: الوشي، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي، والرفرف كسر الخباء، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء فيها أفضل من الخباء، وقال في الأوليين في صفة الحور العين:{كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٥٨] وفي الأخريين:{فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾} [الرحمن: ٧٠] وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان.

وقال في الأوليين:{ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾} [الرحمن: ٤٨]، وفي الأخريين: {مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾} [الرحمن: ٦٤]؛ أي: خضراوات كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأوليين بكثرة الأغصان، والأخريين

بالخضرة وحدها [1].

وقد بَيَّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم درجات الجنة فقال صلى الله عليه وسلم :(إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءَون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لِتَفَاضُلِ ما بينهم)، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قالوا:(بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) [2].

وأعلى درجات الجنة هي الفردوس الأعلى، وقد ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى:{ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ } [المؤمنون: ١٠، ١١]، وبَيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة هذه الدرجة فقال صلى الله عليه وسلم :(من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها)، فقالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال:(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة) قال راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه: فوقه عرش الرحمن، ومنه تُفَجَّرُ أنهار الجنة[3].

والمقصود بـ (أوسط الجنة)؛ أي: عرضاً، و(أعلى الجنة) طولاً، فهذا يدل أن الفردوس على مثل الربوة أو القبة، ويدل أن الجنة

(1) التذكرة للقرطبي ص440، اليوم الآخر الجنة والنار الأشقر ص159.
(2) البخاري، ك بدء الخلق رقم 3083.
(3) البخاري، ك التوحيد رقم 6987.

مقببة[1]. قال ابن كثير: (ولا تكون هذه الصفة إلا في المقبب، فإن أعلى القبة هو أوسطها؛ فالجنة -والله أعلم- كذلك) [2].

وأعلى درجات الفردوس هي الوسيلة، وهي منزلة لشخص واحد فقط هو نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ؛ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الوسيلة حلت له الشفاعة)[3].

5 – أنهار الجنة:

قال تعالى:{وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ} [الكهف: ٣١].

وأنهار الجنة ليست ماء فحسب، بل منها الماء، ومنها اللبن، ومنها الخمر، ومنها العسل المُصَفَّى، قال تعالى:{مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾} [محمد: ١٥].

وذكر - سبحانه - هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص553.
(2) صفة الجنة للحافظ ابن كثير ص31 من كتاب البداية ولنهاية.
(3) مسلم، ك الصلاة، رقم 384.

الآفة التي تَعْرِض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يَصِيْرَ قارصاً، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شرابها، وآفة العسل عدم التصفية [1]، وَتَأَمَّل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم وهو الماء وهذا لقوتهم وغذائهم وهو اللبن وهذا للذتهم وسرورهم وهو الخمر وهذا لشفائهم ومنفعتهم وهو العسل[2].

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر، قال تعالى:{إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]؛ فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(هو نهر في الجنة)، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :(رأيت نهراً في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله) [3].

6 – عيون الجنة:

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعم واللذة قال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾} [الحجر: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾} [الدخان: ٥١، ٥٢].

وبعض هذه العيون يخرج ماؤها ثم يجري على أرض الجنة، قال تعالى:{فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾} [الغاشية: ١٢]، وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف مقام ربه، قال تعالى:{فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾}

(1) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص218.
(2) المصدر نفسه ص219.
(3) البخاري، ك التفسير، باب سورة الكوثر رقم 4680.

[الرحمن: ٥٠].

وقال سبحانه في وصف الجنتين اللتين دونهما:{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾} [الرحمن: ٦٦]، والنضخ: فوران الماء، وهو أبلغ من النضح، وقد ذكر الله تعالى لنا أسماء ثلاثة منها، وهي:

أ – عين الكافور:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾} [الإنسان: ٥، ٦]؛ فالأبرار يشربون ماء ممزوجاً بالكافور، بينما يشربه عباد الله المقرَّبون صرفاً لا خلط فيه[1]، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة [2].

ب – عين السلسبيل:

قال تعالى:{وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا} [الإنسان: ١٧، ١٨]؛ أي: ويسقون - يعني الأبرار - أيضًا من هذه الأكواب{كَأۡسٗا}؛ أي: خمراً{كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا}؛ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار؛ ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة، ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منها صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد [3].

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال:

(1) اليوم الآخر في القرآن الكريم العظيم والسنة المطهرة ص 559.
(2) تفسير ابن كثير (4/ 454).
(3) المصدر نفسه.

السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلت:(ألا تقول يا رسول الله)، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي) فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أينفعك شيء إن حدثتك؟) قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال:(سل) فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(هم في الظلمة دون الجسر)، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال:(فقراء المهاجرين)، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال:(زيادة كبد النون)، قال: فما غذاؤهم على إثرها قال:(يُنْحَر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها)، قال: فما شرابهم عليه؟ قال:(من عين فيها تسمى سلسبيلا)، قال:(صدقت)، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال:(ينفعك إن حدثتك؟) قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال:(ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فَعَلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله) قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به) [1].

---

(1) مسلم، ك الحيض رقم 315.

ج – عين التسنيم:

قـــــال تعـــــالى:{إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾} [المطففين: ٢٢ - ٢٨].

قال ابن عباس: تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين، ويمزج لأصحاب اليمين (1).

7 – نور الجنة:

والجنة لها نور كما قال تعالى:{لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾} [مريم: ٦٢].

في قوله:{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}؛ أي: في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلاً ونهاراً، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرف مضيها بأضواء وأنوار (2).

وقد قال تعالى:{مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾} [الإنسان: ١٣]، والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن البكرة والعشية تُعْرَفان بنور يظهر من قبل العرش (3). وقال القرطبي: (قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب)، ذكره أبو

(1) البدور السافرة في أحوال الآخرة ص 544.
(2) تفسير ابن كثير (3/ 129).
(3) مجموع الفتاوى (4/ 312).

الفرج ابن الجوزي [1]. وتربة الجنة بيضاء كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث؛ فعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء، مسك خالص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صدق) [2]، درمكة البيضاء: الدقيق الأبيض [3].

8 – ريح الجنة:

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها، وهذه الرائحة يجدها المؤمن من مسافات شاسعة [4]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين [5] عاماً).

9 – تربة الجنة:

عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله، مم خلق الخلق؟ قال: (من ماء)، قلنا: الجنة ما بناؤها؟ قال: (لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الإذفر، وحصباؤها الدر الياقوت، وتربتها الزعفرانة، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، ولا يبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه) [6].

(1) الجنة والنار للأشقر ص174.
(2) مسلم، ك الفتن، رقم 2928.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص 562.
(4) اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر ص 175.
(5) صحيح الجامع (5/ 337) رقم 6333.
(6) مشكاة المصابيح (3/ 89) ورقمه 5630 وقال محقق المشكاة: وله طرق وشواهد وأورده في السلسلة الصحيحة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أُدْخِلت الجنة، فإذا فيها جنادل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**) [1].

10 – دواب الجنة، وطيورها:

في الجنة دواب وطيور كثيرة، يركبها أهل الجنة، ويأكلون منها، ويتمتعون بالنظر إليها، قال تعالى:{يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا} [مريم: ٨٥].

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: لا والله ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة [2]، وقد ثبت عن عبد الله بن عمرو - وهو ما له حكم الرفع - أن في الجنة إبلاً وخيلاً، حيث قال: في الجنة عتاق الخيل، وكرائم النجائب، ويركبها أهلها [3].

وعن أبي مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**) [4]. وهذه الرواية لم تنص أنها في الجنة، ولكن جاءت رواية أخرى لهذا الحديث عند الحاكم بزيادة (في الجنة) حيث قال صلى الله عليه وسلم :(**لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة**) [5]، وقال تعالى: {وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}

---

(1) البخاري (1/ 458، 459).
(2) تفسير ابن كثير (3/ 137) بتصرف.
(3) صفة الجنة لابن كثير ص 205 قال المحقق: رجاله ثقات.
(4) مسلم ك الإمارة رقم 1892.
(5) السلسلة الصحيحة للألباني (2/ 227).

[الواقعة: ٢١]؛ أي: يأكلون من لحم طير يشتهونه. وعن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الكوثر؟ قال:(**ذاك نهر أعطانيه الله – يعني في الجنة – أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر**)، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أكلتها أحسن منها**)(1).

11 – الجنة لا مثل لها ، وإنها فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال:

قال تعالى:{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [السجدة: ١٧].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم:{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}**) (2).

ولمن دخل الجنة ما يشاء من النعيم، وله كل يتمنى ويطلب، بل له فوق هذا بكثير قال تعالى:{وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾} [النحل: ٣٠، ٣١]، وقال تعالى:{لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥].

وما الظن بمكان موضع السوط أو القوس فيه خير من الدنيا وما فيها؟ فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(1) الترمذي، صفة الجنة رقم 2542، وحسنة جامع الأصول (10/ 467) وحسنة الأرناؤوط.
(2) البخاري، ك بدء الخلق رقم 3072.

وسلم :(موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) [1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب) وقال:(لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب) [2].

وما الظن بمكان الغمسة الواحدة فيه تنسى المعذَّب كل عذابه وشقائه في الدنيا؟! فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يُوتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم، هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا بن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط) [3].

سابعاً: أصحاب الجنة:

أصحاب الجنة هم المؤمنون المُوَحِّدُون الذين يعملون الصالحات مع إخلاص عظيم لله عز وجل، واستقامة على شريعته، ووفاء بعهودهم وعدم نقضهم لها، ووصلهم ما أمر الله بوصله، وخشيتهم لله، وخوفهم من سوء العذاب، وصبرهم لله، وإقامة الصلاة، والإنفاق سرًّا وعلانية، ودرئهم بالحسنة السيئة، قال تعالى:{أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا

---

(1) البخاري رقم 3078.
(2) البخاري، ك الجهاد والسير رقم 2640.
(3) مسلم ك صفة القيامة رقم 2807.

يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ١٩ - ٢٤] (1).

والجنة درجة عالية، والصعود إلى العلياء يحتاج إلى جهد كبير، وطريق الجنة فيه مخالفة لأهواء النفوس ومحبوباتها، وهذا يحتاج إلى عزيمة ماضية وإرادة قوية، قال صلى الله عليه وسلم :(**حُجِبَتْ النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره**) (2)، وهذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها صلى الله عليه وسلم من التمثيل الحسن، ومعناه: إما لا يُوْصِلُ الجنة إلا ارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما؛ فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات. وأمَّا المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة، والإحسان إلى المسيء، والصبر على الشهوات، ونحو ذلك (3).

1- معرفة أهل الجنة لمساكنهم:

قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ

---

(1) الجنة والنار للأشقر ص188.
(2) جامع الأصول على مسلم (10/ 521) رقم 8069 حسن صحيح.
(3) شرح النووي على مسلم (17/ 165).

﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾} [محمد: ٤ - ٦]؛ أي: إذا دخلوها يقال لهم: تفرقوا إلى منازلكم؛ فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا) [2].

2- هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟

تخاصم الرجال والنساء في هذا والصحابة أحياء؛ ففي صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: (اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر في الجنة). وفي رواية: إمّا تفاخروا، وإمّا تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فسألوا أبا هريرة فاحتج أبو هريرة على أن النساء في الجنة أكثر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :(إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب درّى في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب)[3].

والحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث:(رأيتكن أكثر أهل

(1) تفسير القرطبي (16/ 153).
(2) البخاري، ك المظالم والغصب رقم 2308.
(3) مسلم، ك الجنة رقم 2834.

النار) والجواب لا يلزم من كونهن أكثر أهل النار أن يَكُنَّ أقل ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني [1]؛ فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار، وأكثر أهل الجنة، وبذلك يَكُنَّ أكثر من الرجال وجوداً في الخلق [2].

3- أطفال المؤمنين:

قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾} [الطور: ٢١].

فهذه الآية تدل بعمومها على أن ذرية المؤمنين معهم في الجنة؛ لأن الطفل يولد على الفطرة - وهي الإسلام، فإذا مات فهو ميت على الإيمان، فيكون مع والديه في الجنان. وقال تعالى: {كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾} [المدثر: ٣٨، ٣٩]. قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: (هم أطفال المسلمين، لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم) [3].

ودخول أطفال المسلمين الجنة ثابت في السنُّة، وذكر الكتاني أنها بلغت حد التواتر [4]؛ فعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه مات لي ابنان فهل أنت محدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تُطَيِّبُ به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم: صغارهم دعاميص [5] الجنة يلتقي أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذه بثوبه - أو قال: بيده - كما آخذ أنا بضفة ثوبك هذا، فلا يتناهى - أو قال: فلا ينتهي - حتى

(1) فتح الباري (6/ 325).
(2) الجنة والنار للأشقر ص195.
(3) التذكرة للقرطبي (2/ 317) اليوم الآخر للمطيري ص 573.
(4) نظم المتواتر ص 127.
(5) دعاميص: جمع دعموص، أي: صغار أهلها.

يدخله وأباه الجنة [1]. وعن البراء رضى الله عنه قال: لما توفي إبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن له مرضعاً في الجنة) [2].

وقال صلى الله عليه وسلم :(ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلاَّ تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل) [3]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام) [4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أطفال المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يدفعوه إلى آبائهم يوم القيامة) [5].

4- اجتماع أهل الجنة وحديثهم:

من أحاديثهم ما قاله سبحانه:{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾} [الطور: ٢٥ - ٢٨].

ومن أحاديثهم تذكرهم أهل الكفر الذين كانوا يشككونهم بالله واليوم الآخر، قال تعالى:{وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا

(1) مسلم ك البر والصلة رقم 2635.
(2) البخاري، ك الجنائز رقم 1316.
(3) سنن ابن ماجه رقم 1604 سنده حسن.
(4) السلسلة الصحيحة (2/ 156) رقم 603.
(5) السلسلة الصحيحة (3/ 451) رقم 1467.

هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾}

[الصافات: ٣٩ - ٦١].

تَأَمَّل ما في هذه الآيات من النعيم والكرامة؛ فقد بَيَّنَ الله تعالى في هذه الآية أنهم يجتمعون يوم القيامة، ويُعْطَون من الفواكه، وهم على السرر متقابلين، يتجاذبون أطراف الحديث، وفي أثناء حديثهم يُخدمون كالملوك؛ فعندهم الفواكه، ويطاف عليهم بالخمر اللذيذة، وعندهم الحور العين، ثم يبدأ الحوار، فيتذكر أحدهم صاحباً له كان يأمره بالمعاصي وينكر البعث، فينادي مناد: هل تريد أن تعرف حاله؟ فيأخذ هذا الرجل؛ ليريه ذلك الصاحب وقد استقر في قلب الجحيم، يتقلب على الجمر لا يموت ولا يحيى، فيخاطبه بسؤال توبيخ واستنكار: هل نحن لا نموت إلا موتتنا الأولى ولن نبعث ولن نعذب؟! ثم ينظر لحاله والنعيم الذي هو فيه، وينظر إلى حال هذا الذي أصبح من حطب جهنم، ويقارن بين الحالين، فيرى البون الشاسع والفرق الواسع، فيقول لنفسه وقد امتلأ سروراً وفاض غبطة:{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ } [1].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص 571.

5- أعلى أهل الجنة:

الأنبياء، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون.

قال تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩} [النساء: ٦٩]؛ أي: معهم في الجنة وإن لم يكونوا معهم في الدرجة [1].

وعن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أُخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذة عينيك، فيقول: رضيت ربي. قال ربي، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر)، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل{ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ} [السجدة: ١٧] [2].

6 – أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة:

قال تعالى:{وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن

(1) المصدر نفسه ص 572.
(2) مسلم، ك الإيمان، رقم 189.

تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾} [الأعراف: ٤٣].

وقال تعالى:{ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾} [الزخرف: ٧٢].

وقال تعالى:{ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾} [المؤمنون: ١٠، ١١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما منكم من أحد إلاَّ له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله)، فذلك قوله تعالى:{أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} (1).

7 – زوجة المؤمن إذا ماتت على الإيمان مع زوجها المؤمن في الجنة:

قال تعالى:{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾} [الرعد: ٢٣]، وهم في الجنات مُنَعَّمُون مع الأزواج، يتكئون في ظلال الجنة مسرورين فرحين، قال تعالى:{هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾} [يس: ٥٦]، وقال تعالى:{ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ} [الزخرف: ٧٠] (2).

8 – مؤمنو الجن يدخلون الجنة:

مؤمنو الجن يُثابون على الطاعة ويدخلون الجنة؛ فبعد أن تكلم الله - عز وجل- عن الإنس والجن في سورة الأنعام قال تعالى: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾} [الأنعام: ١٣٢]، وقوله:{لِكُلٍّ} يعود على الإنس والجن، فدل على أن لهم

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص584.
(2) المصدر نفسه ص582.

درجات في الجنة بحسب عملهم (1).

وقوله تعالى في الحور العين:{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٥٦]، فدل على أن الجن يدخلون الجنة، ويَتَمَتَّعُون بالحور العين كما يحصل للإنس (2).

9 – ضحك أهل الجنة من أهل النار:

كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين، ويسخرون ويهزؤون بهم، فإذا جاء يوم القيامة انقلب الحال، وتبدلت الأحوال، فإذا بالمؤمنين وهم في النعيم المقيم ينظرون إلى المجرمين فيضحكون منهم ويهزؤون بهم(3)، قال تعالى:{إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾} [المطففين: ٢٢ - ٣٦] (4).

ثامناً سادة أهل الجنة:

1 – الأنبياء والرسل:

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص590.
(2) المصدر نفسه ص590.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص582.
(4) المصدر نفسه ص583.

سيد أهل الجنة هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم إخوانه من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى:{ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾} [ص: ٤٥ - ٥٠].

وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾} [الأنعام: ٨٢ - ٩٠].

وصفهم الله بالهداية والصلاح والاجتباء والإحسان وبين في آيات كثيرة أن المحسن جزاؤه الجنة{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾} [يونس: ٢٦].

وهذا معلوم من الدين بالضرورة، بل العقل يدل على ذلك؛ فإن الله تعالى لا يرسل مُبلّغاً عنه إلا وهو في الغاية القصوى من الكمال

البشري خلقاً وخُلقاً وديناً وصلاحاً، وما كان الله ليعذب من دل الناس عليه [1].

2- سادات الصحابة:

الجنة درجات ومراتب، وأهلها متفاوتون في درجاتهم، وأعلى الدرجات فيها سادة أهل الجنة؛ فسيد كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر رضي الله عنه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم :(أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين) [2]، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) [3]، ونص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن عشرة من أصحابه في الجنة؛ فقد قال:(أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) [4]، وإسناده صحيح، وقد نص الرسول صلى الله عليه وسلم على مجموعة أخرى من الصحابة في الجنة منهم:

- جعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب:

قال صلى الله عليه وسلم :(دخلت الجنة البارحة، فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير) [5]، وقد صَحَّ أن

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص585.
(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (2 / 487) رقم 824.
(3) المصدر نفسه (2 / 438). رقم 797.
(4) صحيح الجامع الصغير (1 / 70) رقم 50.
(5) صحيح الجامع الصغير (3 / 140) رقمه 3358.

الرسول صلى الله عليه وسلم قال:(سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب) [1].

- عبد الله بن سلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة) [2].

- زيد بن حارثة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة) [3].

- زيد بن عمرو بن نفيل:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين).

- حارثة بن النعمان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(دخلت الجنة، فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر) [4].

- بلال بن أبي رباح:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(دخلت الجنة، فسمعت خشفة بين

---

(1) صحيح الجامع (3 / 219) رقمه 3569.
(2) المصدر نفسه (4 / 25) رقمه 3870.
(3) المصدر نفسه (3 / 141) رقمه 3362.
(4) صحيح الجامع الصغير (3/142) رقمه 3366.

يدي، قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال يمشي أمامك) [1].

3- سيدات نساء أهل الجنة:

مريم بنت عمران هي سيدة النساء الأولى، وأفضل النساء على الإطلاق؛ فقد روى الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران، فاطمة، وخديجة، وآسية امرأة فرعون) [2]، وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرح به القرآن:{وَإِذْقَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾} [آل عمران: ٤٢].

وهؤلاء الأربعة نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات؛ فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربها في قوله:{أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ} [التحريم: ١٢].

وخديجة التي آمنت بالرسول صلى الله عليه وسلم من غير تردد، وثبّتته، وآسته بنفسها ومالها، وقد بَشَّرَها ربها في حياتها بقصر في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب [3]؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها منّي، وبَشِّرْها

(1) المصدر نفسه (3/142) رقم 3364.
(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (3/410) رقم 1424.
(3) الجنة والنار للأشقر ص211.

ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب) [1]، وآسية امرأة فرعون هان عليها ملك الدنيا ونعيمها، فكفرت بفرعون وألوهيته، فَعَذَّبها زوجها، فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها، قال تعالى:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [التحريم: ١١].

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، الصابرة المحتسبة، التقية الورعة، فرع الشجرة الطاهرة، وتربية معلم البشرية [2].

وأمهات المؤمنين- أيضاً- من سيدات الجنة؛ لأنهن مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

وعن عائشة قالت: لمّا أُمِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي فقال:(إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك) قالت: قد علم أن أبويّ لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله عز وجل قال:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا

(1) البخاري، ك المناقب فتح الباري (7/133).
(2) الجنة والنار للأشقر ص212.

﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾} [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، قالت: فقلت: في أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله مثل ما فعلت [1].

وقال صلى الله عليه وسلم :(المرأة لآخر أزواجها في الآخرة)، وفي رواية:(جمع بينهما في الجنة) [2]، وعليه فتكون زوجاته صلى الله عليه وسلم معه في الجنة، ولا يلزم من هذا أن يكن معه في نفس الدرجة؛ لأنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم في منزلة الوسيلة التي لا تنبغي إلا لرجل واحد، ولكنهن قريبات منه صلى الله عليه وسلم ولا يلزم من هذا - أيضاً - أن تكون أمهات المؤمنين خير من كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وقد تواترت الأحاديث على أفضلية أبي بكر على جميع الصحابة بما فيهم أمهات المؤمنين [3]، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنه [4].

تاسعاً: فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا:

قارن المولى -عز وجل- بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبيّن أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان الآخرة، وما

(1) البخاري رقم 4508.
(2) السلسلة الصحيحة للألباني (3/ 275).
(3) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص202.
(4) المصدر نفسه ص203.

ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها، ونجد ذم الدنيا، ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع [1]، منها قوله تعالى:{ لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ } [آل عمران: ١٩٨].

وقولــــه:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾} [طه: ١٣١].

وقولـــه فـــي موضـــع ثالـــث:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾} [آل عمران: ١٤، ١٥]. وسر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا وجوه، منها:

1- متاع الدنيا قليل:

قال تعالى:{قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ} [النساء: ٧٧].

وقد صَوَّر لنا الرسول صلى الله عليه وسلم قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال:(**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار بالسبابة - في اليم فلينظر بم**

(1) الجنة والنار للأشقر ص223.

ترجع)[1]، ما الذي تأخذه الإصبع إذا غمست في البحر الخضم؟ إنها لا تأخذ منه قطرة، هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة، ولمَّا كان متاع الدنيا قليل فقد عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة، قال تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾} [التوبة: ٣٨].

2- هو أفضل من حيث النوع:

قال تعالى:{وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾} [الأعلى: ١٧]، {وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} [طه: ١٣١]؛ فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم أفضل مما في الدنيا، قال تعالى:{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} [الإنسان: ٢٠] بل لا وجه للمقارنة؛ فإن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها؛ فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) [2]، وقال صلى الله عليه وسلم : (لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) [3]. وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا؛ لتعلم فضل ما في الجنة على ما في الدنيا، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم :(لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً،

---

(1) مسلم (4/ 2193) رقم 2858.
(2) البخاري، ك الجهاد والسير رقم 3078.
(3) البخاري رقم 2640.

ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) [1].

وقال تعالى:{ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ } [الزخرف: ٧٠]؛ أي: تفرحون، والفرح في القلب [2].

3- الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها:

فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول والروائح الكريهة، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله، ونساء الدنيا يحضن ويلدن، والحيض أذى، والجنة خالية من ذلك كله، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يبصقون ولا يتفلون، وخمر الجنة كما وصفها خالقها:{ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾} [الصافات: ٤٦]، وماء الجنة لا يأسن، ولبنها لا يتغير طعمه{أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ} [محمد: ١٥]، ونساء أهل الجنة مُطَهَّراتٍ من الحيض والنفاس وكل قذورات نساء الدنيا، كما قال تعالى:{وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ} [البقرة: ٢٥].

وقلوب أهل الجنة صافية، وأقوالهم طيبة، وأعمالهم صالحة، فلا تسمع في الجنة كلمة نابية تُكدِّرُ الخاطر وُتَعَكِّرُ المزاج وتستثير الأعصاب؛ فالجنة خالية من باطل الأقوال والأعمال، {لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ } [الطور: ٢٣].

ولا يطرق المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا{لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾} [النبأ: ٣٥]، { لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗا } [مريم: ٦٢]، وقال تعالى:{لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾} [الغاشية: ١١] إنها دار

(1) البخاري رقم 2643.
(2) اليوم الآخر، في القرآن العظيم ص593.

الطهر والنقاء والصفاء الخالية من الأوشاب والأكدار، إنها دار السلام والتسليم{ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾} [الواقعة: ٢٥، ٢٦]؛ فأهل الجنة عند دخول الجنة لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًّا [1]، وصدق الله إذ يقول:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾} [الحجر: ٤٧].

4- نعيم الدنيا زائل، ونعيم الآخرة باق:

قال تعالى:{وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾} [العنكبوت: ٦٤]؛ ولذلك سمى الحق تبارك وتعالى ما زُيِّنَ للناس من زهرة الدنيا متاعاً؛ لأنه يتمتع به ثم يزول. وأما نعيم الآخرة فهو باق ليس له نفاد، قال تعالى:{ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ } [النحل: ٩٦]، قال تعالى:{ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ } [ص: ٥٤]، وقال:{أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا } [الرعد: ٣٥]، { لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾} [الحجر: ٤٨].

قد ضرب الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض، فيخضر ويزهر ويثمر، وما هي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته، فيذوب ويصفر، ثم تعصف به الرياح في كل مكان، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع، كلها تتلاشى وتنقضي؛ فالشباب يذوب ويذهب، والصحة والعافية تُبَدَّلُ هرماً ومرضاً، والأموال والأولاد قد تذهب

(1) فتح الباري (6/ 318) الجنة والنار للأشقر ص227.

قال تعالى: {وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾} [الكهف: ٤٥، ٤٦].

وأمـا الآخـرة فـلا رحيـل ولا فنـاء ولا زوال، قـال تعـالى: {وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [النحل: ٣٠، ٣١].

5- العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة:

يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران، قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾} [آل عمـران: ١٨٥].
وأما العمل للآخرة فلا يعقبه إلا الفوز بها (1).

ومن تكريم الله لهم أن الجنة تُقرَّبُ لهم، لا يُقرَّبون هم إلى الجنة، قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾} [الشعراء: ٩٠]، وقال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾} [ق: ٣١]، وقال تعالى: {وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾} [التكوير: ١٣]؛ أي: قربت (2).

عاشراً: نعيم أهل الجنة:

1- طعام أهل الجنة:

الجنة لا جوع فيها ولا عطش، قال تعالى: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص595.
(2) المصدر نفسه.

﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾} [طه: ١١٨، ١١٩].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس) [(1)]، وقد ذكر الله تعالى أنواعاً كثيرة من طعامهم، منها:

الفاكهة بجميع أنواعها:

قال تعالى:{وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾} [الواقعة: ٢٠]، ومن هذه الفاكهة العنب{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾} [النبأ: ٣١، ٣٢]، وهذه الفاكهة ليست بقليلة، بل هي كثيرة{لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ} [الزخرف: ٧٣].

ولا يتعب نفسه في إحضارها وجنيها، بل يطلب ذلك ويحضرها الخدم له{مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾} [ص: ٥١].

وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهيه؛ حتى تَكْمُلَ اللذة، فلا يأتونه بشيء لم يختره ولا يشتهيه:{وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾} [الواقعة: ٢٠، ٢١].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾} [المرسلات: ٤١ - ٤٣].

وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات كما يحصل في فواكه الدنيا، بل هي متوفرة دائماً، ولا تُمنع عن أصحاب الجنة أبداً{وَمَآءٍ

(1) مسلم، ك الجنة، رقم 2835.

مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ} [الواقعة: ٣١ - ٣٣]، وإذا اشتهى أن يقطف الفاكهة بنفسه فإنها لا تُعَسَّرُ عليه، بل تُذَلَّلُ له الأغصان وتنزل؛ حتى يأخذ منها ما شاء بلا تعب ولا عناء{وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾} [الإنسان: ١٤] وقال:{وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ} [الرحمن: ٥٤].

لحم الطير:

قال تعالى:{وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾} [الواقعة: ٢٠، ٢١]. وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الكوثر؟ قال:(**ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر**)، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أكلتها أحسن منها**) (1). وليس هذا فقط طعامهم بل لهم كل ما اشتهت أنفسهم ولَذَّتْهُ أعينهم{يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾} [الزخرف: ٧١].

2- شراب أهل الجنة:

وأما شرابهم فإنه شراب طهور طيب، لا كما يفعل بعض الضالين الذين يشربون النجاسة، فتجدهم يشربون الخمر، وبعضهم يشرب الدم المسفوح، وبعضهم يشرب العرق، وغيره من النجاسات والقاذورات. وأما أهل الجنة فشرابهم طاهر، طهور طيب، قال تعالى:{عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ

(1) جامع الأصول (10/ 467) وحسنه الترمذي.

شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾}[الإنسان: ٢١]، ومن هذه الأشربة:

العسل واللبن والماء:

قال تعالى:{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾} [محمد: ١٥].

الكافـــور:

قـــال تعـــالى:{إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾} [الإنسان: ٥، ٦].

الزنجبيـــل:

قـال تعـالى:{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا} [الإنسان: ١٧، ١٨].

أخبـر - سـبحانه - عـن مـزاج شـرابهم بشـيئين: بالكـافور فـي أول السورة، والزنجبيل في آخرها؛ فـإن فـي الكـافور من البرد وطيب الرائحة، وفـي الزنجبيل من الحرارة وطيب الراحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين، ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويُعَدَّل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موضع ذكر الكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها! فإن شرابهم مزج أولا بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب: أحدهما مُزِجَ بكافور، والثاني مُزِجَ

بزنجبيل [1].

التسنيم:

قال تعالى:{يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾} [المطففين: ٢٥ - ٢٨]. قال ابن عباس: (تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين، ويَمْزَج لأصحاب اليمين) [2].

الخمــر:

تكلم الله - تعالى - عن خمر الجنة في غير ما آية، ونفى عنه جميع آفات خمر الدنيا، قال تعالى:{بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾} [الواقعة: ١٨، ١٩]، وقال:{وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾} [الطور: ٢٢، ٢٣]، وقال:{وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ} [محمد: ١٥]؛ فخمر الدنيا [3]طعمها غير لذيذ، وتُحْدِثُ لمن شربها صداعًا، ويذهب بعقله، ويكثر عندها اللغو واللغط، بل لا تحلو إلاَّ بكثرة اللغو وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات، فلا يمتنع عن شيء منها، وكيف يمتنع وهو لا عقل له؟ فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة؛ فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يُصَدَّعون عنها ولا ينزفون؛ أي: لا تُذْهِب عقولهم، ولا لغو عندها، ولا إثم فيها [4].

---

(1) حادي الأرواح ص 224 لابن القيم.
(2) البدور السافرة في أحوال الآخرة
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص603.
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص604.

وقال تعالى:{يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾} [الصافات: ٤٥ - ٤٧].

وهذه الكأس من خمر الجنة، المعين: الجاري الكثير، ولون هذه الخمر بيضاء؛ أي: حسنة المنظر، وهي ذات{لَذَّةٍ}، والغول: صداع في الرأس، وقيل: وجع في البطن، وهي ليس فيها هذا ولا هذا{يُنزَفُونَ} أي لا يسكرون منها [1]؛ فلا تُذْهِبُ عقولهم، وتبقى لذاتها، والخمر هي المقصود بقوله تعالى:{رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ} [المطففين: ٢٥]، قال تعالى:{يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾} [المطففين: ٢٥ - ٢٧]، والرحيق: هي الخمر الصافية، ومن لذة الخمر أنها تختم بالمسك [2]، ولعل أعظم مُنَغِّصات خمر الدنيا أن من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة، وقال صلى الله عليه وسلم : (من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة)، قال صلى الله عليه وسلم :(من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب) [3] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من خضر الجنة) [4].

3 – آنية طعامهم وشرابهم:

(1) التسهيل لابن جزي (2/ 235) المصدر نفسه ص604.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص604.
(3) البخاري، ك الأشربة رقم 5253.
(4) سنن أبي داود، ك الزكاة رقم 1682 سنده حسن.

آنية طعام أهل الجنة من ذهب وفضة، قال تعالى:{ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ [1] وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [الزخرف: ٧١].

(الصحاف):جمع صحفة، وهي القصعة وزناً ومعنى، وهي من ذهب كما هو صريح الآية، (والأكواب): جمع كوب، وهو الكوز المستدير الرأسي الذي لا عروة له ولا خرطوم [2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحد منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يسقمون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة - يعني العود - ورشحهم المسك)[3].

وقال تعالى:{ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ } [الواقعة: ١٨، ١٩]، (أباريق) جمع إبريق، (والأكواب): الكبيرة ذات العرى والخراطيم [4]، (والكأس) : هو الكوب إذا كان فيه شراب [5]، وهذا الكأس مليء بالشراب كما قال تعالى:{ وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) } [النبأ: ٣٤]؛ أي: مليئة مترعة متتابعة، وهذا من كمال النعيم، فلا ينقصهم شيء، حتى

(1) أكواب: أي: من ذهب.
(2) لسان العرب (1 / 729) حادي الأرواح ص233.
(3) البخاري، ك بدأ الخلق رقم 3073.
(4) صفة الجنة لابن كثير ص113.
(5) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص729.

الكؤوس مليئة، وقال تعالى:{وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾} [الإنسان: ١٥، ١٦]. (القوارير) :الزجاج؛ أي: هي في صفاء الزجاج، وهي من فضة، وهذا ما لا نظير له في الدنيا[1].

وهي معدة على قدر كفاية ولي الله في شربه، لا تنقص عن كفايته شيء ولا تزيد؛ فقد قدروها تقديراً، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن ربه لنقص التذاذه، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي، وهذا يدل على الاعتناء والشرف [2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة) [3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) [4].

4- لباس أهل الجنة، وحليهم:

لا عري في الجنة قال تعالى:{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾} [طه: ١١٨ - ١١٩].

وقال صلى الله عليه وسلم :(من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه،

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص609.
(2) صفة الجنة لابن كثير ص103 بتصرف.
(3) متفق عليه البخاري رقم 5110 مسلم 2067.
(4) البخاري رقم 4597، مسلم رقم 180.

ولا يفنى شبابه) [1]، ولهم أفضل أنواع اللباس، فمن ذلك:

– الحريــر:

بأنواعه الرقيق منه والغليظ، قال تعالى:{وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا} [الإنسان: ١٢].

وقال تعالى:{ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾} [الكهف: ٣١].

وقال سبحانه:{ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾} [الدخان: ٥٣].

(والسندس): ما رق من الديباج والحرير، (والإستبرق): ما غلظ منه، وقال الزجاج: (هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتلذذ به) [2].

وقال تعالى:{عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ} [الإنسان: ٢١]. تأمَّلْ ما دلت عليه لفظة {عَــالِيَهُمْ} من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمل ظاهرهم، ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال [3].

وأما حليهم وأساورهم فهي كالتالي:

الذهب:

---

(1) مسلم، ك الجنة رقم 2836.
(2) حادي الأرواح ص 237.
(3) المصدر نفسه ص 238.

قال تعالى:{ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا } [الحج: ٢٣].

الفضة:

{عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾} [الإنسان: ٢١].

اللؤلؤ:

قال تعالى:{ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾} [فاطر: ٣٣] فأساور أهل الجنة بعضها من الفضة وبعضها من ذهب وبعضها من لؤلؤ قال تعالى:{ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } [الحج: ٢٣] [1].

5- فُرُش أهل الجنة:

قال تعالى:{ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾} [الرحمن: ٥٤]؛ ففرش أهل الجنة باطنها من حرير، فإذا كان هذا باطنها، فكيف هو ظاهرها؟ وهذه الفرش عالية، لها سُمك وحشو بين البطانة والظهارة كما قال تعالى:{ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾} [الواقعة: ٣٤].

6- بسط أهل الجنة:

قال تعالى:{ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾} [الغاشية: ١٦] (والزرابي): جمع زوربية، وهي البسط [2]، وهي مبثوثة على شكل متسق ومتكامل، وقال تعالى: { مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾} [الرحمن: ٧٦].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص 611.
(2) لسان العرب (1/ 447).

"(لعبقري): البسط الجياد، (والرفرف): رياض الجنة [1].

7- الوسائد:

قال تعالى:{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾} [الغاشية: ١٥، ١٦].

(النمارق) جمع نمرقة، وهي الوسادة، وهي التي توضع تحت الرأس، وقيل: المساند، وهي التي توضع خلف الظهر أو على الجنب وقد يعمهما اللفظ [2].

وهذه المخاد والوسائد مصفوفة ومعدة للاستناد إليها دائماً، وترتيب الوسائد وصفها أجمل للناظر من المبعثرة، وهكذا وسائد أهل الجنة، فينعمون حتى بالنظر [3].

8- سرر وأرائك أهل الجنة:

قال تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ} [الطور: ٢٠]

(السرر) : جمع سرير، وهو الذي يُجْلَسُ عليه [4].

وذكر الله - تعالى - لهذه السرر ثلاث صفات:

* قال تعالى:{سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ} فالسرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيد عن بعض.

* قال تعالى:{عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾} [الواقعة: ١٥، ١٦]. موضونة؛ أي: مرصعة ومتقاربة ومنسوجة بقضبان الذهب

(1) البعث والنشور للبيهقي ص183.
(2) صفة الجنة لابن كثير ص123.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص613.
(4) لسان (4/361) ، اليوم الآخر في القرآن العظيم ص614.

مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد [1].

* قال تعالى: {فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣)} [الغاشية: ١٣] [2].

* وقال تعالى: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: ٣١].

{مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١)} [ص: ٥١].

{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)} [الإنسان: ١٣].

{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} [المطففين: ٢٣، ٢٤].

{فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥)} [المطففين: ٣٤، ٣٥]{والأرائك}: جمع أريكة.

قال ابن عباس: (لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة) [3].

وقال مجاهد (هي الأسرة في الحجال) [4]، (والحجال): القبة من القماش تكون على السرير مثلما يضع للعروس على سريرها من ضرب الستور والأقمشة على شكل القبة وتُعلَّقُ فوق السرير [5]؛ فالأريكة سرير عليه الستور، يخلو به المؤمن بحِبِّه [6].

9 – خدم أهل الجنة:

قال تعالى: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ} [الواقعة: ١٧، ١٨] وقال تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا} [الإنسان:

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص614.
(2) المصدر نفسه ص614.
(3) البعث والنشور للبيهقي ص182.
(4) المصدر نفسه ص182.
(5) لسان العرب (11 / 144).
(6) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص615.

١٩].

يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة: {مخلدون}؛ أي: على حالة واحدة مُخَلَّدُون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، وقوله تعالى:{إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا} [الإنسان: ١٩]. أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم وصباحة، وجوههم وحسن ألوانهم، وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا منثوراً، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن (1).

10 – سوق أهل الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً)(2).

والمراد بالسوق مجمع لهم، يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة؛ أي: مقدار كل جمعة؛ أي: أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع؛ لفقد الشمس والليل والنهار (3).

11 – سماع أهل الجنة:

(1) تفسير ابن كثير (4 / 456).
(2) مسلم، ك الجنة رقم 2833.
(3) النووي على مسلم (17 / 170).

قـــــال تعـــــالى:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٖ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾} [الروم: ١٥].

وقال تعالى:{ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾} [الزخرف: ٧٠].

قال يحيى بن أبي كثير: (الحبرة: اللذة وسماع الغناء) [1].

وقال تعالى:{إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾} [يس: ٥٥].

قال ابن عباس رضى الله عنه: (شغلهم بسماع الأوتار) [2].

وقوله:{فَاكِهُونَ} من الفكاهة المزاح، والكلام الطيب، والمُتَفَكّه المتنعم [3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصوات لم يسمع الخلائق مثلها، يقلن: نحـن الخالـدات فـلا نبيـد، ونحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن الراضيات فلا سخط، طوبى لمـن كـان لنا وكنا له) [4].

وقـال رسول الله صـلى الله عليـه وسلم :(إن أزواج أهـل الجنـة ليغنـين أزواجهن بأحسن أصـوات مـا سـمعها أحـد قـط، وإن ممـا يغنـين: نحـن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن ممـا يغنـين بـه: نحـن الخالـدات فـلا يمتنـه، نحـن الآمنـات فـلا يخفنـه، نحـن المقـيمات فلا يظعنه) [5].

(1) البعث والنشور للبيهقي ص211 حادي الأرواح ص291.
(2) تفسير ابن كثير (3 / 575).
(3) تفسير القرطبي (15 / 31).
(4) صفة الجنة لابن كثير ص137 سنده صحيح بشواهد.
(5) صحيح الجامع الصغير للألباني (2 / 48) رقم 1557.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان، جئنا لأزواج كرام) [(1)].

12 – لهم ما اشتهت نفوسهم:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾} [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢].

وقال تعالى:{ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾} [يس: ٥٧].

وقال جل ذكره:{ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾} [الفرقان: ١٦].

وقال تعالى:{لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [الزمر: ٣٤].

وقال تعالى:{يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾} [الزخرف: ٧١].

13– الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الجنة:

الدنيا تذم إذا كانت شاغلاً عن الآخرة، أما إذا جعلها العبد معبراً ومدخلاً لنيل الآخرة فالأمر ليس كما يظن بعض الناس، وانظر إلى الصالحين من قوم قارون عندما أنسته أمواله الآخرة قالوا له:{وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾}

(1) البعث والنشور للبيهقي ص211.

[القصص: ٧٧]، فلم يأمروه بترك الدنيا كلها، بل قالوا له:{وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} وأقرّهم رب العزة على هذه الكلمة، وَسَطَّرَها في كتابه عنوانا لمنهج رباني [1].

وقال تعالى:{قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾} [الأعراف: ٣٢].

الحادي عشر: الحور العين:

1- جمال وحسن حور العين:

شَبَّه الله تعالى الحور العين بثلاثة تشبيهات:

قال تعالى:{وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾} [الصافات: ٤٨، ٤٩].

قيل: إنه بيض النعام المكنون في الرمل، وهو عند العرب أحسن ألوان البياض، وقيل: المراد به اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفه [2].

قال تعالى:{وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾} [الواقعة: ٢٢، ٢٣]، المكنون: أي: المخبأ، الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس ولا عبث الأيدي، ولم تؤثر على لونه؛ فاللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يخرج من صدفه [3]، وهو في هذه الحال في غاية

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص626.
(2) صفة الجنة لابن كثير ص127.
(3)التسهيل لابن جزي (2/ 377).

ما يكون من الحسن والجمال، فشَبَّه الله - تعالى - الحور العين باللؤلؤ المكنون لحسنهن وبهائهن ونظافتهن وحسن منظرهن وملبسهن، وبياض الحور العين غاية في البياض، حتى إن إحداهن لو خرجت إلى الدنيا لملأ نورها أرجاء المعمورة [1]، قال صلى الله عليه وسلم :(ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) [2]، والنصيف هو الخمار، فإذا كان الخمار خيراً من الدنيا وما فيها فما بالك بالتي تلبس الخمار؟! [3].

* وقال تعالى:{كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾} [الرحمن: ٥٨].

الياقوت والمرجان: حجران كريمان جميلان، ولهما منظر حسن بديع، فشبههن في صفاء الياقوت وبياض المرجان [4].

2- صفاهن الخُلُقية:

قاصرات الطرف:

قال تعالى:{فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾} [الرحمن: ٥٦].

وقال تعالى:{ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾} [الصافات: ٤٨، ٤٩].

وقال تعالى:{وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾} [ص: ٥٢]. والمفسرون كلهم

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص 627.
(2) البخاري، ك الجهاد رقم 2643.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص 628.
(4) تفسير ابن كثير (4/278).

على أن المعنى: قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يطمحن إلى غيرهم، قال مجاهد: (قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم)، وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن [1].

*** متحببات:**

قال تعالى: {إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾} [الواقعة: ٣٥ - ٣٧].

(عرب): جمع عَروبة [2] أو عَربة أو عروب، وهي المرأة الحسناء، المتوددة المتحببة لزوجها [3]، العاشقة له.

*** جميع الأخلاق الحسنة الطاهرة:**

قال تعالى: {وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [البقرة: ٢٥].

طهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمع لغير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ [4].

3- صفاتهن الخلْقيَّة:

أ- مطهرات من الأنجاس:

قال تعالى: {وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [البقرة: ٢٥]؛ أي: من الحيض والنفاس، والبول والغائط، والبصاق والمخاط، والنخامة

---

(1) حادي الأرواح لابن القيم ص261.
(2) مفردات القرآن، للراغب ص557.
(3) لسان العرب (1/591).
(4) حادي الأرواح لابن القيم ص258.

والمني والمذي والحدث، وكل قذر وأذى يكون في نساء الدنيا[1]، بل حتى إذا وطئها زوجها رجعت بعد نزعه طاهرة مطهرة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال:(نعم، والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مُطَهَّرَة بكراً) [2].

ب – حور عين:

قال تعالى:{كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾} [الدخان: ٥٤].

(الحور) جمع حوراء، وهي المرأة الشابة، الحسنة الجميلة، نقية اللون والجلد لبياضها [3].

وهذا اللفظ مشتق من الحَوَر، والحور أن يشتد بياض العين، ويشتد سواد سوادها، وتستدير حدقتها، وترق جفونها مع شدة بياض الجسد، ولا تكون السمراء حوراء قال الأزهري: لا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد [4]، وقيل: إن لفظ الحوراء مشتق من الحيرة، لأن الناظر إليها يحار من شدة جمالها، قال مجاهد: الحور التي يحار الطرف فيها [5]، وقال تعالى:{وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾} [الصافات: ٤٨] وعين: جمع عيناء وهي الواسعة العين [6]، وجمعت أعينهن - مع السعة - صفات الحسن والملاحة [7].

---

(1) البدور السافرة ص554 حادي الأرواح ص258.
(2) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، انظر: تحقيق صفة الجنة ص143.
(3) حادي الأرواح ص258.
(4) لسان العرب (4/219).
(5) البعث والنشور ص203.
(6) لسان العرب (13/302).
(7) حادي الأرواح ص259.

ج – أتراب في السن:

قال تعالى:{وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾} [ص: ٥٢].

وقال تعالى:{إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾} [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]: أتراب؛ أي: أقران أسنانهن واحدة، مستويات على سن واحدة وميلاد واحد من الشباب والحسن، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطء [1].

د – أبكار:

الحور العين كما قال تعالى:{إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا } [الواقعة: ٣٥، ٣٦].

والبكر أفضل من الثيب، فالأرض التي لم يرُع فيها خير من أرض قد رُعي فيها، وهذه البكارة تعود كلما قام عنها زوجها، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال:(**نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً**) [2].

هـ – كواعب:

قال تعالى:{وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾} [النبأ: ٣٣]، {**كواعب**} :جمع كاعب، والكاعب هي المرأة التي تكعّب ثديها، أي نهد واستدار [3]، والمراد أن ثديهن

(1) حادي الأرواح لابن القيم ص261.

(2) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، تحقيق صفة الجنة لابن كثير ص143.

(3) لسان العرب (1/719) المفردات للراغب ص713.

نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل، ويسمين: نواهد وكواعب [1].

وحسبك شهادة لجمالهن الباهر، وأنه بلغ الغاية في الحسن والمنتهى في الجمال أن الله تعالى شهد بهذا فقال:{فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ} [الرحمن: ٧٠]، {وحسان}: جمع حسناء [2].

4- غيرة الحور العين:

قال صلى الله عليه وسلم :(**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو دخيل عندك، يوشك أن يفارقك إلينا**)[3].

5- يُعْطَى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل:

عن زيد بن أرقم قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم، ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقر لي بهذه خصمته، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم لَيُعْطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع)، فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**حاجة أحدهم عرق يفيض من جلودهم مثل ربيع المسك فإذا البطن قد ضمر**) [4].

والتمتع بالحور العين يكون بالملامسة، والحديث معهن، وسماع

---

(1) حادي الأرواح لابن القيم ص267.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص632.

(3) صحيح الجامع الصغير (6/125) رقم 7069.

(4) مسند أحمد رقم 19165 سنده صحيح.

غنائهن، والتلذذ بجمالهن، والتمتع بشم رائحتهن الزكية.

* فالملامسة:

وما يصاحبها من مقدمات وضم وتقبيل، وهذا لازم الملامسة، قال تعالى:{إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾} [يس: ٥٥، ٥٦]، قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم: (شغلهم افتضاض الأبكار) (1).

* الحديث معهن:

ومن معاني قوله تعالى:{فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ}؛ أي: مشغول بمحادثتها، وكلامها ومسامرتها وممازحتها، ومذهول من طيب كلامها، ومشغول بها عن الالتفاف لغيرها (2)، قال القرطبي رحمه الله: قوله:{فَٰكِهُونَ}: الفاكهة: المزاح والكلام الطيب، (والمتفكه): المتنعم (3).

* سماع غنائهن:

قال تعالى:{ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾} [الزخرف: ٧٠].

الحبرة اللذة وسماع الغناء (4).

* التلذذ بجمالهن:

إن من صفات الحور العين أنهن{قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} ومن معانيه: أنهن

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15 / 30).
(2) اليوم الآخر للطبري ص634.
(3) تفسير القرطبي (51/31).
(4) البعث والنشور للبيهقي ص211.

قُصِرتْ أعين أزواجهن عليهن من شدة جمالهن، فلا يطمع لغيرها ولا يلتفت عنها، ولا يبتغي سواها، قد شغفته حبًّا، وامتلأ قلبه من حبها، واكتنز وفاض حتى غمر جوارحه، فلا ينظر لسواها، وهذا من النعيم الكامل واللذة التامة، حتى العين لها نصيب وافر من النعيم واللذة [1]، وهذا مصداق قوله تعالى:{مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [الزخرف: ٧١].

*** التمتع بشم رائحتهن الزكية:**

لا شك أن الرائحة الطيبة في المرأة مما يزيدها حبًّا لزوجها، وهو من كمال اللذة والاستمتاع بهن، والحور العين لهن من ذلك أوفر نصيب؛ حيث إن عبق طيبها لو خرج إلى الأرض لملأها مسكاً [2]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**) [3].

يكون التمتع بهن - إذن- بجميع الحواس الخمس، وهذا من أعظم النعيم؛ حيث يفيض التمتع على جميع أجزاء جسده، ويغمر كل ذرة في جسمه [4].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص636.
(2) المصدر نفسه ص636.
(3) البخاري رقم 2643.
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص637.

الثاني عشر: أفضل ما يُعْطاه أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم:

إن مسألة رؤية المؤمنين لربهم -عز وجل- بالأبصار في الدار الآخرة من أشرف المسائل وأجلها؛ إذ هي الغاية القصوى، والنهاية العظمى، وأعلى الكرامات، وأفضل العطيات التي شمّر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون، واجتهد في نيلها العابدون. وقد تضافرت النصوص من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة على أن المؤمنين يرون الله عز وجل بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر [1].

والآيات الدالة على رؤية الله تعالى كثيرة، وهي أنواع :

1- آيات المزيد:

قال تعالى:{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾} [يونس: ٢٦].

قال صلى الله عليه وسلم :(إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ فيُكشَفُ الحجاب، فما أُعْطَوْا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل)، ثم تلا هذه الآية{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [2].

وقال صلى الله عليه وسلم :(الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه

(1) أقوال التابعين، عبد العزيز عبد الله (3/1066).
(2) مسلم، ك الإيمان، رقم 181.

الرحمن)، وهذا الحديث متواتر يقطع بصحته [1].

وقال تعالى:{لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾} [ق: ٣٥]، وعن علي وأنس رضي الله عنه أن تفسير هذه الآية النظر إلى وجه الرحمن [2].

وقال ابن كثير: وقوله تعالى:{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} كقوله عز وجل: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [3].

2- الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى:

قال تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(الناضرة): الحسنة، حَسَّنَها الله بالنظر إلى ربِّها عز وجل، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله [4].

وفي قوله:{إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}: هذا من النظر؛ أي: إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة؛ أي: تنظر إليه، والمراد ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر [5].

3- آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه:

بين سبحانه - في بعض الآيات - أنه يَحْرِمُ الكفار من النظر إليه؛ عقوبة لهم على كفرهم، وهذا يدل بمفهومه على أن المؤمنين يرونه سبحانه؛ إذ لو كان المؤمنون لا يرونه لما كان لتخصيص الكفار

(1) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص253.
(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي (3/519).
(3) تفسير ابن كثير (4/228).
(4) أقول التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (3/1074).
(5) فتح القدير للشوكاني (5/336).

بالحرمان فائدة؛ بل أصبح هذا الكلام من العبث الذي يُنَزَّه عنه الشارع، قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾} [آل عمران: ٧٧]، وقال تعالى:{ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} [المطففين: ١٥].

في هذه الآية دليل على أن الله - عز وجل- يرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون. وقال مالك بن أنس في هذا الآية: (لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه). وقال الشافعي: (لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا) [1].

وعن أشهب قال: سأل رجل مالكاً: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيام لم يعير الله الكفار بالحجاب، فقرأ:{ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} [المطففين: ١٥]، فقيل له: يا أبا عبد الله، فإن قوماً يزعمون أن الله لا يُرى، فقال مالك: السيف السيف [2].

4- آيات العندية:

عن مسروق قال: سَألْنَا عبد الله عن هذه الآية:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا قد سألناه عن ذلك - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) تفسير القرطبي (19/171) بتصرف.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (3/518) للألكائي.

فقال:(أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا؛ حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا) [1].

5- آيات الملاقاة:

قال تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى:{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)} [الأحزاب: ٤٤].

وقال تعالى:{وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩)} [هود: ٢٩].

وقال تعالى:{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩].

وقال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

قال ابن مسعود: (من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر أحداً) [2].

(1) مسلم، ك الإمارة رقم 1887 اليوم الآخر في القرآن العظيم ص 644.
(2) حادي الأرواح ص372.

وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾} [البقرة: ٤٦].

قال ابن القيم: (وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية) [1].

6- الأحاديث النبوية في الرؤية:

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله- عز وجل- في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها[2].

وفي نظم (المتناثر من الحديث المتواتر) ذكر أن أحاديث الرؤية وردت مرفوعة من طريق ثمانية وعشرين صحابيًّا ثم سرد أسماءهم[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي:" وقد روي أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها [4]، ومن هذه الأحاديث:

* عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن أناساً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم :(**نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟**) قالوا: لا، قال:(**هل تضارون في رؤية**

(1) حادي الأرواح ص328.
(2) تفسير ابن كثير (4/450).
(3) نظم المتناثر للكتاني ص250 ، حادي الأرواح ص337.
(4) شرح الطحاوية (1/217).

القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟) قالوا: لا، قال النبي صلى الله عليه وسلم :(ما تضارون من رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلاَّ كما تضارون في رؤية أحدهما) [1].

وعن أبي هريرة أن ناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟) قالوا: لا يا رسول الله، قال:(هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟) قالوا: لا يا رسول الله، قال:(فإنكم ترونه كذلك) [2].

جرير بن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :(إنكم سترون ربكم عيانا)[3].

7- رضوان الله أكبر:

قال تعالى:{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾} [التوبة: ٧٢]{وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ}؛ أي: رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا

(1) البخاري رقم 7002.
(2) البخاري رقم 7000، مسلم رقم 182.
(3) البخاري رقم 6998.

نرضى يا ربِّ وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خَلْقِك، فيقول: ألاَّ أُعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً) [1].

الثالث عشر: آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين:

بعد انقضاء الحساب تحمد الملائكة ربها، قال تعالى:{وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾} [الزمر: ٧٥].

وأما المؤمنون بعد دخولهم الجنة فيقولون:{وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾} [فاطر: ٣٤، ٣٥].

وقال تعالى:{وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾} [الزمر: ٧٤].

وآخر دعواهم في جنات النعيم: أن الحمد لله رب العالمين، قال تعالى:{ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾} [يونس: ١٠].

* * *

(1) البخاري رقم 6549، مسلم 2829.

الخاتمــة

الخاتمة

وبعد..

فهذا ما يَسَّره الله لي من حديث عن اليوم الآخر تَضَمَّنَهُ هذا الكتاب، وقد سميته: (الإيمان باليوم الآخر)، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ، فله الحمد والمنَّة، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريءٌ منه، وحسبي أني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أُحْرَمَ من الأجر.

وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان، وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه؛ فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: {رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠]، وبقول الشاعر:

يا منزل الآيات والفرقان ::: بيني وبينك حرمة القرآن
اشرح به صدرى لمعرفة الهدى ::: واعصم به قلبي من الشيطان
يَسِّر به أمري واقضِ مآربي ::: وأجر به جسدي من النِّيران
واحطُطْ به وزري وأخلص نيَّتي ::: واشدُدْ به أزري وأصلح شاني
واكشُف به ضُرِّي وحَقِّقْ توبتي ::: وأربح به بيعي بلا خسران
طهِّر به قلبي وصَفِّ سريرتي ::: أجمل به ذكري وأعلِ مكاني
واقطع به طمعي وشرّف همَّتي ::: كَثِّرْ به ورعي وأحي جناني
أسهر به ليلي وأظم جوارحي ::: أسبل بفيض دموعها أجفاني
أمزجه يا ربِّ بلحمي مع دمي ::: واغسل به قلبي من الأضغان
أنت الذي صوَّرتني وخلقتني ::: وهديتني لشرائع الإيمان
أنت الذي علَّمتني ورحمتني ::: وجعلت صدري واعيَ القرآن
أنت الذي أطعمتني وسقيتني ::: من غير كسب يدٍ ولا دكان

وجـــبرتني وســـترتني ونصـــرتني	:::	وغمـــرتني بالفضـــل والإحســـان
أنـــت الـــذي آويـــتني وحبـــوتني	:::	وهـــديتني مـــن حـــيرة الخـــذلان
وزرعت لي بـــين القلـــوب مـــودَّة	:::	والعطـــف منـــك برحمـــة وحنـــان
ونشـــرتَ لي في العـــالمين محاســـناً	:::	وسترت عـــن أبصـــارهم عصـــياني
وجعلت ذكري في البريـــة شـــائعاً	:::	حـــتى جعلـــت جمـــيعهم إخـــواني
والله لـــو علمـــوا قبـــيح ســـريرتي	:::	لأبى الســـلام علـــيَّ مـــن يلقـــاني
ولأعرضوا عنِّـــي وملّـــوا صـــحبتي	:::	ولبُـــؤْتُ بعـــد كرامـــة بهـــوان
لكـــن ســـترت معـــايبي ومثـــالبي	:::	وحلمت عن سقطى وعـــن طغيـــاني
فلـــك المحامـــد والمـــدائح كلـــها	:::	بخـــواطري وجـــوارحي ولســـاني
ولقـــد مننـــت علـــيَّ ربِّ بـــأنعم	:::	مـــا لي بشـــكر أقلِّهـــنَّ يـــدَان
فوحـــقِّ حكمتـــك الـــتي آتيـــتني	:::	حـــتى شـــددت بنورهـــا بُرهـــاني
لئن اجتبتني مـــن رضـــاك معونـــة	:::	حـــتى تُقَـــوِّي أيْـــدُها إيمـــاني
لأســـبحنّك بكـــرة وعشـــية	:::	ولتخـــدمنك في الـــدُّجى أركـــاني
ولأذكرنـــك قائمـــاً أو قاعـــداً	:::	ولأ شـــكرنك ســـائر الأحيـــان
ولأكـــتمن عـــن البريَّـــةِ خلتَّـــي	:::	ولأ شكونَّ إليـــك جهـــد زمـــاني
ولأقصـــدنك في جميـــع حـــوائجي	:::	مـــن دون قصـــد فلانـــة وفـــلان
ولأحسمنَّ عـــن الأنـــام مطـــامعي	:::	بحُســـام يـــأس لم تشُـــبْهُ بنـــاني
ولأجعلـــنَّ رضـــاك أكـــبر همـــتي	:::	ولأ ضربن مـــن الهـــوى شـــيطاني
ولأكسون عيوب نفســـي بـــالتُّقى	:::	ولأقبضـــن عـــن الفجـــور عنـــاني
ولأمـــنعن الـــنفس عـــن شـــهواتها	:::	ولأجعلـــن الزُّهـــد مـــن أعـــواني
ولأتلون حروف وحيك في الـــدّجى	:::	ولأحـــرقن بنـــوره شـــيطاني [1]

" سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك "

* * *

(1) نونية القحطاني ص9، 10.

الفهــرس

الفهرس

المقدمــة 4
الفصل الأول: حقيقة الروح والموت وحياة البرزخ 18
الفصل الثاني: علامات الساعة الصغرى والكبرى، والنفخ في الصور 94
الفصل الثالث: البعث والحشر، وأهوال يوم القيامة، وأحوال الناس.. 126
الفصل الرابع: النار والجنة 220
الخاتمة 403
الفهرس.. 407

* * *

كتب صدرت للمؤلف

1- السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
2- سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
3- سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
4- سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
5- سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
6- سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب. شخصيته وعصره.
7- الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
8- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
9- تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
10- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
11- عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
12- الوسطية في القرآن الكريم.
13- الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.
14- معاوية بن أبي سفيان: شخصيته وعصره.

15- عمر بن عبد العزيز: شخصيته وعصره.

16- خلافة عبد الله بن الزبير.

17- عصر الدولة الزنكية.

18- عماد الدين زنكي.

19- نور الدين زنكي.

20- دولة السلاجقة.

21- الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

22- الشيخ عبد القادر الجيلاني.

23- الشيخ عمر المختار.

24- عبد الملك بن مروان وبنوه.

25- فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

26- حقيقة الخلاف بين الصحابة.

27- وسطية القرآن في العقائد.

28- فتنة مقتل عثمان.

29- السلطان عبد الحميد الثاني.

30- دولة المرابطين.

31- دولة الموحدين.

32- عصر الدولتين: الأموية، والعباسية، وظهور فكر الخوارج.

33- الدولة الفاطمية.

34- حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

35- صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس.

36- إستراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صلى الله عليه وسلمدروس مستفادة من الحروب الصليبية.

37- الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

38- الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

39- المشروع المغولي عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

40- سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

41- الإيمان بالله جل جلاله.

42- الإيمان باليوم الآخر.

43- الشورى في الإسلام.

44- السلطان محمد الفاتح.

* * *